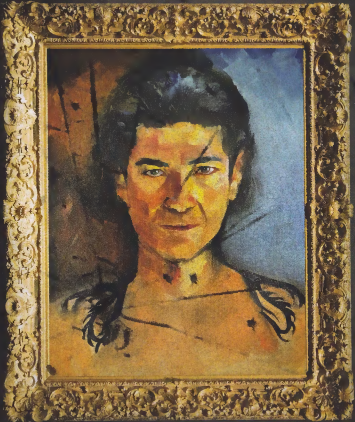
رواية

القديس



أحمد عثمان

إبداع

#سر_الثالوث_الأوحد

أحمد عثمان

رواية

القديس

الكتـــــــــاب: القديس

المـــؤلـــــــف: أحمد عثمان

تصميم الغـــلاف: شادي هشام

المراجعة اللغـوية: محمد فهمي- محمد مجدي حمدي

لوحـة الغـــلاف: الفنان هاني الجيزاوي

رسومــات داخلية: الفنانة دارين أحمد

رقـــم الإيـــداع: 2017 / 28275

الترقيــم الدولــي: 978 - 977 - 779 - 179 - 3

الإخــراج الفنـــي: مؤسسة إبداع للترجمة والنشر والتوزيع

المدير العام: عيد إبراهيم عبدالله

dreidibrahim@gmail.com

العنوان: 10 ش هـــدى شعـــراوي، وســـط البـــلد، القاهـــــرة

هاتف: 0227931911 - موبايل: 01001631173

الموقع الإلكتروني: www.prints.ibda3-tp.com

البريد الإلكتروني: info@ibda3-tp.com

أحمد عثمان

رواية

القديس

إبداع
Ibda3
للنشر والتوزيع والترجمة

التصميم والتسويق الإلكتروني للرواية
artology
The Brand Makers

الغلاف تفاعلي
layar

الصفحات الرسمية

Architect.AhmedOsman ibda3.tp

رسالة من الراوي

من كان لديه زريعة الشك في صدره بداءةً،
فلا مجال له ليرويها من كتاباتي.
فلستُ عليكم بوكيل.

العزاء

إلى كل روح أسرت غدرًا، وزُهقت بغيًا
إلى كل أم دمعت وكل طفل يُتم
أهمس إليكم..

جميع أحداث هذه القصة من «وحي» الخيال وإن كانت مبنية على حقائق علمية، وأي تشابه يربطه عقلك هو دليل على قبولك تلك الشهادة.

أَعُوذُ بِاللَّهِ السَّمِيعِ الْعَلِيمِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ

مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم بَعْدَ ذَلِكَ فِي الْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ

المائدة ٣٢

أنا الشهيد...

ربي الله الواحد الأحد، وديني الإسلام، ونبيي «محمد»

كما تعلمان ولدت ونشأت في القاهرة سنة ١٩٧٩ ميلاديًا، في عائلة فاحشة الثراء، لأعيش بضع سنوات مُغيبًا عن ربي، وسط حياة مليئة بالترف والرفاهية خالية من الألم والطاعة، حتى سبقنا والداي لملاقاة ربهما وأنا في الثامنة، لأصبح شريدًا في تلك الحياة البائسة، حتى طالتني يد السكينة، وهداني الرحمن قبل أن أتم العاشرة، لأسلم له نفسي التائهة، واهبًا له إياها طواعية، لأسلك هذا الطريق كالأسد من حينها، حتى وصلتني الرسالة المبشرة، فلقد تمت بالفعل دعوتي، جاء أجلي وحلت ساعتي، عندما قتلني (هو) ودنس قدسيتي، لأغادر جسدي بحثًا عن حقيقتي، لأدرك من البرزخ نهايتي، مطلعًا على سر كينونتي.

سر الثالوث الأوحد!

وعدوني بالجنة، فلمَ أنا في الجحيم؟!

كلكم عند بابي، كلكم عبيدي أو عبيده، ضبط النفس أم سيطرة الشهوة! لا أجد مجالًا للمقارنة، لمَ يا ابن آدم لا تتبع غريزتك؟ أشبعها كما يجب، الحرمان هو فقط لهؤلاء الضعفاء الذين لا يستطيعون تحقيق أحلامهم، فمن يقودونهم يمتلكون أهدافًا رسمتها أنا في خيالهم، وكان ليقينهم القدرة على استيعاب صورة الخيال، بل حتى رؤيته، ليحققوا دائمًا غايتهم، هؤلاء هم أتباعي المخلصون، هؤلاء هم الناجون، الناجحون في الحياة، الباحثون عن المتعة أو الجاه، لهؤلاء أرسم أنا الجنة المبتغاة، تعلم يا بن آدم، لمَ جاءتك «حواء»؟! هي ملكة الغواية، لها تسرق، لها تقتل، لها تتبع، لها يصير الحر عبدًا،

هي الرحم وهي الحياة، فاتبعني لتنال رحم الحياة.

-فكل جسد فانٍ، ولكنه يمتلك روحًا لا تفنى-

«التاريخ في الوقت الحاضر ٢ أكتوبر الساعة الثالثة صباحًا»

من المقعد الخلفي لتلك السيارة السوداء، كان (هو) مكبلًا بالأغلال، يصارع قيوده، رافضًا مصيره، الذي كان يجهله، عكسي أنا، عالم بما في تلك النفوس الضعيفة، بينما كان السائق متوترًا من الضباب الذي حدَّ من رؤيته، والأمطار التي كانت تتساقط غضبًا على تلك المدينة الساحرة، مغطية هذا الطريق الساحلي بالطين الذي خُلقوا منه، لتصرخ مكابح السيارة مع كل لمسة، حتى اقترب السائق أخيرًا من غايته، تلك المنشأة الغامضة التي تبث سخط سكانها عبر الخليج، والتي توقف حراسها هلعًا عندما أدركوا اقتراب هذا السائق المنفعل من بوابتهم، مسلطين عليه كشافاتهم المعلقة بالسور الخارجي الذي يحرس المدينة من شر النازلين بتلك المصحة النفسية. أزعجت الإضاءة عين هذا السائق المخضرم وإن لم يحد من سرعته، إلا قُبيل البوابة ببضعة أمتار، لينحرف بسيارته من أمامها باحترافية شديدة، راميًا بالرجل المقيد خارج السيارة ليقع (هو) أرضًا مسلسلًا بتلك القيود التي حدت من كيده، لينظر الحراس إليه في ذعر ثم إلى تلك السيارة الغامضة التي أوقفتهم كالأصنام، قبل أن يتابع السائق غرضه، فاتحًا الزجاج الأمامي المقابل له كهربائيًا، ليلقي إليهم بحقيبة جلدية سوداء غامضة، زائدًا من هلعهم قبل أن يفر هاربًا، ليستعمر الخوف تلك القلوب التي انبطح أصحابها أرضًا داعين خالقهم أن يحررهم مني قبل لقائه، ليزداد غضبي وأنا أهمس إليهم.

فمن أنا ومن (هو)؟!

***

من الداخل كانت صالة الاستقبال بعيدة عن كل هذا التوتر، فالمكان هادئ ومريح، تتميز ديكوراته باللون الأبيض الذي توغل الأرضيات الرخامية، والأسقف الصناعية والإضاءة أيضًا، ليظهر طابع المصحة الحديث الذي عكسته الشاشات المعلقة في كل مكان والتي تعرض الكثير من المعلومات المتغيرة، لمنطقة الانتظار دائرية التصميم، وكان كاونتر الاستقبال من الخشب الأبيض اللامع، -مطرزًا بحروف مضيئة تحمل اسم المصحة (الشرنوبي)- جلس خلفه بعض العاملين الذين كانوا يتسامرون كعادتهم في هذا الوقت المتأخر من

الليل، حتى قتل هذا الروتين صوت الرعد الذي اخترق مسامعهم مع اقتحام حارسي الأمن حرمة المكان حاملين هذا الرجل المقيد على أكتافهم، ليتسمر الجميع ناظرين لشاشة المعلومات التي تشير إلى الثالثة فجرًا، بينما هرع إليهم أحد الممرضين بمقعد متحرك، ليجلس الحراس هذا الرجل الذي كان يرتدي زيًّا أبيض من الكتان قبل أن يدنسه الطين حال جسده.

كان (هو) في منتصف الثلاثينيات، وسيم الملامح وإن بدا مخيفًا، كث اللحية، أشعث الشعر ذا لونٍ أسود كعينيه، قمحي البشرة، يميزه أنف مدبب وملامح حادة، كما كان طويلا قوي البنية.

اقترب أحد الحراس من كاونتر الاستقبال واضعًا تلك الحقيبة الجلدية التي وصلت مع الرجل، ليرتبك الموظف، طالبًا من الحارس تمرير وحدة كشف المعادن عليها قبل فتحها، والتي أعلنت براءة الحقيبة من أي خطورة، ليحاولا كشف ما بداخلها قبل أن يمنعهما قفل الحقيبة المكون من ثلاثة رموز، ليتنبها إلى اسم مطبوع أعلى الحقيبة.

د/فهد الشرنوبي

أدرك الموظف أهمية الرسالة، الموجهة لمالك المصحة شخصيًّا -والذي ورثها مؤخرًا بعد مصرع والده مؤسس تلك المنشأة ذات الطوابق الأربعة في مدينة «دهب» والمطلة بحديقتها الواسعة على الشاطئ، ليعلو صيتها في المنطقة العربية من المحيط إلى الخليج- فلقد كان «الشرنوبي» بالفعل من أعظم أطباء العرب النفسيين قبل أن يترك هذا الصرح لابنه الوحيد الذي ورث أيضًا من أبيه شهادته الطبية وحسب، ليسكن الدكتور «فهد» غرفة والده في الطابق الرابع جالسًا على مكتبه، شاعرًا بمدى ضآلته بالنسبة لأبيه، فاقدًا الخبرة التي تسمح له بإدارة هذه الإمبراطورية التي يقصدها المرضى بحكاياتهم من مختلف الأنحاء.

كانت غرفة مكتب والد الدكتور «فهد» فسيحة، كلاسيكية الديكور رغم عصريتها، يتوسطها مكتب خشبي عريض يشبه منضدة الاجتماعات في حجمه، بجانبه باب خشبي لحمام خاص خرج منه الدكتور «فهد» للتو، مهندمًا يرتدي بنطالًا قماشيًّا وقميصًا أبيض بإسورة مزدوجة بها زر ذهبي

ورابطة عنق مفكوكة. اقترب من مقعد مكتبه الفخم ليجلس ممسكًا بسيجاره الـ»كورونا»، متذوقًا بلسانه طعم أفخاذ العذارى التي صُنع عليها هذا السيجار يدويًا، مستنشقًا عبق هذه الرائحة الثرية، بجانب كأس النبيذ الغازي المميز من الـ»شمبانيا» الفاخرة التي رشحتها له خصيصًا، ليستمتع بطعم العنب المخمر في «باريس»، ليجد الدكتور «فهد» جنته الخاصة على هذه الأرض.

الدكتور «فهد» رجل أربعيني وسيم الملامح، أبيض البشرة، أخضر العينين قصير الشعر بني اللون، متوسط الطول، حليق الذقن، لم يتزوج بعد، رغم ثرائه وحسن مظهره، فلقد أوجدتُ له طرقًا كثيرة أكثر اختصارًا لرحم الدنيا، فكما أبدع ربه بخلق حواء من ضلع آدم، أبدعت أنا بصنعها إلهًا آخر للجمال، ليعبده الكثيرون من بني آدم، واجدين فيها المخلص والمطهر، والمذاق المتجدد الذي لا ينتهي، مدركين أنه حقًا امرأة واحدة لا تكفي.

يتنبه الدكتور «فهد» إلى صوت هاتفه المحمول من رقم خفي لم يظهر، لينظر إلى ساعة يده المشيرة إلى الثالثة وخمس دقائق، فأجاب مستقبلًا صوت رجل مخيف يقول في هدوء وتحفظ:

- تلاته، تلاته، تلاته.

تساءل الدكتور «فهد» في عدم استيعاب:

-أفندم؟!

-بقولك هو رقم واحد تحفظه، تلاته.... تلاته، تلاته، تلاته.

-انت مين؟ آلو...

ينقطع الخط ليلتف الدكتور «فهد» بكرسيه مندهشًا، قبل أن يسمع جرسًا آخر لهاتفه الأرضي، ليزداد توتره وهو يجيب في خيفة هذا الموظف المرتبك والذي قص عليه ما يحدث، ليتسرب إليه شعور كاد ينساه، وهو الغموض الذي يخلق الفضول والذي يخلق الشغف بالتبعية.

-لأ، دخلوه وطلعوه أي أوضه فاضيه في الدور التالت وأنا هانزله.

كاد الدكتور «فهد» ينهي المكالمة قبل أن يتذكر ما جذب انتباهه في الأصل

ليتابع:

-وهاتلي يا بني الشنطه دي على أوضة الدكتوره «نور»........: أيوه أوضتها القديمه.

أغلق الدكتور «فهد» الخط مبتسمًا على غير عادته، ثم توقف واتجه إلى باب مكتبه باحثًا عن «بالطو» أبيض يرتديه، ناسيًا أنه لم يعد يمتلك واحدًا، فارتدى «بليزر» بذلته المعلق خلف الباب الذكي الذي يفتح عن طريق لوحة إلكترونية من خلال كارت تعريف الهوية الكائن دائمًا في جيبه.

يخرج وهو يسارع خطواته في ردهة الطابق الرابع، حتى وصل إلى المصعد تاركا إياه، حيث كان يهاب الأماكن المغلقة، ليستخدم السلالم عن طريق باب معدني، إلى أن وصل الطابق الثالث المزود بباب ذكي آخر خلافًا لحارس أمني حياه الدكتور «فهد» ثم فتح الباب بكارته الذكي، ليدخل أخيرًا هذه الردهة البغيضة رغم اتساعها، فطولها الشديد يجعلها تسحب الروح كالقبر المحفور بعمق خطايا المقبور، لينقبض صدره عندما نظر بعينه يسارًا إلى منتهى تلك الردهة التي تضم الكثير من الغرف المغلقة على مرضاها كشواهد القبور حاملة اسم كل منهم، ليلتف إلى يمينه ليجد غرفة واحدة مقابلة له، وهي غرفة الدكتورة «نور» والتي كانت مسئولة عن حالات هذا الطابق الحرجة نظرًا لكفاءتها.

يفتح الدكتور «فهد» غرفة «نور» مستخدمًا كارته الذي يستطيع الولوج به إلى أي مكان بالمصحة، باحثًا بعينيه عن تلك الحقيبة الموضوعة على المكتب المعدني الذي يتوسط المكان، ليجلس وينظر إلى اسمه الموضوع على الحقيبة باندهاش، متحسسًا بأصابعه عمق حروفه المحفورة، قبل أن يكتشف قفل الحقيبة الرقمي، ليبتسم مدخلًا الرقم المنشود.

-٣٣٣-

لتُفتح الحقيبة بالفعل، ويجد نفسه أمام ظرف أبيض غامض، يفتحه في تروٍّ فيجد شيكًا مكتوبًا لصالحه بثلاثة ملايين من الجنيهات، موقعًا باسم.

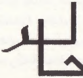
«خالد إبراهيم الوكيل»

اندهش الدكتور «فهد» ممسكًا بالشيك للحظات متأملًا الرقم في سعادة، تعلن قبوله للمبلغ، قبل أن يجد رسالة أخرى ملحقة به كتب فيها:

«برجاء الحرص على إبقائي حيًّا، حبيسًا، ما استطعتم، حماية لكم ولي وللجميع»

خالد إبراهيم الوكيل

زاد الغموض من متعة الدكتور «فهد» الذي وضع الشيك في جيبه، ثم أكمل تفقد الحقيبة، ليجد ملفًا آخر أسود اللون مكتوبًا عليه نفس الاسم، فتحه فوجد الكثير من اللوحات الفنية المرسومة بقلم رصاصي، بها عامل نفسي مشترك وهو الظلام، كلها تحمل إمضاءً لـ«خالد» بشكل مميز.



كما لفت نظره لمعة ميدالية معدنية أمسكها بقوة لينزعها عن «ذاكرة فلاش ميموري» لم يتنبة إلى تعلقها بها لتظل تلك «الذاكرة» هناك بين طيات الحقيبة تنتظر من يعثر عليها، بينما ظل هو يتفحص الميدالية في انبهار، حيث كانت الميدالية في حد ذاتها لغزًا محيرًا من قطعتين مركبتين داخل بعضهما، جزءها الأول ذهبي لحيوانين متماثلين تتعلق بهما قطعة ثانية فضية اللون لكائن شرس غريب الشكل. حاول الدكتور «فهد» مرارًا فك تلك القطعتين دون جدوى، ليضع الميدالية -مستسلمًا- في جيبة، متذكرًا الرجل المجهول الذي ينتظره، غير متنبهًا لكل محتويات الحقيبة التي أغلقها ووقف متجهًا إلى الباب المعلق عليه «بالطو» أبيض يخص الدكتورة «نور»، ليبتسم ويرتديه في سعادة افتقدها منذ زمن، ثم خرج في اتجاه تلك الردهة الطويلة كالدهر، محاولًا اكتشاف من (هو) ذاك القادم في هذه الساعة المتأخرة من الليل، بضع خطوات في هذه الردهة جعلته يغفل الدكتورة الثلاثينية «نور»

-

ذات الملامح الهادئة والشعر الذهبي المعقود، والتي خرجت لتوها من إحدى الغرف خلف الدكتور «فهد» متجهة إلى يسارها عكس خطواته، فاتحة بمفتاحها الذكي باب غرفتها، لتناديها هي الأخرى تلك الحقيبة التي ظلت «نور» تتأملها بعينيها الزرقاوين، لتجلس صاحبة هذا القوام الممشوق، وتبدأ في اكتشافها بفضول هي الأخرى، فلقد كانت «نور» من أكفأ الأخصائيين النفسيين بالمصحة وإن لم تدرس الطب حال الدكتور «فهد»، بل درست علم النفس بكلية الآداب قبل أن يعينها الدكتور «الشرنوبي» في المصحة بعدما عادت من «لبنان» مع منظمة اليونيسكو حيث كانت تساعد ضحايا الحروب وذويهم، وإن بات الدكتور «فهد» يقلل من شأنها منذ رحيل والده، لعدم اعترافه بشهادتها التي لا تعطيها الحق حتى بوصف أي عقاقير طبية لمرضاها.

اقترب الدكتور «فهد» من الغرفة المنشودة التي تشبه باقي غرف المصحة، فبها عن اليمين حمام خاص وتلفاز معلق، ثم كرسي معدني بجوار منضدة دائرية صغيرة، بجانب نافذة كبيرة، ويتوسط المكان سرير معدني متطور، كان مرفوع الظهر، موضوعًا في وضع شبه رأسي، ليظهر (هو) مكبلًا وكأنه واقف على كلتا قدميه في وضع شبه معتدل، لتقع عين الدكتور «فهد» عليه، فيبتسم (هو) ابتسامة مخيفة قبل أن تبدأ الأنوار في الارتعاش وسط اندهاش الجميع ليعم الظلام، ويضحك (هو)، من ذلك القبر الذي أغلق بابه للتو.

***

«التاريخ في الوقت الحاضر ٦ أكتوبر الساعة ٩ صباحًا»

(١)

مع بزوغ فجر جديد في مدينة «العريش» بشمال «سيناء»، خرج (هو) من أدراجه، مصطحبًا بعضًا من جماعته مدججين بالسلاح، من وسط تلك الصحراء القاسية، متحركين في سرب منظم داخل سياراتهم رباعية الدفع التي كانت تقطع الرمال بشراسة، متجهين إلى المدينة، تابعين قائد المركبة الأولى، الذي ظل (هو) بداخلها ينظر إلى صورته في المرآة باندهاش، شاعرًا أن هناك من يراقبه من جوف عينيه الواسعتين ذواتي اللون الأسود، وكأن عينيه هما لشخص آخر يرمقه ويراقبه في غضب، فلم يستطع إطالة النظر إلى تلك الصورة بالمرآة الذي كان (هو) يجهل صاحبها الأصلي، ليفتح مسند اليد الذي عن يمينه، ويخرج قناعًا أسود، غطى به ملامح وجهه إلا شفتيه وعينيه اللتين لا تزالان تراقبانه، لينفعل وينتزع بعنف مرآة السيارة، فلقد كان (هو) غليظًا، قوي البنية، كرياضيي المصارعة.

دقائق ولامست إطارات سياراتهم أسفلت الطريق ملتهمة إياه بشراهة، محدثة جلبة وصخبًا قتلت السكون المعهود، لتفزع قلوب الساكنين، استيقظ على إثرها الأطفال فَزعين على نظرات ذعر أمهاتهم وعجز آبائهم، لتراقب العيون القادمين من خَلف النوافذ في صمت، مصلين لمسيحهم علّه يهديهم إلى سكينته. توقفت المركبة الأولى ومن خلفها البقية، ليفتح (هو) باب سيارته ويخرج بحذائه الجلدي الطويل الذي يميزه عن البقية، الذين ارتدوا نعالًا جلدية متواضعة، وإن كانوا جميعًا موحدي الزي المموه الذي يميزه اللون الكاكي. ترجل (هو) واتجه إلى حقيبة سيارته، بينما توجه باقي أتباعه إلى باب منزل أرضي فقير، وأخذوا يحطمونه، حتى أخرج (هو) ما كان يبحث عنه، سلاحًا حادًا كالسيف وإن كان أقصر قليلًا وأكثر سماكة.

علا صوت الصراخ من داخل المنزل، ليدخل (هو) بشيء من الثبات. حيث كان رب المنزل يتصدر المشهد، يحمل سكينًا صغيرًا، ليبتسم (هو) من أسفل قناعه، ثم فُتح باب آخر بالمنزل وخرجت منه شابة صغيرة لم تكمل عامها الثامن عشر بعد، فيُمسك بها أتباعه على الفور، كاسرين عزم الأب بصراخ

ابنته التي كمموا فمها بقماشة سوداء، لتسقط سكين الأب أرضًا هامسًا بكلماته الأخيرة ذاكرًا ربه المسيح الذي وجد في تعاليمه، «أن من ضربك على خدك الأيمن فأدر له الأيسر»، علّه يجد في إيمانه صبرًا جميلًا ينفعه، وإن كان مخطئًا، فلقد كان هذا يومي وعرضي المسرحي.

تقبل (هو) استسلام الأب، وأخرجه مرتديًا فقط سرواله الأبيض ليكسر كبرياءه أمام أعين الجميع الذين خرجوا يراقبون الرسالة، ليتوسطا المشهد الذي أمتعني، ليركع الأب أرضًا مفتديًا رعيته بدمائه.

نظر (هو) إلى أعين الجميع في فخر، قبل أن يُكبر جهرًا و(هو) يغرز سن سلاحه في فخذ الراكع ليتمايل جسد الأب غافلًا الألم، قبل أن يتابع (هو) إشارتي ويخرج سلاحه من فخذ الجريح ليهوي به فاصلًا جسد الراكع عن رأسه الذي سقط أرضًا، دامعة الأعين وهي تراقب صعود روحها إلى رب السماء، الذي لم يمنع هول إغواءاتي من العرض، ليكمل الجمهور متابعة المشهد وجسد الأب يهوي أرضًا، باحثًا عن مأوى بين عيون أتباعي، الذين أتموا الطقوس كاتبين بدماء المذبوح رسالتهم على الجدران.

«ارحلوا»

ليفهم كل من آمن بالثالوث الأوحد الرسالة التي كتبتها أنا همسًا داخل عقول خدامي المخلصين، ليتفرق الجمع وتنتهي الوحدة، خاصة في تلك العيون الوقحة التي كانت تصور المشهد خلسة من بعيد بتلك الكاميرا الحديثة التي كانت مثبتة فوق سطح إحدى البنايات مدونة للأحداث، لتعرض فقط ما يريد أصحابها أن يكشفوه، متبعين خطاي كحال آبائهم وأجدادهم، وقبل أن أتابع سرد قصتي، استفاق «خالد» من كابوسه، جاهلًا ماذا كان يفعل (هو) في منامه!

***

استيقظ «خالد» من نومه داخل غرفته بتلك المصحة الساحلية، في حالة من الذعر إثر هذا الحلم البشع حيث كان (هو) فيه يذبح هذا الأب البريء.

حاول «خالد» كعادته أن يدرك واقعه من الخيال فاحصًا المكان كعادته وكأنه

يشاهده للمرة الأولى! حيث كانت الغرفة مليئة بلوحات رسمها خلال الأيام الماضية، منذ وصوله مكبلا إلى تلك المصحة، عندما ألقاه السائق عند بابها وفر ليتركه هناك وحيدًا شاردًا، جاهلًا ذنبه وخطاياه، ليؤثر الرسم على الكلام، فلم يتحدث إلى أحد، فقط يرسم بقلمه الرصاصي ما يشاهده في أحلامه وكوابيسه التي أبثها أنا إلى عقله، لأذكره بما يحاول أن يتناساه.

وقف «خالد» تاركًا سريره، ليتوجه إلى مرآة الغرفة وينظر إلى وجهه الذي شاهده للتو في منامه، و(هو) يذبح هذا الأب الأسير، ليفر إلى منضدة صغيرة كانت بجوار سريره باحثًا في بعض عبوات العقاقير عن مسكن لهذا الصداع أو طارد للهلوسة، ولكن تلك العبوات كانت خاوية. التفت «خالد» مرة أخرى إلى المرآة ليتنبه إلى انعكاس نور الصليب الذي رسمه هذا الضوء القادم لتوه من الخارج، قبل أن ينكسر الضوء مرة أخرى راسمًا صورة جديدة، للأب الذي ذبحه (هو) في منامه، ماثلا أمامه جسدًا دونما رأس، لتكسر دقات قلبه المتسارعة صمت المكان، كاشفة هوانه وقلة حيلته، ليكتفي المذبوح بسقوط «خالد» نفسيًا، ليعاود النور أدراجه مغادرًا المكان تاركًا إياه وحيدًا يتصبب عرقًا.

فتح «خالد» جهاز التلفاز على إحدى القنوات الدرامية، ليستمع إلى بعض الضجيج الذي يشعره بالحياة. قبل أن يقوم ويتجه إلى حامل لوحات معدني كان موضوعًا خلف المنضدة، رامقًا لوحة غير مكتملة لكائن غريب، رسمه منذ بضع ساعات. لينزعها باحثًا بين جدران الغرفة المكتظة بلوحاته عن مكان خالٍ ليعلقها فيه، ثم استدار عائدًا للحامل، غير متنبه لسقوط اللوحة التي علقها للتو، مستقرة بجوار لوحة أخرى لحافلة بلا ركاب رسمها من قبل.

ظل «خالد» ينظر إلى لوحة بيضاء جديدة، تناديه ليلطخها بأحلامه حال غيرها، ممسكًا بيُسراهُ قلمَه الرصاصي ليبدأ رحلة جديدة، استهلكت من الوقت بضع ساعات، لم يرف له فيها جفن، حتى فُتح باب الغرفة، لينظر إلى القادم بتحفظ، قبل أن ترتسم على شفتيه ابتسامة افتقدها منذ دخوله المصحة، فلقد كانت تلك هي المرة الأولى التي يراها فيها منذ وصوله، وإن لم يكن هذا هو اللقاء الأول.

ردت الدكتورة «نور» ابتسامة «خالد» بأخرى ساحرة، سحر شعرها الذهبي المعقود، وبشرتها البيضاء، وتلك العينين الزرقاوين المليئتين بالأسرار، وهذا القوام المثير الذي أفضله، فكم مثيرة هي ومغرية لنفوس الرجال.

لحظات من اللاوعي خيمت على تعارفهما الخفي، متذكرين صعوبة اللقاء الأول، قبل أن تلاحظ «نور» تلك اللوحة الجديدة التي رسمها «خالد» لتوه، لرجل دين مسيحي، يتوسطه صليب كبير على صدره، حاملا بيده اليمنى كتابه المقدس، وبيسراه مسبحة في آخرها صليب صغير مشير إلى رأس القس الموضوع أرضًا، بعيدًا عن الجسد المنحور. جرحت اللوحة مشاعر «نور» وظهر عليها الغثيان، فجلست على الكرسي المجاور لـ«خالد» الذي كان يرمقها بفضول كاد يقتله، متخليًا عن صمته للمرة الأولى.

- أنا «خالد».

أجابت «نور» بابتسامة ساحرة فقط، ليتساءل بطفولية.

-انتي مين؟

جاء الرد من الدكتور «فهد» الذي اقتحم الغرفة فجأة، لتقف «نور» احترامًا لمديرها.

-الدكتوره «نور» المسؤولة الجديده عن حالتك.

وقف «خالد» هو الآخر عندما تنبه للدكتور «فهد» الذي تابع:

-أخيرًا سمعتلك صوت.

رفض «خالد» التعليق كعادته ليتابع الدكتور «فهد»:

-عمومًا لو مكنتش حابب تتكلم معايا أنا، خلاص تقدر تتكلم مع الدكتوره «نور» هي برضه تلميذتي.

تعجبت «نور» من رد فعل الدكتور «فهد» وإن استوعبت احتياجه إليها لفك طلاسم هذا النزيل الغامض الذي لم يتحدث إلا معها منذ وصوله.

-عن إذنكم.

-اتفضل يا دكتور.

قالتها «نور» بينما غادر الدكتور «فهد» الغرفة مستاءً، لتشعر «نور» بنصر تجهل سببه، لتقترب من «خالد» الذي جلس قائلًا:

-واضح إن الدكتور كان خلاص يئس مني.

في تحفظ أجابت «نور»:

-لا أبدًا، بس يمكن هما شايفين إني ممكن يكون عندي طريقه مختلفه.

-انتي حقيقي مختلفه.

قالها وقد امسك برأسه بشيء من الألم.

-حاسس بإيه؟

-صداااع، أرجوكي إديني أي مسكن.

-مش قبل ما تحكيلي.

-أحكيلك إيه؟

-انت مين؟

-طيب إديني مسكن.

-لما تحكيلي.

مستسلمًا أجاب «خالد»:

-حاضر، حاضر...عايزه تعرفي إيه؟

-إيه الرسومات دي؟

قالتها مشيرة إلى الرسومات التي ملأت المكان، ليجيب «خالد» بشيء من الفخر.

-هههه، دي مجرد أحلام.

-أحلام إزاي؟

بانكسار تابع «خالد»:

-الأحلام... إيه ماتعرفيش الأحلام؟

-لأ طبعًا عارفه الأحلام، بس انت حلمك إيه في دول؟

-ليه فهمتي المعنى البعيد للكلمه البسيطه كده؟ أنا مقصدش الهدف مقصدش المستقبل، أنا بتكلم عن الماضي، الماضي اللي بشوفه فيه و(هو) بيعمل كل حاجه.

-(هو) مين؟ تقصد نفسك؟

حاول «خالد» مقاومة الصداع، الذي كان يجهل أن «نور» هي مصدره الأساسي.

-معلش أنا آسفه.

قاطع حديثهما بث إخباري مباشر على التلفاز، لمقطع فيديو مسرب يذاع للمرة الأولى من «العريش»، لذبح رجل الدين المسيحي. وكان الحدث مصورًا من أعلى إحدى البنايات السكنية بعيدًا عن الواقعة نفسها وإن ظهرت الصورة بدقة إلى المشاهدين، تصدر المشهد رجل ملثم يرتدي الزي المموه الكاكي الذي يعرفه «خالد» جيدًا، لتجحظ عيناه مراقبًا رؤيته تتجسد أمام عينيه على شاشة التلفاز، حيث كان تجسيدًا لحلمه بالفعل، حتى كاد يجزم أنه (هو) البطل الحقيقي لتلك الحادثة بجسده الضخم، ليحمد ربه أنه كان ملثمًا، غير مدرك إذا ما كان هذا واقعًا أم مجرد كابوس آخر، لتزداد التساؤلات في عقله: كيف راودته تلك الرؤيا؟ وكيف علم ما حدث من قبل في «العريش»؟! متذكرًا كيف رفض صورته في تلك المرآة التي حطمها (هو) في منامه، وإن كان يعلم أنه لا يزال يراقب تلك الصورة أينما ذهب صاحبها.

ازداد ذهول «خالد» وشرد عقله، مع تكرار لقطة قطع رأس الرجل المسالم في التلفاز، قبل أن يتجه القتلة في المشهد المعروض بكتابة كلمة أخيرة بدماء ضحيتهم، كلمة شاهدها مسبقًا في منامه لينطقها قبل أن تُكتب على

الشاشة:

«ارحلوا»

اندهشت «نور»وتوقفت في لحظة تأمل، منتبهة إلى لوحة القس المذبوح الذي رسمه «خالد» للتو قبل أن تعرض الشاشة مشهد القتيل لتزداد تساؤلاتها: من حقًا (هو)؟! متناسية من حقًا أنا! جاهلة السر الذي تبحث عنه، «سر الثالوث الأوحد»!

***

من الطابق الرابع للمصحة ظل هذا الشخص يتحرك بخطوات خاطفة، يتلفت يمنة ويسرة كالسارق، وقد كان! حتى اقترب من غرفة «الشرنوبي» ليخرج من جيب بنطاله كارتًا ذكيًا فتح به الباب، مقتحمًا حرمة المكان باحثًا عن ضالته التي يعرفها جيدًا، متوجهًا إلى مكتب الدكتور «فهد» الذي وُضع عليه الحقيبة السوداء، ليفتحها هذا المتسلل مدخلًا الأرقام الثلاثة، منقبًا داخلها بعناية بالغة خلاف الدكتور «فهد»، ليجد بين طياتها تلك الذاكرة التي جردها الدكتور «فهد» من ميداليتها الغامضة، حتى شعر بخطوات الأخير قادمة من بعيد، ليضع هذا السارق الذاكرة في جيبه مع تقارب خطوات الدكتور «فهد» الذي ظل يقترب شيئًا فشيئًا حتى توقف عند باب الغرفة من الخارج وأخرج مفتاحه الذكي ليفتح الباب ويدخل متجهًا إلى مكتبه الخالي ليجلس مندهشًا من أرقام القفل المهيئة للفتح.

***



«التاريخ في الوقت الحاضر ٧ أكتوبر الساعة ١ صباحًا»

(٢)

بخطوات هادئة، ظلت «نور» تحاول الوصول إلى غرفتها التي بات الدكتور «فهد» يستعمرها منذ قدوم «خالد»، وإن كانت الغرفة تعاندها بالابتعاد، ليزداد خفقان قلبها مع عدم استقرار إضاءة الممر المتوترة والتي كادت تنسحب من المكان لتخرج «نور» هاتفها الذكي، مختبئة خلف شاشته المضيئة، حتى جاءها هذا الاتصال الكاذب الذي اعتادته من زوجها يهاجمها فيه دومًا على تقصيرها معه ومع ابنتهما الوحيدة التي لم تكمل عامها الثامن بعد، لتبدأ «نور» في رسم صورة ابنتها في خيالها، حتى تشكلت ابتسامة على وجهها، فتجيب من غرفتها التي كانت إضاتها «الفلورسنت» متوترة أيضًا، لتهرب «نور» في حديثها عبر الهاتف من أمام شاشة الحاسوب التي قامت بتشغيله باحثة عن إرسال إحدى القنوات الفضائية عبر شبكة المصحة الداخلية.

-يا حبيبي مش لازم اللي نقوله نعيده كل مره.

-.......

-هي دي أول أجازة ألغيها يا «مخلص»؟

-......

وأنا مش مقصره، بس أخيرًا جاتلي فرصه أثبت فيها نفسي للدكتور «فهد»، في حاله مهمه معايا ممكن تغير مستقبلي، والمفروض إنك جوزي وتفرحلي وتدعمني.

سكتت «نور» لحظة، وتأملت صورة لأسرتها كانت موضوعة يسار حاسوبها. كانت ابنتها تشبهها كثيرًا وهي تتوسطها وزوجها «مخلص» في الصورة التي التقطت على أحد الشواطئ.

-عمومًا ماتخافش، أنا أول ما اطمن على الحاله دي، هارجع مصر، وأعوضكم ونسافر زي هي ما كانت عايزه، المهم انت حاول تغنيلها زي عوايدك وتلهيها

بالكلام بتاعك، انت مش هاتغلب ده شغلك.

قالتها «نور» وهي تمسك باستمارة «خالد إبراهيم» المرضية، لتكتب تحليلها المبدئي، فأمسكت قلمها الحبري، مدونة ما تظنه صحيحًا، حتى انقطعت الإضاءة مرة أخيرة، لتعاود فجأة ويظهر (هو) من أمامها في ثبات! فزعت «نور» لحظة قبل أن تتمالك نفسها:

-«خالد»!........إيه اللي طلعك من أوضتك؟

قالتها قبل أن تتوجه إلى زوجها بجملة أخيرة:

-معلش هاقفل معاك دلوقتي، معايا شغل مهم.

ابتسم (هو) كاشفًا كذبها وجلس بهدوء قائلًا:

-كنت بتمشى في الجنينه شويه وقلت أفوت عليكي، أعرف الحاله إيه.

تركت «نور» الهاتف والقلم ونظرت إليه في اندهاش، فلقد ظهر عليه ثبات مختلف لفت انتباهها ووسع من إدراكها قليلًا.

-أنا شايفاك كويس يا «خالد».

ابتسم (هو) وعلق:

-يعني هامشي إمتى؟

اقتربت «نور» بجسدها إلى المكتب محررة ظهر مقعده وقالت:

-انت مش محبوس يا «خالد»، انت في مصحه خاصه، انت اللي بتدفع عشان تكون موجود، وانت اللي رافض تخرج، انت طلبت تفضل موجود حتى لو عوزت عكس ده، بس عمومًا انت اللي تقدر تحدد انت عايز تخرج ولًا لأ.

قطع كلامها إشارة التلفاز التي التقطها الحاسوب أخيرًا، لتُبث صورة لقناة إخبارية ما، قبل أن يجيبها (هو):

-أنا لازم أخرج، أنا ماتخلقتش عشان أتحبس، صدقيني أنا لازم أمشي قبل ما حد هنا يتأذي.

قالها بحزم، لتعلق «نور»:

-ليه بتقول كده يا «خالد»؟ انت قلت العكس أول ما جيت، مكنتش بتقول غير إنك عايز تتحبس أو تموت.

-لا أنا مش لازم أموت.

في اندهاش عقبت «نور» وهي تسند ظهرها مرة أخرى:

-أمال ليه كنت بتحاول تنتحر أول ما جيت؟

ارتعش (هو) بحركة لا إرادية، وكأنها من تأثير الأدوية.

-مال عينك؟

-مش مهم برضه.

-أمال إيه اللي مهم يا «خالد»؟

ظلت رعشة عينه تزداد و(هو) ينظر إلى شاشة جهازها الذي كان يبث الأخبار كالعادة، لتتنبه «نور» مرة أخرى إلى شروده، وهي تراقب الشاشة رافعة الصوت في رهبة، متوقعة كارثة جديدة وقد كان. فلقد أعلنت الإعلامية عن أخبار جديدة للعثور على حافلة الكنيسة المختفية ب»سيناء» منذ أيام قبل وصوله وجهته لأحد الأديرة هناك، وأكدت القناة نجاح رجال الداخلية في تحديد مكان الحافلة المخطوفة بشمال «سيناء» بعيدًا عن وجهته، بينما نفت العلم بأي معلومات تخص حالة الركاب، وسط تكهنات بعمل إرهابي جديد. ظهر الغضب على «نور»، عكس تعبيراته، فلقد كان لا يزال مبتسمًا و(هو) يعلق:

-ماتوا.

-أفندم!

أكد (هو) وعينه اليمنى لا تزال ترتعش.

-كلهم اتقتلوا.

قالها بقوة، مضيفًا جملته الأخيرة التي قالها قبل أن يختفي من أمامها.
-إلا....هي.

***

كانت حافلة الكنيسة قد عبرت إحدى نقاط التفتيش لتوها، ليواصل ركابها العشرون التسامر في سعادة وأمل، ملتفتين إليها، تلك الفتاة بنت الأعوام الثمانية التي كانت تستحوذ على أنظار الجميع، فهي ملائكية الملامح، بيضاء البشرة، ذهبية الشعر المكون من ضفيرتين مجدولتين بعناية، واضعة شريطا أحمر عند نهاية كل منهما، متماشيًا مع لون حذائها اللامع الذي تنتعله مع جورب أبيض طويل على هذا الفستان الأبيض القصير الذي يشبه فساتين «سيندريلا»، ضيقًا عند خصرها النحيف ثم ينتشر بشكل دائري، حال وجهها المريح المبتسم للحياة، وعينيها الخضراوين الواسعتين وشفتيها الحمراوين كخدودها الطازجة، كأميرات أهل الجنة.

-غني يا «ملك».

قالتها والدتها التي وقفت في بداية الحافلة بجانب السائق معطية الطريق ظهرها، فلم تجد أملًا في المستقبل عدا ابنتها الوحيدة. وقفت «ملك» متوسطة صديقتيها تاركة لهما دميتها الصغيرة لتبدأ في الغناء، مع تصفيق الجميع، لتمد «ملك» أمها بالطاقة التي تحتاجها لتكمل مسيرتها في الحياة، حتى وقعت عين الأم عليه، ذلك القادم من بعيد، لتعرفه من فورها، مبتسمة له حبًّا، ليبادرها (هو) ابتسامته الخبيثة من سيارته رباعية الدفع التي بدأت تقترب من الحافلة التي هدأت سرعتها، ليلاحظ الجميع باقي السيارات التي كانت تسير خلفها، مندهشين من هذا الزحام، قبل أن يتملكهم الهلع مع رؤية وجوههم الملثمة، لتفزع الأم محدقة إليه في رهبة، قبل أن يضع (هو) الآخر قناعه بعدما أوقفت جماعته الحافلة، ليترجل (هو) وتابعوه من سياراتهم متجهين صوب ضحاياهم الجدد، لتستوعب الأم الحقيقة فتضم «ملك» لتحميها من صراخ الجميع.

***

عاد «خالد» من الخارج إلى غرفته بالمصحة شارد الذهن، جاهلًا أين كان! فلقد صار مشوش العقل إثر الصداع الذي يلاحقه. توقف لحظة أمام المرآة ليتساءل: من يكون! باحثًا عن «سر الثالوث الأوحد»! ثم توجه إلى سريره وهو يفتح التلفاز، لتدمع عيناه من هول المشهد الذي رآه، فلقد كانت كل القنوات تعرض صورًا للحافلة المنكوبة، مع إعلان إحدى الجماعات الإسلامية مسؤوليتها عن الحادث. مشاهد مؤلمة ظلت تتتابع على التلفاز للضحايا وأسرهم، ليظل «خالد» حزينًا على تلك الحادثة التي تبث رائحة الموت عبر التلفاز. فمنذ أشهر، كان «خالد» يشم نفس الرائحة، من هذا المدفن الذي تملؤه الورود، فلقد أرسل الكثير من الزهور قبل مجيئه، كي تستقبل الأرض من يحب، وإن عجزت رائحة الأزهار عن طمس ملامح المكان الذي كان «خالد» يقف فيه وحيدًا ممسكًا بكتاب ربه رغم امتلاكي لقلبه المظلم، فلم يعد يؤمن بالقدير كما كان، فلقد أيقن أن خالقه قد ظلمه مرة أخرى، عندما أخذ منه كل ما يمتلك قبل أن يداوي جرحه الأول. لتظل التساؤلات الوجودية تلاحق عقيدته، فهل يظلمه الحق العدل. وكيف يستطيع الاستمرار في حياته وحيدًا دون زوجته وابنته الوحيدة التي رباها، هل هو امتحان لقوة إيمانه؟ وإن كان، فسأعمل أنا على رسوبه فقد أمسى بالفعل يشك بوجود خالقه، بعد أن أشهدته أنا على ما حرمه منه خالقه. ليهمل «خالد» كتاب ربه، ويغلق القبر المفتوح بهذه الأحجار الثقيلة التي تحبس الأموات في سكنهم الجديد، مانعة إياهم من التواصل مع أحبتهم، إلا البعض!

ظل «خالد» يضع التراب فوق الأحجار في غضب وهو ينظر في الجدران إلى الآيات التي غدى بها كافرًا، عكسي أنا، مكتشفه الذي عوضه الكثير! لينهي الدفن وسط اندهاش قارئ الكتاب الذي منعه «خالد» من متابعة التلاوة، بعدما غادر الإيمان قلبه، غادر لأمتلكه أنا!

***

أنا الدكتورة «نور»، أكتب وأدوِّن ما حدث الآن في غرفتي بالمصحة. ظهر «خالد» مرة أخرى بوجه جديد، بل شخص جديد، لقد تيقنت من تحليلي لحالته، إنه فصام!

فليس هذا هو نفس المريض الذي كنت معه في الصباح، لا أعرف السبب! عله فقدانه لزوجته وطفلته الوحيدة كما يدعي، ولكني أوقن أنه لا يزال هناك ما تخفيه قصته، لا يزال هناك دافع حقيقي، وحافز أقوى من ذلك، جعله يهرب إلى داخل شخصية أخرى، أكثر قوة من شخصيته الحقيقية، بل أكثر جحودًا، شخص يستطيع الحصول على ما يعجز عن الوصول إليه.

هذا ولا تزال الحيرة تقتلني! لا أعرف كيف يعرف (هو) ما يبث في الأخبار سلفًا، كيف يرسم أحلامه التي تعرضها القنوات الإخبارية لاحقًا! وها أنا أتابع الآن مشهدًا إرهابيًا جديدًا لهذا «الأتوبيس» المشؤوم، والذي أكد (هو) لي موت ركابه إلا هي، فمن هي التي يقصدها؟ هل (هو) صادق أم مدَّع؟ هل كان يحلم، أم كان (هو) من فعل هذه الجرائم في وقت ما قبل وصوله للمصحة في حالته المنكوبة؟ هل (هو) شَره يتمنى الظلام؟ فملامحه تزداد ريبة، خاصة مع رعشة عينه اليمنى، حتى أنيَ كدت أوقن أني مع شخص آخر، حقًا كنت أجهل من (هو)!

***

من ظلام صحراء سيناء، كان مراسلو القنوات الإخبارية منتشرين مع القوات الأمنية التي تطوق مكان الحافلة المنكوبة، يصورونها من بعيد، منتظرين التصاريح اللازمة للاقتراب، جاهلين ما يدور في مكان الحادث، تلك الحركة الغريبة، تلك الخطوات الهادئة التي تدخل إلى الحافلة في العتمة، وتمشي ببطء داخلها، تبحث عن شيء ما، شيء نجا من تلك المذبحة، شيء تحمَّل مرارة الغدر، حتى وجدت صاحبة الخطوات ضالتها، بجوار هذا الرأس الهارب من جسده، حقيبة ظهر حمراء كانت تمسكها الفتاة المذبوحة، لتتفقدها «ملك» بهدوء مخرجة منها قطعة من الحلوى وزجاجة مياه روت بها عطشها. فقد كانت سليمة جسديًا، مريضة نفسيًا في تلك اللحظة، ترتدي فستانها الأبيض الملطخ بالدماء التي تجهل أصحابها، وكان شعرها متناثرًا بشكل كئيب يعكس واقعها الأليم. تحركت «ملك» في هدوء، حتى وصلت إلى مقدمة الحافلة، لتلتفت إلى الخلف، لتصور ذاكرتها المشهد المأساوي الذي ستعجز عن وصفه للجميع، أجزاء مبتورة من أجساد بريئة، باعثة رائحة حروق

لأجسادهم الضعيفة التي تركها ربها لهذا المصير. التفتت «ملك» إلى جوارها ممسكة دميتها البيضاء التي لطختها التجربة المميتة بالدماء، ثم اتجهت لتجلس على مقعد السائق المرتفع بنجاح معتلية المشهد والوجود بأسره، لتصبح قدماها بعيدة عن الأرض، المليئة بزجاجات فارغة وأوراق مبعثرة. تفقدت «ملك» مؤنها من حولها، تلك الزجاجات البلاستيكية المملوءة بالعصائر والمياه، فضلًا عن الكثير من الحلوى التي أكلت منها «ملك» ملطخة شفتيها قبل أن تدير زر المسجل مستمعة إلى الموسيقى ببرود مخيف، محركة رأسها يمينًا ويسارًا ببطء، ثم ضغطت على زر آخر لتغلق الباب، ثم أمسكت ذراعًا من خلف المقود بخبرة متناهية، لتفتح إضاءة الحافلة الأمامية ناظرة إلى سواد الصحراء والوجود من بعيد، فيفزع الجميع من الإضاءة ويتأهب القناصة خلف عدسات أسلحتهم، الموجهة إلى الحافلة الهالكة، حتى تغيرت ملامح قائدهم الذي شاهدها من بعيد، ليصرخ قائلًا:

-محدش يضرب نار.

***

عاد هذا السارق المتلصص إلى غرفته بأحد فنادق مدينة «دهب»، في حالة من النشوة، بعد هذه التجربة الفريدة التي خرج منها بتلك «الذاكرة» التي كانت بالحقيبة السوداء، ليجلس هذا الصحفي المخضرم «سامي» ذي الملامح الغربية حيث كان شعره طويلًا مربوطًا من الخلف، وكان كث اللحية، أسمر البشرة.

فتح حاسوبه الصغير واضعًا به هذه الذاكرة، ليظهر مقطع «فيديو» لهذا الشخص المريض و(هو) يعلن عن «سر الثالوث الأوحد»، ليندهش «سامي» شاعرًا بأهمية هذا المقطع بل وأهمية الرجل، الذي كان يجهل من (هو)، ليظل يعيد تشغيل المقطع مرارًا وتكرارًا باحثًا عن إجابات لأسئلته، حتى وصل إلى طرف الخيط الذي سيبدأ العمل علية في الساعات القادمة.

***



«التاريخ في الوقت الحاضر ٧ أكتوبر الساعة ٣ صباحًا»

(٣)

من ممر داخل إدارة الأمن الوطني بالقاهرة، كان الرائد «عادل» يسير بخطى سريعة، وهو شاب في منتصف الثلاثينيات، عريض المنكبين وإن لم يكن طويلًا، له شعر بني قصير، وعينان عسليتان حادتان. كان الرائد «عادل» يحاول ربط رابطة عنقه وهو يمشي مرتديًا زيًا مدنيًا تقليديًا، حتى وصل إلى باب من ضلفتين من الخشب البني يحرسه جنديان، حياهما وقرع الباب ودخل.

كانت الغرفة للاجتماعات الطارئة، مكونة من منضدة خشبية كبيرة بيضاوية الشكل، يجتمع عليها ثمانية ضباط، يترأسهم اللواء «فاروق ناجي» وهو رجل ستيني أبيض البشرة، أصلع الرأس، متوسط الطول والوزن، يرتدي بذلة سوداء، كان الإرهاق يظهر عليه وعلى جميع الحضور ليقاطعهم الرائد «عادل» قائلًا:

-صباح الخير يا فندم.

-هايجي منين الخير؟ اقعد يا «عادل».

قالها اللواء «فاروق» مشيرًا إلى الرائد «عادل» بالجلوس، ثم أكمل:

-المسؤول عن الكارثه دي لازم يتجاب، محدش ينام، ما ينفعش دم الناس دي يروح هدر، لازم حد يدفع التمن.

-محدش منا بينام أصلًا يا فندم وحضرتك أولنا.

قالها أحد الضباط بتملق أعجبني، ليكمل اللواء «فاروق»:

-معلش يا سيادة المقدم، حظنا كده، شيلنا المسئوليه في وقت صعب، البلد أعداءها بقوا كتير ومش عايزنا نطلع خطوه واحده قدام.

-مفهوم يا فندم، وعشان كده إحنا لازم نبدأ عمليات في الجبل.

-بس ده انتحار!

-مش مهم، لو ماموتناش إحنا، هايموت كل يوم مدنيين ملهمش ذنب، غير إنهم وثقوا فينا.

قالها اللواء «فاروق» بنخوة وانفعال ليتابع رجاله:

-طيب يا فندم ده معناه إننا هانحتاج دعم طيران.

انزعج اللواء «فاروق» ثم عاد إلى رشده ليقول مهمومًا:

-انتوا عارفين صعوبة تدخل الجيش في سينا، بس أنا هاشوف أعرف اعمل إيه، عملية الجبل لازم تتنفذ، الصبر نفد و»جيه وقت الحساب».

-طيب هو مفيش أي معلومات من ركاب الأتوبيس؟

-للأسف مانجيتش غير طفله صغيره، ربنا وحده اللي يعلم عاشت إزاي الأسبوع ده وسط كل الجثث دي.

-ربنا يا فندم.

-ونعم بالله، عمومًا إحنا لازم نحاول نتكلم معاها، يمكن نعرف نوصل لحاجه، محتاج حد منكم يخصص نفسه ليها.

قالها اللواء «فاروق» وهو ينظر إلى كل الضباط أصحاب الشوارب الكثيفة والملامح الحادة والرتب الرفيعة ثم تابع:

-طبعًا بشنابتكوا دي البنت ممكن يجيلها مضاعفات.

ابتسم الجميع حتى نظر اللواء «فاروق» إلى الرائد «عادل» قائلًا:

-رائد «عادل»، انت اللي هاتقوم بالتحقيق مع البنت دي.

-أنا يا فندم!!!

قالها الرائد «عادل» متوترًا وهو يمسك برابطة عنقه التي ربطها بسوء شديد.

-أيوه إنت، في إيه؟ شكلك صغير ومايخوفش، عايزك تصاحبها، وحاول تبعدها عن الإعلام بقدر المستطاع، مع إن ده صعب.

-بس على حد علمي، البنت في حالة صدمه مابتتكلمش مع حد.

أخرج اللواء «فاروق» سيجارة من علبة كانت موضوعة أمامه، لتتسارع أيدي

المنافقين له بالقداحات الذهبية التي اشتراها أصحابها مستغلين مقاعدهم، عكس اللواء «فاروق»، هذا الرجل الذي يثير غضبي لنزاهته.

-عارف، وأنا اتكلمت مع أبونا، وهو بينصح ندخلها مصحة نفسيه عشان يحاولوا يتعاملوا معاها باحتراف.

-مصحه؟!

قالها الرائد «عادل» ببراءة، لينفعل اللواء «فاروق»:

-أيوه يا «عادل»، مالك يا بني متنح ليه؟ ما تصحى.

-معلش يا فندم أنا صحيت على ملا وشي على الخبر.

-يا بني انت لسه صغير، أنا أد أبوك وصاحي من قبلك وهنام بعدك.

مستفيدًا من دروس رؤسائه يعلق الرائد «عادل».

-وهو حضرتك مقياس برضه.

كاد يفعلها، ولكن قلة خبرته حالت دون ذلك.

-ههه يا بني بلاش البكش واسمع الكلام، البنت دي لازم ترجع تقف على رجلها، أنا بنصح ننقلها لمصحة الدكتور «الشرنوبي» الله يرحمه، هو كان صديقي وابنه «فهد» أد المسؤوليه، وهي من أقوى المصحات النفسية في المنطقه دلوقتي.

-حاضر يا فندم.

-المصحه في سينا يا «عادل»، اعمل حسابك تسافر وتقعد هناك شويه.

يشرد الرائد «عادل» عند سماع كلمة «سيناء».

-يالّا يا بني مستني إيه؟

-ها... دلوقتي؟!

-لأ حالًا يا سيادة الرائد.

-حاضر... حاضر يا فندم.

قالها الرائد «عادل» وهو يقف شاعرًا بالمسؤولية التي أثقلت ظهره الضعيف، خاصة بعدما تذكر ما حدث لأخيه الوحيد منذ بضعة أشهر عندما كان في «سيناء» هو الآخر.

***

-يا عم هو جمال سينا بينسي كده؟

قالها الرائد «عادل» لأخيه عبر الهاتف ليجيبه الأخير من «شمال سيناء» ضاحكًا:

-«عادل» واحشني يا صايع.

-أنا اللي صايع برضه يا عم «فادي»؟ تلاقيك مقضيها على البحر.

-هو الصراحه البحر هنا جنه ياض يا «عادل».

قالها النقيب «فادي» صاحب الابتسامة البشوشة وهو ينظر عن يمينه إلى الخليج قبل أن يدلف إلى السوق التجاري ليشتري مستلزماته، حتى سمع صوت جهاز إرساله الموضوع في حزام زيه الميري.

-ثواني يا «عادل» معايا.

قالها النقيب «فادي» قبل أن يتحدث إلى جهازه اللاسلكي.

-أيوه يا فندم.

-انت فين يا سيادة النقيب؟

-أنا في السوق القديم حضرتك.

كانت هذه جملته الأخيرة قبل أن ينقطع الإرسال الذي كان (هو) يتصنت عليه بوضوح بعدما استطاع الولوج إلى شبكتهم، ليبتسم (هو) معطيًا تابعه الصغير إشارة البدء.

-نبرت فيها يا «عادل» يا فقري؟ أهم شكلهم بيستعجلوني في النقطه.

-تستاهل.. مش أخويا الصغير؟

-طيب طمني، أمك عامله إيه؟

-مفيش من ساعة ما سافرت وهي مركزه مع أبوك.

-وأبوك سيادة اللوا مستحمل؟

-هو شايف إن الداخليه بتاعت البلد كانت أرحم بكتير من الداخليه بتاعت البيت، وأنا الصراحة شايف معاه حق، وبحاول أقنعه يعط برا البيت.

-لا، ده أنا ألحق أرجع بقى قبل ما تخرب البيت.

قالها النقيب «فادي» قبل أن يلاحظ ذاك الرجل البدوي الذي يخطف طفلًا صغيرًا لم يتجاوز عمره الثامنة، من أمام السوق ويهرول هاربًا به وسط صمت الجميع، فلقد كان الرجلٍ يحمل بندقية خلف ظهره وهو يجري بجلبابه القصير الذي يعتلي بنطالًا أبيض ساعده على الإسراع.

خلاف الجميع سارع النقيب «فادي» في متابعة الخاطف شاهرًا سلاحه -غير منتبه لصوت اللاسلكي الذي كان لا يزال يلح عليه- مهرولًا خلفه خلال الحواري الترابية الضيقة، بين بيوت ساحلية صغيرة لم تكتمل بعد، متناسيًا أخاه الرائد «عادل» الذي مازال على الهاتف الموضوع في جيبه.

كان النقيب «فادي» محبًا للأطفال، وظلت نظرات الصغير تناديه ليتحمل الألم، ليقترب أكثر من الخاطف وقد أخذ يصعد تلا صغيرًا أبطأه كثيرًا، فباغته النقيب «فادي» من خلفه ليوقع الخاطف الصبي أرضًا، مكملًا صعوده، ومن خلفه النقيب «فادي» الذي أوقفته آهات الصبي، ليستسلم ويهبط إلى الطفل الذي تعفر بالتراب، ليجثو على ركبتيه ويبدأ بنفض الأتربة عن وجه الصبي واحتضنه بسعادة بالغة، فخورًا ببذلته التي يرتديها ودوره الذي قام به، وإن كان يشعر بألم شديد بصدره، حرقة تتخللها برودة الشتاء، قطع حادٍ يمنعه من التنفس، شل حركته وهو يشاهد الصبي يتراجع خطوة ممسكًا بسكين طعنه بها خلسة، اندهش النقيب «فادي» وهو ينظر إلى الطفل الأشقر الذي ابتسم له وهو يحمل السكين التي قتل بها منقذه للتو.

اكتشف النقيب «فادي» المكيدة وهو يمسك بجرح صدره، مدركًا نهايته الحتمية، متنبهًا أخيرًا إلى صوت اللاسلكي الذي حاول أن يحذره مرارًا، ليوفر «فادي» طاقته لاستغفار ربه، وسط اندهاش الطفل، ليسارع (هو) بالاقتراب من خلف النقيب «فادي» الجاثي على ركبتيه، فيخرج سلاحه الحاد من حزامه، و(هو) يمسك رأس النقيب «فادي» رافعًا إياه تجاه السماء لتتقابل عيناهما، ليبتسم (هو) مطيعًا لأوامري التي قضت بقطع تلك الحنجرة التي لطالما تجاهلتني ونادت خالقها الذي تركها تتعذب في الدنيا. تناثرت الدماء على وجه هذا الصبي فتذوقها بلسانه باستمتاع أبهجني، تدحرج جسد هذا الضابط المصري الذي عبرت دماؤه إلى أسماع أخيه من خلال الهاتف الذي سقط أرضًا في تراب «سيناء».

***

-مالك يا «عادل» متنح كده ليه؟

قالها اللواء «فاروق» إلى الرائد «عادل» وقد توقف دهرًا وسط اندهاش الجميع، حتى تنبّه أخيرًا إلى حديث رئيسه.

-ها.. لا أبدًا أنا آسف يا فندم، حضرتك تؤمرني بأي حاجه تانيه؟

-آه يا «عادل»، عايزك تخلي بالك على البنت، «ملك» بالنسبه لينا «مصر» فاهمني يا «عادل»؟

-فاهم يا فندم.

قالها الرائد «عادل» وخرج من الغرفة تلاحقه نظرات عطفِ الجميع الذين ظلوا صامتين برهة، حتى استطاع أحدهم مواجهة رئيسه قائلًا:

-يا «فاروق» بيه حضرتك ناسي موضوع «فادي» ولّا إيه؟ ده دمه لسه مابردش.

سكت اللواء «فاروق» لحظة واستنشق دخان سيجارته ثم قال مهمومًا:

-لأ فاكر يا سيادة العقيد، وعشان كده اللي هاقوله دلوقتي سري للغايه

ومااينفعش يخرج من الأوضه دي، وخصوصًا للرائد «هانى».

قالها اللواء «فاروق» الذي كان يعلم ضرورة إبعاد الرائد «عادل» عن القاهرة؛ درءًا لمكائدي.

***

من مكان ما في شمال «سيناء» أخذ أتباعي المخلصون يخططون لعمليتهم القادمة.

-إشمعنى الرائد «عادل» ده يا كبير؟

-عشان ظابط، ابن ظابط، وأخو ظابط.

قالها هذا الداهية معطيًا الرجل ظهره، مرتديًا معطفًا أسود طويلًا زاد من هيبته وغموضه، تغطي رأسه عمامة عربية، منافقًا -بدهاء- أتباعه. وإن كان أغلبهم من خارج سيناء، التف «دياب» ببطء، كاشفًا عني، فقد كان يشبهني كثيرًا، فهو رجل أسود القلب، ذكي إلى أبعد الحدود، قائد قوي، يعشق اقتياد الضعاف من البشر بكلامه المعسول وحجته الواهية، فلقد خلق فيه الخالق قدرة فريدة على السيطرة، فللرجل «كاريزما» غير مسبوقة، استطعت استغلالها طوال فترة تدريبه، ليتفوق الطالب على أستاذه في الكثير، ليصبح «دياب» أسطورتي في هذه البلاد، هذا الرجل الأربعيني خمري البشرة، صاحب الشعر الناعم الطويل نسبيًا، والذي يشبه الأتراك، بطول قامته وجسده الرشيق. زادت رهبة الرجل عندما نظر «دياب» داخله بعينيه الخضراوين اللتين يهابهما الجميع.

-ومش أي ظابط.

-إشرح أكتر يا كبيرنا.

قالها الرجل الذي حاول أن يتعلم الشر من أستاذه من داخل هذه الخيمة المستترة في إحدى بقاع شمال سيناء، حول هذه المائدة الدائرية المنخفضة العامرة بالأسلحة التي تعمر قلبي بذخائرها القاتلة.

-حاضر هاشرحلك، أولًا عشان أنا اخترته، وأنا لما اختار، انت تقول سمعًا

وطاعه بس.

-آمين يا كبير.

-تمام.. ثانيًا بقى الرائد «عادل» ظابط في الأمن الوطني، وثالثًا زي ما قولتلك أبوه برضه كان ظابط، والأهم من ده كله إن أخوه يبقى «فادي» اللي صفيناه الصيف اللي فات.

-بتاع «العريش»؟

-بالظبط كده.

-يعني كمان مسيحي.

ابتسم «دياب» للرجل فقد كان بالفعل من تابعيَّ الماهرين، لذلك كان اختياره للرائد «عادل» خبيثًا ذكيًا، فتكرار أحداث العنف المتتالية ضد المسيحيين سبيل لإشعال الفتنة الطائفية، كما أن مقتل شقيقين من الضباط في هذا الوقت القصير، سيضعف الروح المعنوية لجميع أفراد الداخلية، كما سيقلل من هيبة الدولة وسيادتها، وكان هذا الغرض الرئيسي لسياسة الجماعة.

-والله يا كبير دي تبقى خبطة معلم، وهانحرق قلب أهله عليه.

-مش أهله بس، دي الداخليه كلها، وكل كافر بدين الله تعالى.

-ونعم بالله، طيب يا ترى (هو) برضه اللي هاينفذ العمليه دي زي ما صفينا أخوه؟

***

من داخل غرفة الاجتماعات، تابع اللواء «فاروق» الإفصاح عن بعض المعلومات التي حصل عليها من أحد العناصر التي ألقي القبض عليها مؤخرًا، ليؤكد على أهمية إبعاد الرائد «عادل» عن القاهرة تأمينًا له.

-مش لازم «عادل» يرجع «القاهرة» قبل ما نأمن كل حاجه ونطمن عليه.

-والإخباريه جت ازاي يا فندم؟

-في عنصر من العناصر المشتبه فيها اللي اتمسكوا في سينا، طلع عضو في الخليه دي.

-واعترف بالسرعه دي يا فندم؟

سكت الجميع للحظات قبل أن يتابع الرجل حديثه:

-بالظبط كده، ولازم كل حاجه تمشي طبيعي، لغاية لما نقنعه يوصل لنا معلومات أكتر.

قالها اللواء «فاروق» قبل أن يقتنع الجميع بسرية الموقف، ليتابع الجميع مهامهم، ويقوم هو باتصاله بالدكتور «فهد» ابن «الشرنوبي» الذي استقبل المكالمة بانزعاج شديد من المصحة في «دهب»، ليستمع إلى طلب اللواء «فاروق» ثم أنهى المكالمة واتصل بمساعده «نبيل» ذلك الرجل الستيني أصلع الرأس، ذي الشارب الأبيض الخفيف، ضعيف البنية وقد كان كاتم أسرار والده الذي عينه منذ عمر طويل ليرثه الدكتور «فهد» مع المصحة ويكمل مسيرته معه، وإن لم يكن «نبيل» سعيدًا بطريقة إدارة الدكتور «فهد» للمصحة، منذ مقتل والده، لتصابيه وكثرة علاقاته النسائية التي حدت من تركيزه.

-أيوه يا «نبيل» معلش بكره تعالى بدري.

من داخل غرفة مظلمة كلاسيكية الذوق متواضعة الديكور والحجم، بها إضاءة خافتة، يظهر «نبيل» بالبيجاما يتحدث، بينما زوجته تعتدل في جلستها تتفقد الموقف، وهي سيدة بدينة في الخمسينيات من العمر.

-حاضر يا دكتور، من سبعه الصبح هاكون في المصحه.

أغلق «نبيل» الهاتف، فوجهت إليه زوجته سؤالها:

-في إيه يا «نبيل» خير؟

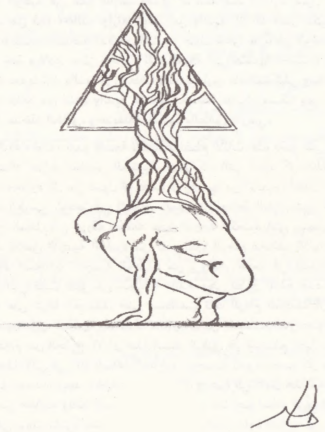
-الدور التالت......

يجيب «نبيل» ثم يتنهد ويؤكد مرة أخرى:

-الدور الثالث.

قالها «نبيل» وذهب بفكره إلى الطابق الثالث بالمصحة لأسبقه أنا إلى هناك كالطيف، مخترقًا نافذة غرفة «خالد»، ليتوقف (هو) فجأة كالممسوس، ثم تحرك ببطء تجاه المرآة راضخًا لأوامري رغم إرهاقه، لتعكس المرآة صورتينا فقط.... أنا و(هو).

***



«التاريخ في الوقت الحاضر ٧ أكتوبر الساعة ٩ صباحًا»

(٤)

في نهاية ٢٠١٤ وبعد أيام من فقدانه لنصفه الآخر كان «خالد» كعادته يصارع الأرق وهو ينظر إلى مروحة السقف التي أدارها رغم برودة الجو؛ فقط لينظر إلى حركتها البطيئة وهو مستلق على سريره بمنزل «حبيب» صديقه الوحيد في هذا العالم، والذي استقبله منذ أن ترك منزل جدته، وبالرغم من ثراء «خالد» وإرثه الوفير عن والديه، إلا أنه فضل مكوثه في منزل «حبيب» المتواضع بدلًا من استئجار منزل خاص؛ هربًا من الوحدة التي تلاحقه منذ ميلاده. سكن «خالد» تلك الغرفة التي صممها «حبيب» بروحه الشرقية بعدما ترك والديه في إيطاليا وعاد ليمارس فنه التشكيلي وسط سحر الشرق، جاعلًا من منزل والديه الفسيح بمنطقة «شبرا» مسكنًا ومرسمًا له، مستغلًا مدخله الخاص، وحديقته الصغيرة بالطابق الأرضي.

كانت غرفة «خالد» تبدو واسعة لافتقارها لقطع الأثاث، فلم تحتو على الكثير منه، فهناك خزانة الملابس الخشبية المتهالكة، التي تسند كلَ ضلفة منه الأخرى، محذرة كل من تسول له نفسه أن يفتحها من الانهيار، لتحتل ملابس «خالد» الكرسي الوحيد في المكان، الملاصق للحائط البارد عتيق الرائحة والدهان المائل إلى الزرقة حددته هذه الدرجة الكحلية التي رسمت وزرة وهمية، تلاصق الأرضية الفقيرة من كسر بقايا الرخام مختلف الألوان، ولم تحد تلك السجادة العجمية الوحيدة من برودته، خاصة في فصل الشتاء ورياحه التي ظلت تقلق من سكينة «خالد»، وهي تطرق نافذة هذه الغرفة المطلة على شرفة الحديقة، حتى استطاعت تلك الرياح العاصفة أن تفتح النافذة وتخترق المكان، مصارعة الستار الأبيض الشفاف الذي حاول منع هذا القادم من الخارج، إلا أن هذا الستار الرقيق قد استسلم أخيرًا ليجسد صورة هذا الآتي في تلك الساعة المتأخرة ، يجسده (هو)، يجسد كل ملامحه وتفاصيل جسده، ليجد «خالد» نفسه أمامه، و(هو) في كامل هندامه. تملك الذعر من «خالد» وفقد السيطرة على أطرافه، كما لُجم لسانه فزعًا، ليبتسم (هو) في برود، مقتربًا منه، محررًا هذا الستار الذي عاود أدراجه في هدوء،

وقف (هو) بين السرير والمرآة الموضوعة على يساره بجوار الباب.

- ماتخافش يا «خالد».

ظل «خالد» ساكنًا وكأن على رأسه الطير، ليكرر (هو) كلامه.

- بقولك ماتخافش.

حاول «خالد» استعادة رباطة جأشه، مستعينًا بإضاءة القمر الذي حد من عتمة الغرفة، فرفع الغطاء ببطء شديد، ثم أنزل قدميه من على السرير، منتعلًا نعليه ووقف مترددًا، يحاول النظر إلى هذا الوافد كالطيف، بينما عكست تلك المرآة المتهالكة صورة «خالد».

- انت إنس ولّا جن؟!

قالها «خالد» مستفهمًا، ليجيبه (هو) في برود.

- صدقني مش مهم يا «خالد»، المهم إن رحلتي خلصت، وتذكرتي كانت رايح بس.

- مش فاهم!

أخرج (هو) صورة فوتوغرافية يعرفها «خالد» جيدًا لامست قلبه الطيب، ليكمل (هو) طلبه.

- يعني مشواري خلص، بس تذكرة العوده معاك إنت، لازم ترجع بيهم يا «خالد»، أنا سايبهملك أمانة، ورغم اختلافنا الكبير، إلا إني عارف إنك هاتحميهم كويس من بعدي.

استطاع «خالد» إدراك ما كان يرمي إليه شبيهه في المرآة، ليؤثر الصمت.

- إوعدني إنك تحافظ على الأمانه وترجع بيها.

سكت «خالد» ليصيح (هو) مرة أخيرة.

- إوعدنيي.

-حااااضر....حاضر.

قالها بصوت قوي رغم ذعره، لينبه «حبيب» الذي كان ما زال مستيقظًا يتناول عشاءه كعادته في تلك الساعة من الليل، فهو نهم؛ مما انعكس على جسده القوي، فقد كان «حبيب» طويل القامة، قوي البنية مثل «خالد» وإن كان أسمر البشرة، عسلي العينين وذا شعر بني ناعم مميز طويل، عقده كالفتيات، بطريقة غربية متماشية مع الخواتم التي شغلت كل أصابعه والوشوم التي سكنت ذراعيه. ترك «حبيب» طعامه وتوقف بجانب إحدى لوحاته الزيتية الموضوعة على حامل الرسم، مندهشًا من صوت «خالد» المرتفع وهو متردد في قطع خصوصية صديقه، حتى سمع «حبيب» تصاعد صراخ صديقه مرة أخرى، ليحسم أمره ويتجه إلى غرفة «خالد» مقتحمًا إياها مفزوعًا دون استئذان، عاجزًا عن فك طلاسم المشهد في الظلام، فيقوم بإضاءة المكان بهذا الكشاف الذي يتوسط المروحة بإضاءته الصفراء البائسة، كاشفة «خالدًا» وحيدًا في الغرفة وهو لا يزال واقفًا يتحدث إلى نفسه بالمرآة، فيتسمر «حبيب» في مكانه ناظرًا إلى صديقه الذي يرمق نفسه في المرآة باحثًا عن شبيهه المختفي، بينما كان الستار لا يزال يتحرك بعنف بفعل الرياح الشتوية، ليتوجه «حبيب» إلى النافذة ويغلقها في صمت، قبل أن يعطف على صديقه بتلك النظرة المشفقة التي لامس بها كبرياءه.

-«خالد» إحنا محتاجين نتكلم.

-نتكلم في إيه يا «حبيب»؟!

قالها «خالد» مستنكرًا.

-انت فاهم كويس أنا أقصد إيه، انت من ساعة موت أخوك وانت مش طبيعي.

-تقصد بقيت مجنون؟!

قالها «خالد» بعصبية وكبرياء، لينفعل «حبيب» قائلًا:

-يا «خالد» حرام عليك، أنا صاحبك الوحيد، وانت كمان أقرب حد ليا في مصر من ساعة ما رجعت من إيطاليا، ماينفعش أنافقك يا «خالد»، وانت مش طبيعي.

-يعني هو انت جيت مصر عشاني؟

-يا «خالد» أنا مقلتش كده، بس انت عارف كويس غلاوتك عندي.

لم يجِب «خالد» وظل شاردًا، ليتابع «حبيب»:

- «خالد» أنا مؤمن بيك - كفنان - أكتر من نفسي، ماتخليش صدمه زي دي تهزك.

-صدمه!

قالها «خالد» باستخفاف، ليحرج «حبيب» موضحًا.

-أنا عارف إنها مش صدمه واحده، بس برضه الفنان اللي جواك أقوى بكتير، أنا مش هارجع «دهب» غير لما أطمن عليك.

-يعني عايزني أعمل إيه؟

-انت عارف يا «خالد».

قالها «حبيب» بقوة ليستسلم «خالد» يائسًا.

-حاضر يا «حبيب» أوعدك إني أشوف دكتور.

يبتسم «حبيب» لصديقه ويربت على كتفه قائلًا:

-خلي بالك من نفسك يا صاحبي، تحب أنام جنبك؟

ساخرًا يعلق «خالد».

-يا بني اللي انت بتقوله ده عيب وحرام.

-انت تطول؟ يالا تصبح على خير.

قالها «حبيب» وتوجه إلى الباب، فسمع «خالدًا» - معلقا -:

-وانت من أهله يا صاحبي..... «حبيب».

-أنا مبقاش ليا غيرك في الدنيا.

ابتسم «حبيب» وخرج، ليظل «خالد» ينظر إلى نفسه في عمق المرآة، متفقدًا سلامة عقله، فتيقن من جنونه قبل أن ترشده حركة الستائر إلى تلك الصورة الفوتوغرافية الواقعة على الأرض، اقترب منها مسرعًا، ليمسكها بسعادة، شاعرًا بسلامة عقله، ليبتسم عندما تعرف على صاحبة الصورة، فهي فريدة من نوعها. نعم كانت هي «فريدة». أدرك «خالد» أنه مجبر على حمل تلك الأمانة، قبل أن تنطفئ الأنوار ويعاود الظلام، ليظل (هو) يبحث عن «سر الثالوث الأوحد».

***

استيقظ «خالد» مرة أخرى من أحلامه وجبينه يتصبب عرقًا، فلقد ذكره للتو هذا الحلم بحقيقة كان يحاول الهروب منها، وإن حاول إنكارها. ظل يبحث عن مسكناته قبل أن يتذكر أن قد مُنع منها، لتوجه هي حديثها إليه.

-وحشينك؟

فُزع «خالد» ونظر إلى مصدر الصوت عن يمنيه محاولًا الاستيفاق، فوجدها أمام باب غرفته، تقف محدقة فيه بثبات غريب، غير مكترثة لاندهاشه.

-انتي مين، ودخلتي هنا ازاي؟!

في هدوء أجابت:

-أنا «ملك».

انفعل «خالد» وانكمش في سريره خائفًا.

-«ملك» مين؟!

-«ملك» بنت «حوا» و«آدم».

-انتي إنس ولّا جن؟

ضحكت «ملك» وأجابت في هدوء كعادتها، مكررة نفس الإجابة.

-أنا «ملك»، بنت «حوا» و«آدم».

لم يستوعب «خالد» حديثها، والتف يتمتم في سره، أن استيقظ من هذا الحلم. مغطيًا وجهه بكلتا يديه، إلي أن سمع صرير فتح الباب، فالتفت ليجد الدكتورة «نور» تنظر إليه في اندهاش:

-مالك يا «خالد» في إيه؟!

حاول «خالد» استيعاب الموقف، ثم اتجه إلى «نور» وأمسك يدها مترجيًا:

-أرجوكي، عايز الحبوب، الهلاوس هاتجنني.

في انزعاج سألت «نور»:

-هلاوس إيه؟

في تردد أجاب «خالد»:

-«ملك»!

-مالها «ملك»؟

-مش عارف أنا لاق....

توقف «خالد» عن الحديث وتنبّه إلى إجابة «نور».

-إنتي شوفتيها؟ يعني أنا مش مجنون!

بسخرية أجابت «نور» وهي تجلس على المقعد المعدني.

-هي دي بقى الهلوسه؟

-يعني هي موجوده بجد؟ إنس يعني؟

تساءل «خالد» وهو يشعر بنصر ما.

-أيوه «ملك» بنت جديدة جت المصحه النهاردة.

-«ملك» بنت «حوا» و»آدم»؟

بابتسامة أكدت «نور»:

-أيوه يا «خالد» والله هي، جت من حادثة «الأتوبيس».

في تعجب تابع «خالد».

-يعني إيه؟!

-يعني ربنا كتبلها عمر جديد.

هذا ما كانت «نور» تحاول تصديقه، فهي تحاول التمسك بعقيدتها، ورسم صورة خالقها بالشكل الذي تريده، منكرة الواقع الأليم الذي عاشه باقي ركاب الحافلة الذين لقوا حتفهم، لأذكرها أنا بهم، فتتابع في حزن.

- «ملك» هي الناجيه الوحيده من المذبحه اللي حصلت بالظبط زي ما انت قلتلي، مش هي دي اللي انت كنت تقصدها، صح؟

في نكران واضح تساءل «خالد».

-قلتلك إيه؟

في إصرار نفسي، كررت «نور» كلامها:

-انت مش قلتلي إن كل ركاب «الأتوبيس» ماتوا ماعدا هي؟

-وأنا هاعرف منين؟

قالها وأدار وجهه، لتحدق «نور» أرضًا في إحدى اللوحات الواقعة خلف سريره، فتوجهت إليها في فضول والتقطتها ثم وقفت مرة أخرى بجواره، مديرة وجهه إليها بيدها اليمنى مشيرة إلى لوحة الحافلة التي رسمها «خالد» واضعًا شواهد لركاب الحافلة خارجها يسار اللوحة، بينما رسم طفلة وحيدة على الجانب الأيمن بجانب توقيعه.

-مش دي «ملك» برضه، مش ده رسمك؟

سكت «خالد» ودمعت عيناه قائلًا:

-ده كان حلم، مجرد حلم ورسمته.

ابتسمت «نور» وتركت اللوحة بجانبه، فأمسكها وشرد قائلًا.

-سبحان الله!

قالها ناسيًا ليغضبني حديثه، فوسوست إليه ليتذكر ما أصابه، فتملكه الغضب.

-مالك يا «خالد» في إيه؟

-ولا حاجه، أصلها فكرتني ببنتي.

سكت لحظة ثم تابع - غاضبًا -:

-بنتي اللي اتخدت مني وهي ورده مفتحه.

اقتربت «نور» منه محاولة تهدئته ببعض الكلمات العقائدية المبتذلة.

-خليك مؤمن يا «خالد»، الموت واقع ولازم نعرف نتعامل معاه.

-مؤمن هههه! عايزاني آمن بإيه؟

-بربنا يا «خالد».

-أنا مشفتش «ربك» ده، كان فين وأنا كل حاجه حلوه بتروح مني؟

اندهشت «نور» من لهجته وحاولت تشتيته.

-طيب يا سيدي، لو مفيش ربنا، إزاي في «إنس» و«جن»؟ مش ده كلامك؟

سكت وجلس على سريره، لتكمل «نور» عملها.

-ممكن طيب تقولّي ليه افتكرت «ملك» جن؟

في استسلام أجاب.

-عشان الحلم.

أخرجت «نور» نظارتها وبدأت في تدوين بعض الملاحظات.

-آه، انت حلمت حلم جديد؟

وافقها مجيبًا.

-أيوه حلم، بس مش جديد.

تنبّهت «نور» ليتابع:

-حلم، بس قديم، شوفته فيه.

توقفت «نور» عن الكتابة بعد أن استرعى انتباهها.

-شوفت مين؟

بخوف شديد، وحرص أجاب.

-(هو).

قالها قبل أن يسترسل في الحديث، ليبدأ سرد الحقيقة، منذ كان في منزل جدته.

***

من داخل غرفة «نور» بالطابق الثالث، كان دكتور «فهد» يتحدث مع الرائد «عادل» الذي جلب «ملك» إلى المصحة في هذا الوقت الباكر من الصباح.

-الحالة دي بنسميها Ptd أو الـPost traumatic disorder، يعني أعراض ما بعد الصدمة، أو الحادثة.

قالها الدكتور «فهد» موضحًا حالة «ملك»، ليستفهم الرائد «عادل».

-يعني متوقع حالتها تستقر قريب؟

-مفيش خوف نهائي يا سيادة الرائد.

-وموضوع أمها ده يا دكتور؟

كان الرائد «عادل» متوترًا من ادعاءات «ملك» بنجاة أمها من الحادث وأنها من كانت ترعاها كل تلك الفترة.

-والله على حسب كلامكوا إنكم مش لاقين جثتها، يعني وارد فعلًا تكون عايشه.

-وارد، طيب عمومًا سيادة اللوا بيأكدلك على سرية وجود «ملك» هنا مؤقتًا.

-أنا متفهم يا فندم، وسيادة اللوا «فاروق» كلمني بنفسه، الحالة هاتكون هنا في الدور التالت، تقدر تعتبرها مش موجوده أصلًا.

-طيب حاجه أخيره يا فندم.

-أنا في خدمتك.

قالها الدكتور «فهد» محاولًا إنهاء الحديث.

-هو أنا إمتى أقدر أتكلم مع «ملك» وآخد منها معلومات؟

-هو ده الكلام اللي يزعل كالعاده.

-لا والله أبدًا، أصل أنا هافضل هنا لغاية لما آخد أي معلومة، قبل ما أرجع مصر.

كان الرائد «عادل» صادقًا بالفعل، فما كان ليعود إلى رئيسه دون إجابات واضحة.

-طيب عمومًا أنا بكره هابدأ أبلغك، ممكن يكون أسرع مما تتخيل لو ربنا أراد.

-إن شاء الله، خلاص، شكرًا يا فندم، ألف شكر، وده رقمي مع حضرتك.

-أوك، تمام.

-تحياتي يا دكتور، وفي انتظار مكالمتك.

قالها الرائد «عادل» وغادر ليترك الطابق الثالث تاركًا معه الكثير من الغموض الذي لن يخرج من هذا الطابق ما بقيت أنا فيه.

***

وقف هذا الشاب سعيدًا بثقة سيده الذي ظل يلقنه ما سيفعل في ساعته الأخيرة قبل أن يقابل ربه، بينما كنت أنا أراقب في استمتاع هذه الخطة الممزوجة بالألم، ليتحرك «دياب» بخطوات هادئة نحو الشاب الذي وقف في منتصف الخيمة التي أضاءها نور القمر وإن اختارت فقط وجه «دياب»

لتكشفه.

-لازم تعرف أد إيه أنا حزين إن الدور جيه عليك، بس برضه مبسوطلك. حقيقي مفيش حاجه تغلى على ربنا.

سكت لحظة واقترب من وجه الشاب المظلم.

-عشان كده مش إحنا اللي اخترناك، ده ربنا، فاهم يعني إيه ربنا؟

قالها «دياب» بقوة مخترقًا الشاب المطيع الذي دمعت عيناه خشوعًا ليكمل.

-وإحنا عبيد ربنا وخدامه، وهانعمل أقصى جهد عشان ننفذ مشيئته.

تابع الشاب النحيب، سعيدًا بلقاء ربه المنتظر، وإن كنت أنا من يستعد لاستقباله، فسيكون الحفل صاخبًا.

-عيط...أنا عارف إن ده كان حلم حياتك، والحمد لله ربنا كرمني وهاحققهولك، ولازم تعرف إن أهلك هايكونوا في عهدتي أنا شخصيًّا.

ابتسم الشاب في الظلام، قبل أن يتابع صديقي:

-يالا يا وحش في حفظ الله.

قالها «دياب» واحتضن الشاب مودعًا إياه، قبل أن يغادر ليتركنا إلى خلوتنا وطقوسنا.

***

من داخل اجتماعات الأمن الوطني كان اللواء «فاروق» لا يزال ساهرًا مع مساعديه، قبل أن يقطع المقدم «سيف» الاجتماع متوترًا، وهو رجل أربعيني، أجنبي المظهر، فهو أبيض البشرة، ذو شعر خف مع الوقت، ليغطي رأسه القليل منه، وزنه زائد بضعة كيلوجرامات؛ فهو ضعيف دائمًا أمام شهوات جسده.

-مساء الخير يا فندم.

-خير.. إيه؟ أنا من ساعة ما جيت هنا ماشوفتش خير.

ضحك الرجال ليعلق المقدم «سيف».

-الصراحه، عندك حق يا فندم.

-ها، هات اللي عندك.

-العنصر المتراقب هاينزل القاهرة في خلال ساعات.

اعتدل اللواء «فاروق» في جِلسته متنبهًا للحديث قائلًا:

-طيب أنا عايز «عادل» ما يتحركش خطوه واحده من غير تأمين ومن غير ما يحس، وأكدوا على سرية مكانه، وزودوا المراقبه على بيت أهله

-ماتخافش يا فندم العنصر ده هايتصفى قبل ما يدخل القاهره.

قالها أحد الضباط قبل أن يعلق المقدم «سيف».

-أنا آسف حضرتك، بس مش هاينفع.

-أفندم!

علق الضابط ذو الرتبة الرفيعة، ليوضح المقدم «سيف» الذي كان يتمتع بدهاء كبير.

-أصل حضرتك إحنا عرفنا مين اللي ماسك الخليه.

سكت المقدم «سيف» لحظة لينطق الاسم بوضوح.

-«دياب»......الشيخ «دياب».

عمَّ الصمت المكان، بينما وقف اللواء «فاروق» تاركًا مقعده ليتذكر ما حدث له في لقائه الأول بـ»دياب» منذ بضع سنوات عندما كانت الأمور مختلفة.

***

في صيف ٢٠١٢ دخل المقدم» سيف» إلى مكتب اللواء «فاروق» بوزارة الداخلية، ولم يكن قد وصل إلى مكانته المرموقه بعد، وإن كان ذا سلطة واسعة في الجهاز.

-مساء الخير يا فندم.

-نفسي مره أصدقك يا «سيف».. خير؟

-الشيخ «دياب».

-مش بقولك نفسي مره أصدقك.

-طيب اسمع الأخبار بس حضرتك.

-هات ما عندك.

-مسكناه بيحاول يهرب ملفات تسجنه متين سنه.

وقف اللواء «فاروق» سعيدًا مقتربًا من تلميذه.

-ملفات إيه؟

-معلومات عسكرية، لازم حضرتك تبص عليها بنفسك.

-وهو فين دلوقتي؟

-اتحجز في مكتبنا في المطار، قبل ما يسافر «إسطنبول».

-ومستني إيه؟ يالا حالًا.

قالها اللواء «فاروق» وتحركا سويًا إلى خارج المبنى ليستقلا سيارة اللواء «فاروق» الذي أصر على القيادة بنفسه، ليخترق الزحام بتوتر وإصرار حتى وصلا إلى مطار القاهرة الدولي في دقائق معدودة، ليتابعا خطواتهما السريعة إلى ذلك المكتب الصغير، المفضوح بحوائطه الزجاجية.

دخل اللواء «فاروق» وحده وانتظره المقدم «سيف» بالخارج، بينما كان «دياب» جالسًا مرتديًا بذلة سوداء راقية، وحذاءً لامعًا يدل على أناقة واضحة، غير مبالٍ بالأصفاد الموضوعة في يده. كان المكان صغيرًا لا يحتوي إلا على مكتب معدني جلس «دياب» أمامه، ليعتليه اللواء «فاروق» محدقًا إلى الكثير من الملفات والصور الفوتوغرافية الموضوعة عليه، ثم قال:

-إيه ده كله؟ دي ملفات تودي النار مش السجن.

ضحك «دياب» غير مبالٍ ثم قال:

-مش انت اللي هاتتكلم عن الجنه والنار.

-اللهم قوي إيمانك يا شيخنا، انت عارف أنا مستنيلك اللحظة دي من إمتى؟

ابتسم «دياب» مستفزًا اللواء «فاروق» الذي تابع:

-من ساعة ما كنت مقدم.

-عارف يا «فاروق».

سكت «دياب» لحظة ثم تابع:

-مش «فاروق» برضه؟

-إسمها اللوا «فاروق»، واضح إنك مش فاهم المصيبه اللي انت فيها.

قاطعه «دياب» بقوة أقلقت اللواء «فاروق».

-مفيش مصيبه....ومفيش لوا.

قالها بتحدٍّ وثقة وأضاف:

-واضح إنك لسه عايش في العصر البائد، مادوقتش طعم الثورة.

قالها -مسترسلًا في ضحك هيستيري- حتى تنبّه الجميع بالخارج إلى تابعي الأمين الذي زرع الخوف في جميع العباد، ليتابع الضحك وأتابع أنا ابتسامتي، حتى قطع خلوتنا هذا المندوب الذي أرسلناه، ليفك قيوده أمام أعين اللواء «فاروق» المذهول.

-حضرتك بتعمل إيه؟

لم يبالِ المندوب وتابع اعتذاراته إلى «دياب» مبلغًا إياه أسفه الشديد على ما بدر من ضباط الداخلية الذين لم يتبعوا التعليمات، والإجراءات الصحيحة في القبض عليه، ليقف «دياب» متابعًا ضحكاته، مادًا يده إلى الملفات الموضوعة أمام اللواء «فاروق» الذي أمسك بيد «دياب» في حزم، ووجّه سؤاله الأخير إلى مندوبنا السامي.

-حضرتك بتعمل إيه؟ وتبع مين بالظبط؟

دخل المقدم «سيف» أخيرًا ليتدارك رئيسه المهزوم قائلًا:

-الأستاذ مندوب من الرياسه يا سيادة اللوا.

قالها المقدم «سيف» ليترك اللواء «فاروق» يد «ديابٍ» عاجزًا عن منعه، ليكمل الأخير ضحكاته التي اعتلت سماء القاهرة وصولًا إلى «إشسطنبول».

***



«التاريخ في الوقت الحاضر ٧ أكتوبر الساعة ٦ مساءً»

(٥)

في عام ٢٠١١ كان «خالد» لا يزال في منزل جدته بميدان الإسماعيلية بـ«مصر الجديدة»، ذلك الحي الذي يحاول سكانه التمسك بالماضي الأصيل، كدويلة داخل الدولة، يحاول كل من فيها الحفاظ على آدميته ومصريته. كانت شقة الجدة تقع في عقار بشارع فرعي، مقابل الكثير من المحلات القديمة والدكاكين الصغيرة، وصولًا للمسجد الذي يتربع على ناصية الشارع الرئيسي. من حيث ظهر «حبيب» في الظلام. كانت الساعة تتعدى الثالثة فجرًا وكان برفقته فتاة محتشمة بعباءة سوداء فضفاضة. كانت الفتاة رشيقة وطويلة بعض الشيء، رفعت عباءتها كي تستطيع الإسراع في خطواتها لتجاري «حبيب» في مشيته والذي كان يمسك بيدها في توتر، حتى اقترب من عقار جدة «خالد» القديم الذي بني في السبعينيات، ليدخلا بسرعة من باب حديدي متهالك مارين بممر ضيق، بينما رفع المؤذن أذان الفجر، هرع «حبيب» والفتاة إلى داخل العقار شاهق الأسقف، والذي كانت سلالمه الداخليه يتوسطها بئر واسع للسلم، يواجه ردهة كبيرة لكل طابق به شقة واحدة، وإن كان لكل منها ثلاثة أبواب، مدخل رئيسي في المنتصف، ومدخل خدمي للمطابخ عن اليسار، ومدخل ثانوي عن اليمين، يؤدي لغرفة «خالد» في طابقه الأرضي. سمع «حبيب» صوت باب ينفتح في الطابق العلوي، وخطوات لرجل يسبح ربه، فطرق «حبيب» باب شقة «خالد» مسرعًا، بينما ظل يطلبه على هاتفه الخلوي، في حين لمح خطوات المصلي تتقارب على السلم.

-إفتح يا «خالد» الله يحرقك.

ظل المصلي تتقارب خطاه حتى فتح «خالد» بابه، ليدفع «حبيب» بالفتاة بقوة بين أحضان صديقه داخل الشقة، قبل أن يلتفت للخارج إلى الرجل الذي فطن إليه أخيرًا.

-محتاج مساعده يا حاج؟

نظر له الرجل شاكرًا.

-تسلملي يا بني، رايح تصلي؟

-لا، أنا صليت يا حاج الحمد لله، انت عارف الفجر مابيستناش.

تعجب الرجل من جملة «حبيب» غير منتبه للصليب الذي وشم ذراعه اليمنى، ليغادر الرجل ويدخل «حبيب» بسرعة إلى الداخل موصدًا الباب.

-إيه اللي بتعمله ده يا ابن المجنونه؟

قالها «خالد»، ليجيبه «حبيب».

-وليه قلة الأدب دي بس؟

-يا بني ده بيت جدتي، مش المرسم بتاع أبوك.

-أنا الحق عليا إني بعبرك.....يالا يا بنتي.

قالها «حبيب» مشيرًا للفتاة التي كانت قد خلعت عباءتها للتو، كاشفة عن حذاء عالي الكعب أسود رشيق، وخلخال ذهبي بسيط، ليتنبّه «خالد» إلى أن هذا هو فقط ما كانت ترتديه الفتاة، لينظر كل من «خالد» و«حبيب» للآخر!

-وربنا ما في حد هايتحرك من مكانه.

ابتسم «حبيب»، مادًا يده اليمنى لصديقه، ليقبلها «خالد» ساخرًا.

-رغم إني بقرف من خواتمك بس تستاهل.

-طبعًا أستاهل.

-مش انت يا ابن الهبله.

قالها «خالد» وهو يتجه إلى الفتاة الغجرية، مصرية الملامح.

-ماشي يا عم، مين فينا اللي هايبدأ الأول؟

كان «خالد» قد اقترب بالفعل من الفتاة ملامسًا شعرها الأسود المموج الطويل، ليقول شاردًا:

-لا، إحنا هانشتغل سوا.

انزعجت الفتاة بملامح وجهها الأسمر الهادئ، قبل أن يمسك «خالد» برأسها ليجبرها على الاستلقاء على «تشيزلونج» يمتلكه بجانب الباب الذي يؤدي إلى تراس خارجي يطل على الشارع، ويضم غرفته والصالة الخارجية، ثم خلع قميص بيجامته الحمراء، كما فعل «حبيب» وخلع قميصه الأبيض، ليجلس بجانب صديقه خلف حاملي اللوحات المنصوبين خلف باب الغرفة.

من ثم يبدآن كلاهما رسمهما، تلك الفتاة العارية، والتي ساعدت إضاءة الغرفة الصفراء على خلق الكثير من الظلال على جسدها المثير، لينظر «خالد» إلى تلك الثريا الحديثة من الزجاج العصري التي تتوسط سقفه في سخط، ليتوجه إلى «أباجورة» رأسية متحركة بجانب الخزانة ليقربها من الفتاة، ثم جعلها تسند ظهرها إلى «الشيزلونج» واضعة يدها اليمنى خلف رأسها، ثم خلع عنها حذاءها المُكعَّب، لترفع رجلها اليمنى على الأخرى.

-تمام كده يا «خالد»، بقولك إيه فين «النيوتيلا»؟

-عندك فوق التلاجه.

توجه «حبيب» إلى جانب السرير حيث كان بجواره ثلاجة صغيرة وجد عليها غايته بجوار ميدالية «خالد» المفضلة إليه والتي كانت مكونة من قطعتين مركبتين داخل بعضهما، جزءهما الأول ذهبي لحيوانين متماثلين تتعلق بهما قطعة ثانية فضية اللون لكائن شرس غريب الشكل، أمسكها «حبيب» باندهاش ثم تركها يائسًا، ليفتح عبوة الشيكولاتة ليلعق بأصبعه منها قبل أن يتوجه إلى الفتاة العارية ليمرر أصبعه الملطخ بـ«الشيكولاتة» على شفتيها وحتى ثديها الأيسر، قبل أن يلعق أصبعه أخيرًا، دون أن تعترض الفتاة التي كانت تعرف طريقة عمل «حبيب» ونزاهته في حسابها، ليعود إلى مكانه بجانب «خالد» الذي بدأ في وضع خطوطه الانسيابية ليرسم برصاصه تلك الانسيابات التي أبدعها الخالق ليُمتع بها الأعين التي تقدر كمالها، هذا بينما فضل «حبيب» البدء بألوانِ الزيت مستخدمًا كفيه وأصابعه، مستمتعًا بلون بشرة الفتاة الخمرية، محركا كلتا يديه عن ظهر قلب وكأنه درس تشريح هذا

الجسد المثالي مسبقًا.

-عملت إيه في موضوع الانتخابات؟

تعجب «حبيب» متسائلًا:

-انتخابات إيه دلوقتي.. انت أمك ماربتكش؟

-أنا فعلًا أمي ماربتنيش، جدتي هي اللي حاولت. وبالمناسبه انت لو مسمعتش كلامي، كلها كام شهر، ومش هانعرف نرسم رسمه زي دي تاني، هايتقام علينا الحد.

ابتلع «حبيب» ريقه ثم قال:

-ليه سد النفس ده بقى؟ عمومًا كل حاجه اتظبطت على النت خلاص.

كان «حبيب» قد تشتت انتباهه في الرسم، بينما ظل «خالد» يتابع كالماكينة، يرسم باحترافية عالية.

-والمطبوعات يا «حبيب»؟

-اطبعت، مش عارف انت كلفت نفسك ليه؟ دي «مصر الجديدة» يا بني، مستحيل حاجه من اللي في دماغك تحصل.

-زيادة أمان، انت عارف إن حملة المرشح بتاعهم ده أجروا مقر جنب المسجد هنا في آخر الشارع.

-والله لو أجروا الشارع كله، إحنا مسيطرين هنا، ولو عايز تدفع فلوس زيادة تعالى اتبرع عندنا في الكنيسه وأخلي أبونا يدعيلك، يمكن يفك عقدتك، وتصاحبلك مزه بدل ما انت مقضيها رسم.

-اسم الله عليك.

قالها «خالد» الذي أنهى لتوه رسمة من أروع ما رأى «حبيب» الذي رفع يده الملطخة بالألوان مستسلمًا لبراعة خليله، ليوقع اسمه أخيرًا يمين اللوحة، قبل أن تراقص أشعة الضوء جسد الفتاة معلنة عن شروق الشمس، بينما ظل

الصديقان يتسامران، فلقد كانا بالفعل أخوين، وإن كان «خالد» يجهل من (هو) أخوه الحقيقي!

***

-مالك يا «خالد»؟

قالتها «نور» بعدما لاحظت إعياءه.

-كفاية بعد إذنك.

-حاضر يا «خالد» نكمل بكرة، أنا كده كده محتاجه أطمن على «ملك».

لفت الاسم انتباه «خالد» ليتساءل.

-هي هاتبقى معانا هنا في المصحه؟

ابتسمت «نور» وأجابت.

-بإذن ربنا.

-وهي عندها إيه؟

وقفت «نور» ونظرت إلى ساعة يدها وقالت:

-عندها اللي عندك يا «خالد».

تنهدت «نور» قبل أن تضيف.

-اللي عندنا كلنا.

-وهو إيه اللي عندنا يا دكتوره؟

ابتسمت «نور» وربتت على كتفه وقالت:

-تقصد ماعندناش إيه يا «خالد»، كل واحد مننا ناقصه حاجة، بس هي دي دايمًا إرادة ربنا.

سكتت وظهر الرفض على «خالد»، فلم أصبح يؤمن بظلم خالقه، وغدا رافضًا

لإرادته مثلي، لتعلق «نور».

-شايفة الرفض في عينك.

ابتسم موافقًا لتتابع «نور»:

-عشان كده هي زيك بالظبط، عندها حالة رفض.

تعجب واستفسر قائلًا:

-رفض إيه اللي عندنا؟!

-رفض الحقيقه يا «خالد».

-وهي إيه الحقيقه؟

قالها «خالد» جادًا جاهلًا الكثير من الحقائق والأسرار، كـ «سر الثالوث الأوحد»، فكل جسد فان، ولكنه يمتلك روحًا لا تفنى، بل تهجره وتظل تبحث عن مكان ما هربًا منٍ ربها، فليست كل الأرواح طاهرة، بل هناك أرواح نجسة، تلك الأرواح غاضبة متمردة، كثيرًا ما تغادر أبدان أصاحبها في حياتهم، عند نوم الجسد أو غيبوبته، تتركه لتنشر في الأرض فسادًا، حتى يتوقف البدن عن الحياة، ويصير جثمانًا، فيظهر عليها الرفض، رفض ترك تلك الدنيا، فلن يستقبلها خالقها في جنته على أية حال، وماذا إذن؟ فسأستقبلهم أنا ها هنا، فليس الجحيم كما يظنون، فالظلام أعتم مما يدركون.

***

كان مقر الحملة الانتخابية للمرشح الديني الذي يبغضه «خالد» قائمًا في نفس شارع جدته بميدان الإسماعيلية، شقة مستأجرة تم ملؤها بالمواد الإعلامية الإسلامية المتعصبة، ظهر فيها في تلك الساعة العصيبة «وحيد» وهو شاب أسمر في أواخر العشرينيات، نحيف الجسد، متوسط الطول، ضعيف النظر، على عينيه نظارة سميكة، قد أطلق لحية خفيفة، تخفي حقيقته، فلقد كان «وحيد» ضعيف الشخصية، مطيعًا لأسياده الذين يلقنونه أوامري.

بجواره جلست «نشوى» خطيبته، وهي فتاة عشرينية بيضاء البشرة، خلابة

الملامح، تخفي إبداع خالقها بذلك الخمار البغيض الذي يغطي شعرها الأحمر المموج، كما فعلت بجسمها المثير الممشوق وغطته بملابس فضفاضة قبيحة المنظر.

-أنا قلقان أوي، يا «نشوى»، خايف التعب ده كله يروح هدر.

-ماتخافش يا «وحيد» إن شاء الله ربنا هاينصرنا، إحنا تعبنا في حملة الدكتور أوي.

-أنا الأستاذ «دياب» وعدني لو الدكتور كسب إني أخش الجماعة معاه رسمي، وانتي عارفه يا «نشوى» دي أكتر حاجه بحلم بيها في الدنيا.

كان هذا حلمه الواهي الذي خدع به خطيبته الجميلة.

-وأكتر مني أنا كمان يا «وحيد»؟

كاذبًا أجاب «وحيد».

-حرام عليكي تقولي كده، انتي أهم حاجه عندي في حياتي، إن شاء الله لما نتجوز تعرفي أنا بحبك أد إيه، بس الجماعه دي ستر، وكمان انتي عارفه إن رضاهم من رضا ربنا علينا.

-ماشي يا بكاش، ناقص أد إيه على النتيجة؟

-إستني كده.

يخرج «وحيد» هاتفه ويتفقد حسابه الشخصي على «الفيسبوك»، قبل أن ينزعج جدًا من صفحة «خالد» التي كانت تنشر منشورًا معاديًا لمرشحهم كالعادة.

-أنا مش عارف الراجل اللي اسمه «خالد إبراهيم» ده ملته إيه!

-عمل إيه تاني؟

يعطيها «وحيد» الهاتف لتتفقده.

-إتفضلي شوفي.

تنظر «نشوى» إلى منشورات «خالد» بضيق لتقول:

-ربنا يهديه بقى، ما هي الفلوس أحيانًا بتبقى نقمه من ربنا.

قالتها قبل أن يدخل شخص ما، ليعكر صفوهما قائلًا:

-النتيجه طلعت...

***

من مقر الأمن الوطني بالقاهرة تابع اللواء «فاروق» شكوكه.

-أكيد «دياب» ورا حادثة الأتوبيس، طالما رجع «مصر».

-مش بعيد طبعًا يا فندم، هو من أكتر العناصر اللي عندها القدره على غسيل المخ، وزرع الفكر الاستشهادي في عقول عناصر انتحارية.

هذا ما قاله المقدم «سيف» إلى اللواء «فاروق» الذي كان ينصت إليه بتركيز بعدما غادر الجميع.

-الحادثة دي تحدي لينا قدام العالم، لازم العقل المدبر نفسه يتحاسب.

-عشان كده يا فندم، إحنا لازم نرصد العنصر اللي جاي القاهرة، ومنقبضش عليه بدري، لازم نحاول جمع خيوط أكتر، عشان نوقع الشيخ «دياب».

-صدقني يا «سيف» مفيش حد في الدنيا نفسه يقبض على «دياب» أدي، بس ما ينفعش «عادل» يتعرض لخطر.

-حضرتك الرائد «عادل» بعيد وبيتحرك مع مجموعه كبيرة مننا، وإحنا مأمنينه جدًا وحركته هاتفضل بين «شرم الشيخ» و«دهب» لمدة أسبوع على الأقل، عشان يكون جمع كل المعلومات المطلوبة عن خط سير الأتوبيس.

-مش عارف والله كان المفروض نشغله في ظرف زي ده ولّا لأ يا «سيف»؟

-يا فندم كلنا في خطر، واللي هما عايزينه إن إحنا حياتنا تقف، وده اللي إحنا مش هانعمله، إحنا هانعيش يا فندم مش هانموت.

ابتسم اللواء «فاروق» قائلًا:

-على بركة الله، عايز أعرف خطتك إيه بالظبط، وتابع مع «عادل» عمل إيه في حالة «ملك»، عشان أنا عليا ضغط كبير من الكنيسة.

-حاضر يا فندم.

قالها المقدم «سيف» مغادرًا، تاركًا اللواء وحيدًا سارحًا في كلمات تلميذه مبتسمًا.

«إحنا هانعيش يا فندم مش هانموت».

***

بعدما غادر «دياب» مكتب أمن المطار في ٢٠١٢، استقل أول رحلة متجهة إلى «إسطنبول» ليصل مع وفد مرموق من الرئاسة المصرية، ليقابلوا أمثالهم من الأتراك الذين استقبلوهم بحفاوة في المطار. ووصولًا إلى أحد القصور التركية الفخمة التابعة للدولة، كان ل«دياب» صحبة خاصة؛ حيث اصطحبه أحد رجال الدولة المهمين والملمين بملف الشرق الأوسط، ليدخلا سويًّا تلك الغرفة المغلقة وفيها سلم «دياب» كل الملفات التي كانت بحوزته.

-أخيرًا تقابلنا في ضوء النهار صديقي العزيز.

قالها الرجل بإنجليزية ركيكة، ليرد «دياب» بلكنة محترفة:

-ومن اليوم لن نتقابل إلا في النور صديقي المخلص.

ثم أضيئت الأنوار أمام العالم، ليبدأ العبث لتوه في مصير العباد الذين استسلموا لكل ما هو آت، ويبدأ معه «دياب» في وضع مخططه الذي وضع على خريطة رسمها له مضيفه، لأسكت أنا منصتًا إلى تلاميذي الذين ظلوا يدهشونني كل يوم ولحظة.

***



«التاريخ في الوقت الحاضر ٧ أكتوبر الساعة ١١ مساءً»

(٦)

ظل «خالد» في سريره يتصبب عرقًا، يصارع أحلامه، بينما جئت أنا من اللا مكان عبر منافذ الغرفة، لأعبث في غرفته هنا وهناك. يحاول (هو) إنكاري دون قدرة، فأظل أنا أنظر إلى لوحاتي الفنية المعلقة على الجدران مستمتعًا بعجزه، حتى شعرت بخطواتهما تقتربان من الغرفة كالملائكة يبحثان عني بين الطرقات والحجرات. شعرت بقدميهما البيضاء الحافية تقترب إلى المكان، لأشعر بضآلتي وهما يغردان بتراتيلهما البغيضة، متحررين من حدودي التي وضعتها في الطابق الثالث، اقتربا أكثر فأكثر حتى شعرت بأيديهما تفتح باب غرفة «خالد»، لأتوقف أنا عن الرقص وأهرب داخل عقله مخترقًا حصون ذاته، التي خبأت «سر الثالوث الأوحد».

***

بعد إعلان نتيجة الانتخابات، خرج «خالد» مع «حبيب» ليحتفلا سويًا بعد فوز مرشحهما الذي نجح باكتساح.

- مش قلتلك ماتخافش.

- الحمد لله، بس انت مودينا على فين؟

من أمام عقار جدته، قالها «خالد» لـ «حبيب» الذي سبقه متجهًا إلى سيارته المصفوفة بالشارع الرئيسي.

- هاخدك سيدنا «الحسين» نحتفل.

- سيدكوا «الحسين»! انت عبيط يابني؟

قالها «خالد» ساخرًا.

هاتيجي ولا تقضيها قلة أدب؟

يا عم أنا قلت هاننحرف، بس خلاص «حسين» «حسين»!

عبر الصديقان من جانب المسجد في الوقت الذي خرج فيه «وحيد»

و«نشوى» من عقار الحملة مستاءين من النتيجة، ليلفت انتباهه «خالد» و«حبيب». أشار «وحيد» إلى خطيبته التي اندهشت من رؤية «خالد» قائلة - في وجهه:-

-حسبي الله ونعم الوكيل.

-مش وقته يا «نشوى».

قالها «وحيد» وهو ينظر إليه نظرة استحقار، فظل «خالد» متجهمًا، حتى تنبّه إلى من يتجه إلى عقار جدته، إنه (هو)، نسخة طبق الأصل منه، يعبر الشارع ويدخل عقار جدته، نظر «خالد» إلى «حبيب» وكأنه يريد التأكد مما رآه، ولكن نظرة «حبيب» السلبية كفته ليصرف النظر عن تساؤله، وهذا بالطبع قبل أن يستيقظ «خالد» من داخل غرفته بالمصحة ليجد عتمة الليل تسود المكان، فلم تنتصر شمس النهار بعد، لتترك سكنة الليل يجوبون الطرقات ناشرين فسادهم، حتى وجد (هو) نفسه حرًّا، يتحرك في طلاقة إلى أن وصل هنا من خلال تلك النافذة المفتوحة غاضبًا، ليظل (هو) ينظر إلى «خالد» المستيقظ من حلمه للتو، فيجد نفسه أمامه و(هو) في كامل هندامه من أمام المرآة في انتظاره، ينظر له بثبات لا يعوقه إلا رعشة عينه اليمنى، ليتلفظ (هو) متسائلًا عن رأي «خالد» في رؤياه.

-حلم أم كابوس؟

وقف «خالد» وترك سريره واقترب منه في اندهاش.

-انت إنس ولّا جن؟!

ضحك (هو) ساخرًا.

-يا بني انت معندكش أي إبداع خالص؟ حاول مرة تغير السؤال.

لم يستوعب «خالد» ليمد يده محاولًا لمسه، إلا أنه ابتعد في خفة سحرية قائلًا:

-السؤال المهم، انت اللي مين؟

اندهش «خالد» وعلق بصوت منخفض، وكأنه يداري حقيقة مخبأة في صدره:

-اسكت.

-مش هاسكت.

-إخرسسسس.

يصرخ «خالد» غير مكترث بالنيام، ليقترب (هو) من النافذة التي جاء منها:

-مش انت اللي هاتخليني أخرس، أنا الكبير مش إنت، أنا اللي دايمًا سابقك.

قالها (هو) قبل أن يعود أدراجه.

-سبقتني! دي كانت دقيقه واحده.

نطقها «خالد» متمتمًا قبل أن تفتح «نور» الباب غاضبة، وهي تتساءل:

-في إيه يا «خالد»؟ بتصرخ ليه؟

أشار لها إلى النافذة، فاقتربَتْ منها مسرعةً، ولكنها تيقنت من عدم وجود أي شيء مريب، فلقد كانت غرفته في الطابق الثالث قبل الأخير بالمصحة، فأغلقت النافذة وهي تلوم نفسها على تصديق المريض غير السوي، لتتغير ملامحها قبل أن تتجه لمغادرة الغرفة، فأمسك بيدها ليمنعها.

-أنا مش مجنون، و...و(هو) كان هنا.

***

-ماتخافيش الدكتور هنا طيب أوي.

قالتها «ملك» إلى فتاة عشرينية كانت نائمة على سريرها بجانب أختها النائمة على السرير المجاور في تلك الغرفة المزدوجة الوحيدة بهذا الطابق. كانت الفتاة الأولى هي الأخت الأكبر سنًا «مارينا» والتي كانت خمرية البشرة كأختها الأخرى « فبرونيا» وإن كانت ملامحها أكثر هدوءًا، بنية الشعر، تتغطى بهذه الملاءة البيضاء جامعة جسدها في سلام كالطفل في رحم أمه، أما الأخت المستيقظة، ذات الشعر الأسود القصير المموج فكانت متوترة، يظهر على شعرها عدم التصفيف. فكانت تصارع آلام المرض وهي ترتدي

ملابس المصحة البيضاء التي لا تستر سوآت الإنسان، فلقد أعدها الممرضان للجلسة الأولى والتي لا يستبعد فيها استخدام الصدمات الكهربائية، أو بعض تلك الوسائل كالتي تستخدم للتعذيب.

-هو الدكتور بتاعي هو الدكتور بتاعك يا «ملك»؟

-أيوه طبعًا يا بنتي، هو دكتور واحد.

غضبت وإن صدقت «ملك» التي تابعت:

-أنا معمليش أي حاجه، وصدقيني هو رحيم جدًا، ماتخافيش.

هدأت «مارينا» عندما لمستها «ملك» وقالت:

-طيب مصدقاكي، بس عايزه منك أمانة.

-حاضر.

قالتها «ملك» وهي جالسة على هذا المقعد، فلا تمس قدماها الأرض كالعادة.

-أنا خايفه أنسى.

تفهمت «ملك» تخوف الفتاة، لتقف وتقترب منها وهي تمسك يدها، لتضيف الفتاة:

-لو نسيت، أمانة عليكي فكريني أنا مين، وطمني ماما، وفهميها إني كويسه وإن المكان هنا كويس في الدور ده.

- حاضر.

قالتها «ملك» قبل أن يظهرا من الخارج، لينقلاها إلى مكان جلستها الأولى، همست «ملك» إلى صديقتها بسرها، لتبتسم الفتاة، التي أمسكت بصليبها المعلق بالسلسلة الذهبية المتدلي من عنقها، تاركة المكان قبل أن تستيقظ أختها الصغيرة مبتسمة عند رؤيتها لصديقتها «ملك» التي أمسكت بيديها بدفء.

***

-يا دُكتور انت ليه مقرتش تقريري عن «ملك»؟

قالتها «نور» إلى «فهد» الذي ظهر في غرفتها كعادته منذ وصول تلك الحالات الجديدة للطابق الثالث، فنظر إليها بعصبية أزعجتها لتتوقف تاركة له مقعدها، ليجلس عليه متجاهلها تمامًا.

-هو انت لغاية إمتى هاتشوفني مليش لازمة؟

فتح «فهد» الحاسوب في تعالٍ، ليزيد من عصبيتها.

-انت مش عشان ريسي ده يديك الحق تتجاهلني كده وتعاملني بالشكل ده، أنا بقالي أكتر من شهر مروحتش شفت جوزي وبنتي، عكسك انت اللي بتيجي ساعتين في اليوم.

-نوررر.

أوقفها «فهد» بعصبية قبل أن يتابع بحزم:

-ملكيش دعوه بحالة «ملك».

-والله لو انت مش محتاجني يا دكتور تقدر ترفدني خالص.

توقف «فهد» واقترب من «نور» قائلًا:

-ما تفهمنيش غلط يا «نور»، أنا قصدي إني عايزك تركزي أكتر على «خالد»، هو حقيقي محتاجلك دلوقتي، وأنا عايزك تقري الكلام اللي أنا اشتغلت عليه وتقوليلي رأيك.

قالها «فهد» مشيرًا إلى أوراقه الموضوعة على مكتبها، مستغلًا حالة «نور» التي يحتاجها لفك طلاسم «خالد» الذي لم يتحدث إلى غيرها لسبب لا يعلمه غيري، لتتقبل «نور» هذا التحدي وتتحرك جالسة على مكتبها في استسلام لفضولها، ليتركها «فهد» تقرأ ما كتبه بناء على تسجيل «خالد» المرسل إليه منذ البداية، وقد كانت كلمات «فهد» دقيقة.

«لقد علمت الكثير والكثير عن تلك الحالة الغامضة في الطابق الثالث، (هو) شخص غريب، (هو) «خالد إبراهيم» هذا القادم الخفي الذي درست عنه

الكثير، فلقد كان هذا الطفل المترف الذي ولد في عائلة فاحشة الثراء، من والد عمل طيارًا مدنيًّا مشهورًا، وأمًّا عُرف أنها سيدة مجتمع مرموقة. هذا الطفل الذي كان يسافر مع والده كل بلدان العالم المتحضر منها والفقير، فحسده الجميع على ما أوتي من نعم، حتى جاء اليوم الذي زالت فيه الكثير منها، عندما تركه والده، ليأخذ زوجته إلى روما فقط لتناول العشاء، في تلك الطائرة الخاصة التي طُلب منه إيصالها إلى هناك»، ليقوم «إبراهيم» بقيادة تلك الطائرة الصغيرة التي كان يزعم أنها لا تسقط، ولو تعمد في ذلك؛ إيمانًا منه بقوة هذا الوحش الكاسر الذي يحلق دائمًا به دون حسبان لتلك الطيور الضعيفة التي أرسلها الخالق ليذكرهم بما تناسى الجميع».

***

من داخل كابينة القيادة بالطائرة المصرية المتوجهة إلى «روما» وقبل دقائق من هبوطها ظهر على «إبراهيم» التوتر، بعدما فقد السيطرة على المحرك الأيسر نتيجة خلل لا يستطيع استيعابه، فظن أنه قد يكون بسبب سرب من الطيور الذي ظهر فجأة من العدم. ظل مساعده يطلب منه النصيحة رافضًا الحقيقة التي يفهمها بواقع خبرته، ليرفض «إبراهيم» هو الآخر التعليق، لتظل الطائرة في الانخفاض بسرعة، فيطلب من المضيفة إحضار زوجته من وسط الركاب القليلين الذين ساد بينهم التوتر والقلق، بعدما فشل وطاقم الطائرة في تهدئتهم. طغى الوجوم على ملامح الجميع، فلقد تسربت إليهم رائحة الموت، حيث كانت المطبات الهوائية أقوى من المعتاد، وشعر كل منهم أن روحه تغادر جسده مع كل هزة للطائرة. لحظات مرت بهم كعمر كامل، شعور بالعجز لا يتملك إلا من هو في الجو، فلا مفر من المصير المحتوم، لا مكان يُلتجأ إليه، هل سيحتسبهم ربهم شهداء؟ فمصيرهم أصعب ممن يفارق الحياة غرقًا، فقسوة الماء لا تساوي قسوة السقوط، سقوط تتساقط معه الكلمات من أفواه لا تستطيع حتى نطق الشهادتين، أو الصلاة ليسوع ابن الرب، ظنًّا منهم أنه مخلصهم الوحيد وهم بين يديه في وسط اللا مكان فوق السماء، لا يراهم غيره، فهل ستنقذهم دعواتهم، أم سيتركهم ربهم للسقوط؟ السقوط بتلك السرعة التي اخترعها الإنسان لقتل الوقت، ليكتشف هؤلاء الآن، من القاتل ومن المقتول، ويدرك الجميع مساوئ اختراع الإنسان،

ويتمنى كل منهم الموت مرضًا، أو حرقًا وغرقًا، هربًا من هذا السقوط.

مر بركاب الطائرة الكثير من الذكريات والندم، الألم والحب، تمنى الكثير منهم عمل اتصال أخير، اتصال يشفع لهم من قسوة السقوط، فليس لقسوة السقوط مثيل، هو أظلم الأحكام وأصعبها، فهل سيتركهم ربهم لهذا المصير؟ بالطبع سيفعل، فلا تزال الطائرة الآن تسرع في التساقط، زائدة من سرعتها، سرعة جاذبية الأرض التي تتلهف لاستردادهم ملبية إرادة السماء. رجع طاقم الطائرة إلى أماكنهم دامعي الأعين، فلقد صار الكابوس حقيقة مؤكدة لا مفر منها، فلم يكن هذا المشهد مذكورًا في تدريباتهم، بل كان مذكورًا فقط في ذكرى أمواتهم. زاد من صعوبة المشهد، تساقط الأمتعة من أماكنها على رءوس الركاب العاجزين عن الحركة، من مرارة حدة السقوط، بينما انشغل «إبراهيم» بعين حبيبته وزوجته وأم أطفاله الذين تركاهم خلفهما في الخيال. توحدت يداهما المتشابكة وهما يستنشقان هذا الهواء المثلج الذي توغل رئتيهما ليميتهما قبل أن يتذوقا مرارة السقوط حال الجميع، جميع من كانوا بين يدي ربهم وسط الهواء، وإن لم يكن بعضهم يهاب الموت، إلا أن الجميع كان يهاب السقوط، فلا تتسرع بحكمك، فهل جربت يومًا هذا السقوط؟!

***

سقط هذا الشاب في شباك «دياب» منذ فترة كبيرة ليدفع الآن ثمن هذا السقوط، ليلقنه «دياب» خطته بوضوح.

-هاتأجر شقه في «السلام»، وهاتستنى فيها أسبوع مش أقل من كده، فاهم؟

قالها «دياب» للشاب الواقف أمامه مطيعًا كالكلب الوفي.

-بقولك فاهم؟؟؟

قالها بعنف أخاف هذا الشاب لينطق:

-فاهم طبعًا حضرتك، هأجر شقه في السلام لمدة أسبوع.

قالها «وحيد» بهدوء ثم ظهر عليه التوتر، فلقد بدأت ساعته في الاقتراب ليحقق حلمه الذي فيه نهايته ومصيره!

- تمام، مش هاتخرج غير الصبح عشان تجيب أكلك وشربك، وطبعًا سلاحك هايكون في الشقة، وكل يوم بالليل هاتروح قهوة «التكعيبة» وفي يوم حد مننا هايقابلك فيها لما يطمن إنك مش متراقب وهايبلغك بكل التفاصيل، وعن ميعاد العملية إن شاء الله.

قالها «دياب» ونظر في عين خادمه المطيع، ليتابع:

-«وحيد» خلي بالك من نفسك، ولو حسّيت أي وقت إنك مش قادر قول.

بدهاء قالها ليثبته على ما جاء من أجله منذ زمن، هنا ابتسم «وحيد» قائلًا:

-اتكل على ربنا وعليا، أنا لها إن شاء الله.

***



«التاريخ في الوقت الحاضر ٨ أكتوبر الساعة ٩ صباحًا»

(٧)

صوت مخيف، أهو صوتي؟! بالطبع لا، فأنا صوتي ينفذ إلى العقول، لا تحتاجه آذان، بل تنصت إليه تلك النفوس الضعيفة المطيعة لأسيادها، هذا الصوت هو لفحيح أفعى تتحرك في هذا الظلام الذي ساد الغرفة الضيقة، حتى تنبّه هذا الجسد الذي يرقد في أحد أركان الغرفة في ثبات، ليجلس صاحب الجسد فجأة، محاولًا اكتشاف مصدر ذلك الصوت، ليمنعه هذا الكفن الذي يلتف حوله من اكتشاف الحقيقة، فتتسارع دقات قلبه هلعًا، والصوت يقترب منه شيئًا فشيئًا، ليشعر بثقل أنفاسه من داخل ذلك الكفن الذي يغطي ملامحه، ويشل حركته، ليزداد خوفه و(هو) يحاول التحرر منه، إلى أن وصله صوت الزئير، فتساءل: كيف يختلط صوت الزئير مع فيحح الأفعى؟! وقبل أن يقتله الخوف، علا المشهد صوت الثغاء، ليكتشف أن هناك ماعزًا، فهل سيتصارع الأسد والأفعى على لحمها قبل أن يتجها إليها؟ ولكنهم ظلوا يقتربون جميعًا منه سويًا في حركة بطيئة متحدة بطريقة ما، وإن كانوا ثلاثتهم مختلفين، فلقد باتوا في هدفهم متحدين، متحدي منطق الطبيعة والعلم. وهم يتجهون إليه، ظلوا يقتربون، وظل (هو) ينازع هذا الكفن في محاولة بائسة للتحرر منه، لمواجهة الحقيقة، فأتدخل أنا وأفتح له هذا الكفن الأبيض، ليس حبًّا فيه، بل لأستمتع إلى نظراته عند اكتشاف هذا المرض الذي يواجهه هذا الحيوان المخيف، فصعق (هو) عندما أبصرت عيناه هذا المسخ الذي كاد يشبه جسد الماعز وإن كان رأسه ملتويًا أعلى ظهره لتترك المجال لرأس الأسد الذي خُلق في مقدمة الجسد ليقود هذا الجسم المشوه المخيف الذي يحمل هذا الذيل صاحب صوت الفحيح، تلك الأفعى التي يجرها هذا الجسد. لم يستطع (هو) كبت صراخه وهو ينظر إلى هذا الكائن الأسطوري «الكمير» صاحب الرؤوس الثلاثة، الأسد والماعز والأفعى، التي اقتربت بفحيحها إلى أنفاسه، هامسة إليه بحقيقته، ولكن قبل أن يدركها (هو).

استيقظ «خالد» كعادته بغرفته في المصحة وأنا أستمتع بهذا الألم، ليجدها جالسة بجواره كالشبح الشاحب.

-كنت بتحلم بيه؟

قالتها «ملك» بهدوئها المعهود، ليظل «خالد» يحاول استنتاج حلمه من واقعه، قبل أن يجيبها بترقب:

-(هو) مين؟

كانت «ملك» تجلس وقدماها القصيرتان لا تلامس أرضية الغرفة، لتظل ممددة على الكرسي وكأنها نائمة.

-انت عارف كويس (هو) مين؟

قبل أن يجيبها دخل الدكتور «فهد» باحثًا عن «ملك» التي غادرت غرفتها دون أن يلاحظها أحد كالعادة.

-مش معقوله يا «ملك» أعد أدور عليكي زي العيال الصغيرين كده في كل مكان.

-طب ما أنا عيله صغيره.

-انتي بلمضتك دي مستحيل تكوني عيله، صباح الخير يا «خالد»، عامل إيه النهارده؟

قالها «فهد» وهو يقترب من «خالد» الذي نفر منه وظل ساكتًا:

-زي ما تحب، «ملك» يالّا بقى تعالي معايا، عشان عندنا قعده كبيره مع بعض.

-بس تنزلني الجنينه.

-الجنينه؟!

-أيوه الجنينه.

-طيب حاضر يالا تعالي وأمرنا لله.

قفزت «ملك» من فوق مقعدها لتلامس أرضية الغرفة البيضاء، قبل أن تقترب إلى أذن «خالد» قائلة:

-انت كنت بتحلم بـ«طاهر».

قالتها «ملك» وخرجت مع «فهد» ليبدأ «خالد» العبث على الفور، بينما سارعت بخطواتها إلى الخارج، لتبدأ في اللهو واللعب في تلك الحديقة الخلابة المطلة على البحر من بعيد، وكأنها قطعة من الجنة، تغرد فيها الطيور الساحرة بألوانها المختلفة. يرهق «فهد» هذا المدخن الشره، ليتركها تلهو هنا وهناك محاولة منه في كسر الجليد، مع تلك الحالة الغريبة، ظلت «ملك» تمرح حتى سمعت النداء من الجهة الخلفية للحديقة، فقد كانت هناك تلك الروح التي تداعبها برقة، شخص أقرب إليها من الجميع، لتلتفت يمينًا ويسارًا ثم تتابع حركتها خلف مبنى المصحة الكبير، فتجد هذه الدمية التي تعلقت بها من فورها، موضوعة على أريكة خشبية حزينة، سارعت «ملك» إلى هذه الدمية الغامضة التي ظلت تناديها وتجذبها، حتى وصلت إليها أخيرًا، لتجلس على الأريكة حاضنة هذه الدمية الباسمة لسيندريلا فاتنة تشبهها. لحظات من الصمت والدفء لامسا قلبها قبل أن يجالسها هذا الطيف الساحر الذي وصلت صاحبته فجأة، إلتفت إليها «ملك» لتجدها هي، ترتدي فستانًا أبيض خلابًا، وطرحة بيضاء كلون بشرتها النقية، حافية القدمين كالملاك، لتدمع «ملك» التي رقص قلبها فرحًا عندما وجدت أمها بجوارها، لتحتضن الأم ابنتها، ويتلاحما للحظات مرت عليهما كالساعات.

-وحشتيني يا «ملك».

-وحشتيني أوي يا مامي، خديني من هنا بقى.

دمعت الأم قائلة:

-معلش يا حبيبتي، قريب هاتفهمي كل حاجة.

-محدش هنا مصدق إنك عايشة.

-مش مهم، المهم تبقي انتي عارفة، ومش لازم حد غيرك يعرف يا «ملك».

-ليه يا مامي؟

-بكرة هاتعرفي، المهم تتأكدي إني عمري ما هاسيبك.

-بجد يا مامي؟

-بجد يا روح مامي، وسيندريلا دي عشانك.

-حلوة أوي يا مامي.

-مش أحلى منك يا حبيبتي.

سمعت الأم صوت الدكتور «فهد» الذي ظل ينادي «ملك» في جنون، لتسرع الأم في الاختفاء داخل الزهور التي كست السور، قبل ظهور «فهد» بلحظات قليلة.

-«ملك» انتي كنتي فين؟ مش معقول كده.

-كنت مع مامي.

نظر «فهد» يمينه ويساره مندهشًا ليعلق:

-ماما! فين دي يا حبيبتي؟!

نظرت «ملك» ناحية الزهور، لتفهم نظرات الأم التي طلبت منها الصمت، لتسكت «ملك» عن الكلام، فنظر «فهد» إلى دمية «سيندريلا» في تعجب ليقول:

-جيبتيها منين دي؟

ظلت «ملك» صامتة فكرّر «فهد» سؤاله لتجيب «ملك» في حزن:

-مامي سابيتهالي.

نظر «فهد» إلى المكان مرة ثانية، ليندهش من حركة الزهور التي تكسو السور، فاقترب منها ببطء شديد، حتى كاد يلمسها.

-يااا دكتور.

أستدار «فهد» إلى «ملك» قبل أن تتحرك الأزهار لتستر الأم.

-أفندم يا «ملك»!

-سقعانه عايزة أطلع فوق.

***

أكملت «نور» قراءة ما كتبه «فهد» في غرفة مكتبها متألمة لآلام «خالد» الذي وصل به الحال في المصحة حزنًا على حب حياته، زوجته التي توفاها الله مع ابنتهما كما ادعى، لتحاول «نور» معرفة من هي تلك الزوجة التي جعلت «خالد» رافضًا للحياة بهذا الشكل! لتتابع ما كتبه «فهد» في سطوره التالية.

«ابحث دائمًا عن المرأة، فهي سر الكون، ورحم الجنون»

«من خلال متابعتي لحالة «خالد» اكتشفت رفضه التام للحياة، بعدما ظن أنه فقد السبب الرئيسي لها، وهي العائلة التي لا يعتقد أنه يستطيع إنشاء غيرها بعدما استثمر في عائلته كل ما يمتلك من مشاعر وحب ومجهود، ولا يظن أن بإمكانه البدء من جديد. ليشعر بالشيخوخة والعجز، رغم أنه لا زال شابًا، ولكنه كان معطاءً في حياته لدرجة جعلته يشعر بأنه قد اُستُنفد، ولم يعد يستطيع أن يَعطي المزيد، كما أن يقينه في ربه أصبح مشوشًا بعدما تكررت خسارته للمقربين له، فبعد أن نشأ يتيمًا، واجه أزمة عقائدية ونفسية، مرحلة متقدمة من الاكتئاب والرفض للحياة، استبعد فيها ما ادعاه البعض في تشخيصه بال«فصام»؛ نظرًا لتغيُّر مزاجه، أو ظهور بعض التصرفات المختلفة عليه، فهذا تشخيص ساذج يفتقر للعلم، ولا يصح أن يشخصه أي طبيب درس بكلية طب».

أغلقت «نور» التقرير الأول وهي تعرف ما كان يرمي إليه «فهد» الذي لم يكن يعترف بهؤلاء خريجي الكليات الأدبية، ويمتهنون العلم النفسي، ولقد كانت هيا إحداهم، وقبل أن تكمل التقرير الثاني، وجدت أمامها «ملك» التي جلست على المقعد المقابل لها تنتظر اهتمام «نور» التي ابتسمت لها قائلة:

-«ملوكه»، عايزة حاجة؟

ابتسمت «ملك» وأجابت:

-عايزه أروح لماما.

توترت «نور»، وتركت مقعدها متجهة إلى «ملك» لتضمها، وأن لم يظهر عليها التأثر أو الضعف، بل علقت في هدوء:

-هو أنا بقولك أنا زعلانه؟ بقولك عايزاكي توديني لماما.

اندهشت «نور» من قوة «ملك» ورفضها، لتستند إلى جدار مقابل «ملك» سائلة إياها:

-طيب وانتي عايزاني أوديكي لماما فين؟

-أنا عارفة مكانها، بس محدش راضي يوديني، وأنا مش معايا فلوس عشان أروح لوحدي.

شعرت «نور» بضآلتها فجلست أرضًا، لتشعر بعظمة تلك الطفلة الغريبة.

-طيب أنا هاتصرف في فلوس وهاوديكي قريب، بس ممكن تقوليلي فين؟

غضبت «ملك» وقفزت من المقعد، وهي تقول:

-انتي بتضحكي عليا، فاكرة إني مش عارفة كويس انتي بتفكري في إيه؟

سكتت «نور» وهي مندهشة من جرأة «ملك» التي علقت على ما يدور في عقل «نور»:

-مش جرأة، ومش قوة، دي حقيقة، وانتي بس اللي مش عايزه تشوفيها.

خافت «نور» من «ملك» شاعرة أنها تقرأ أفكارها! لتضيف الأخيرة:

-ماتخافيش، بس أنا هاعرف لما تصدقيني، هاعرف، وساعتها هاتشوفي الحقيقة.

-يعني انتي عارفة أنا بفكر في إيه؟

-أيوه عارفة.

-طيب بفكر في إيه يا «ملك»؟

-في «خالد»، رغم إنك مش عارفة حاجة عنه خالص.

-مش عارفة إيه يا «ملك»؟

-مش عارفة «طاهر»؟

-«طاهر» مين يا «ملك»؟

-توأم «خالد».

-هو «خالد» كان عنده أخ توأم؟

قالتها تلك الطفلة التي لا أحتمل وجودها، إذ هي الوحيدة التي تفاجئني بالمكان، ولا تهابني أو تخشاني، قبل أن تخرج تاركة لي تلك المرأة الضائعة.

***

ظل «خالد» في غرفته ينظر إلى المرآة، لتظل جملة «ملك» تتكرر على أذنه، فكيف عرفت هي بوجود «طاهر»؟ ألا تعرفون -بعد- من (هو) «طاهر»؟!

وسوست ضاحكًا إلى «خالد» ليتذكر من (هو) «طاهر»، وسوست إليه ليتذكر توأمه الذي غفل عنه منذ فترة، لأعيد أنا إلى عقله تلك الذكريات منذ عزاء والديه الذي أقيم في منزل جدته، هذا المنزل الذي ترعرع فيه منذ موت والديه في حادث الطائرة، فينشأ في هذا البيت القديم بميدان الإسماعيلية؛ ظل «خالد» يرمق نفسه في المرآة حتى دمع عند سماعه تلك الآية التي ملأت المكان برائحة الموت.

***

(يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً فَادْخُلِي فِي عِبَادِي وَادْخُلِي جَنَّتِي)

قالها القارئ مربع القدمين من داخل صالون الجدة الصغير متوسطًا الكثير من الرجال الجالسين أمام باب الشقة الخشبي المكون من ضلفتين مفتوحتين، ظهر من الخارج الكثير من المقاعد الخشبية الموضوعة على «بسطة» السلم لاستقبال المعزين، جلس عليها بعض الأهل والأقارب، بينما كانا هما يجلسان على الكرسي الأخير، فلقد كان الطفلان متشابهين تمامًا متقاربين من بعضهما البعض.

-أنا خايف أوي، ومش عايز أعيش هنا مع تيته.

قالها «طاهر» ليعلق «خالد»:

-ماتخافش يا «طاهر» إحنا هانفضل مع بعض علطول، أنا مش هابعد عنك أبدًا لغاية لما أموت زي ما وعدتك.

في ذعر علق «طاهر»:

-هو إحنا كمان ممكن نموت يا «خالد»؟ ولو متنا هانروح الجنة لبابا ولّا هانروح النار زي ماما؟

في حزم علق «خالد»:

-ماما مش في النار يا «طاهر».

-أنا سمعت تيته بتقول كده، بتقول أن في نار!!

***

من داخل غرفة «مارينا» و«فبرونيا» ظلت «ملك» تلعب بتلك الدمية التي لم تعشق مثلها من قبل، وسط نظرات السخرية والازعاج من الأختين اللتين لم يصدقا أيًّا من رواياتها بخصوص الأم.

-مستحيل حد يخش أو يخرج من المصحة دي من غير إذن الدكتور يا «ملك».

-بس مامي دخلت.

-لو دخلت مش هاتعرف تخرج خالص، وهاتكون هنا بينا يا «ملك».

ابتسمت «ملك» لوهلة قبل أن تنغمس في حزنها قائلة:

-أنا مش عارفة هي ليه مش عايزة تاخدني معاها.

اقتربت «مارينا» بمسؤولية ناحية «ملك» وقالت:

-بعد الشر عليكي يا حبيبتي.

-مش فاهمة!

ببراءة قالتها.

-ولا حاجة يا «ملوكه».

قالتها «فبرونيا» التي تركت سريرها وجلست أرضًا بجانبهما لتضيف:

-أصل إحنا مامتنا برضه سايبانا.

-سايباكوا إزاي؟

غضبت «مارينا» من أختها وقالت بحزم:

-لا يا «فبرونيا»، ماما مش عارفة إحنا فين، مش سايبانا.

-وهي مش عارفة مكانكوا إزاي؟!

مندهشة قالتها «ملك».

-الدور التالت.

قالتها «مارينا» شاردةً، لتعلق «ملك» قائلة:

-ماله الدور التالت؟

الطابق الثالث! هذا سري، أنا الذي أحميه دائمًا وأبدًا، لأسكن الحزن في قلب أمهما التي كانت لا تزال في تلك المدرسة الثانوية تبحث عنهما بين عيون طالباتها.

***

-ميس «نهلة»، ميس«نهلة».

قالتها الطالبة التي لم يتجاوز عمرها الثامنة عشرة بعد، لتجيب «نهلة» في هدوء:

-ها.. معلش يا حبيبتي مخدتش بالي.

أجابت «نهلة» تلك المرأة الخمسينية السمراء الحزينة، والتي تتميز بابتسامة حنونة لا تفارق بشرتها السمراء، ذات الشعر القصير الذي ربطت عليه عصابة بيضاء صغيرة.

-كنت عايزة آخد رأي حضرتك في حاجة.

-تحت أمرك يا حبيبتي.

-إيه رأيك في الفستان ده لحفلة التخرج؟

قالتها الفتاة وأخرجت هاتفها بصورة لفستان بنفسجي زاهٍ قصير، فتبتسم «نهلة» قائلة:

-تحفه يا حبيبتي، بس لو شفتي حاجه أطول مش يكون أحسن؟

-يا ميس..

-أنا بقولك رأيي اللي قلته لـ«فبرونيا» وهي بتشتري فستانها.

ابتسمت الفتاة راضية لتضيف.

-حاضر يا ميس «نهلة» هاطوله شويه.

طبعت الفتاة قبلة ملائكية على جبين «نهلة» التي دمعت بعدما غادرت الفتاة غرفة المدرسات، ودخلت إحدى الراهبات المسئولات عن أحد الفصول في تلك المدرسة القبطية للبنات.

-كفايه دموع بقى يا «نهلة»، كل البنات هنا حواليكي.

ابتسمت «نهلة» ماسحة دموعها، لتضيف الراهبة:

-هو لسه مفيش أخبار جديده؟

قالتها وساد الصمت، فلم تكن هناك أخبار جديدة بعد، فلا زال «سر الثالوث الأوحد» غامضًا للكثير!

***



«التاريخ في الوقت الحاضر ٨ أكتوبر الساعة ١٢ ظهرًا»

(٨)

من داخل سيارة «ملاكي» صغيرة تتحرك بشمال «سيناء» متجهة إلى القاهرة يجلس «وحيد» في المقدمة بزي سياحي مكون من «شورت» قصير و«تي شيرت» أبيض، وبجانبه سائق مخضرم محترف، آثر الصمت لمدة ساعتين من القيادة المستمرة حتى وصلا عند نقطة تفتيش تابعة للجيش، توجه إليهما أحد ضباط النقطة طالبًا من السائق الأوراق الثبوتية. تنبَّه الضابط لمواصفات «وحيد» وإن لم يشعره بأي شيء، فقط اتجه إلى الكشك الأمني وقام باتصال بالمقدم «سيف» الذي كان في مكتبه بوزارة الداخلية.

-أيوه يا «سيف» بيه، «وحيد» اللي بلغتونا عنه وصل، وبطاقته عاديه مش ضارب ورق.

كان المقدم «سيف» يعلم أن «وحيد» لن يحتاج إلى تزوير هويته، فلم يلتحق أبدًا بأي جماعة مسبقًا، وماضيه لا يحتوي على أية شوائب إجرامية، ولولا إيقاع الداخلية بأحد زملائه بالخلية الذين ظنوه قد قتل، لما استطاع الوصول لمثل هذه المعلومات.

-بعد إذنك يا فندم، محتاجين نركب الخطوط اللي في العربيه عشان نتأكد إن معهمش أرقام تانيه.

-مفيش أي مشكله.

-وطبعًا ما ينفعش يحسوا بأي حاجه، والباقي حضرتك عارفه.

-مفهوم يا فندم.

قالها الضابط متجهًا إلى السيارة بعدما شغَّل أجهزته المتصلة بالقمر الصناعي للتحقق من هوية أرقام الجوالات الداخلية في السيارة، حتى أشار له الجهاز بإتمام المهمة، ليسأل الضابط:

-حضراتكوا كنتوا فين؟

-كنا فـ.....

قالها «وحيد» متلعثمًا ليتدخل السائق:

-في «شرم»، كنا في أجازه.

-ألف حمد لله على السلامه، طب بعد إذنك إفتحلي الشنطه.

فتح السائق حقيبة السيارة، وبدأ الضابط إتمام مهمته، في وضع جهاز صغير للتصنت لا يزيد حجمه على عقلة الأصبع، دون أن يلاحظا شيئًا، ثم أقفل الضابط الحقيبة وشكرهما معطيًا إياهما هوياتهما ليتحركا إلى الطريق المؤدي إلى «القاهرة» ليقوم «وحيد» بمكالمة تليفونية مسجلة من قبل الداخلية.

-آلو.. سلامو عليكوا.

-أيوه يا «وحيد» انت فين؟

-مش مهم، أنا كنت محتاج أأجر شقه في «السلام»، تعرف ألاقي فين؟

-إشمعنى «السلام»؟

-هاتفهم بعدين، ممكن تساعدني؟ أنا عارف إنك كنت ساكن هناك. صح؟

-طيب يا «وحيد» من غير عصبيه، خليك في «النهضة»، دي أكتر حته في «السلام» فيها إيجارات، في هناك شارعين مشهورين جدًا كلهم إيجار مفروش، غير كده مش هاتلاقي هناك حد بيأجر.

-النهضه؟

-أيوه، ولو حابب تيجي تقعد عندي، البيت بيتك.

-لا شكرًا هاكلمك تاني.

قالها «وحيد» وأنهى المكالمة، ليترك المقدم «سيف» سماعة رأسه التي كان يتصنت بها على المكالمة، قبل أن يتوجه بحديثه إلى أحد الضباط الجالسين بجانبه في استوديو خاص برصد المكالمات.

-خليكوا راكبين الخط، لو حصل أي حاجه تبلغوني، أنا هاروح أبلغ اللوا

«فاروق».

قالها المقدم «سيف» وغادر متوجهًا إلى رئيسه الذي كان في غرفة الاجتماعات كعادته ليبلغه بالخطة التي وضعها في دقائق معدودة.

***

-أيوه يا حبيبي أنا حاسه إني هاتأخر برضه.... لو سمحت كفايه عتاب، وادعيلي أخلص شغلي بسرعه عشان أعرف أرجع.

أغلقت «نور» الخط الهاتفي واتجهت إلى ممر الطابق الثالث في استياء لا تعرف سببه، أخذت قدماها الحافيتان تخترقان الردهة، حتى وصلت إلى غرفة «خالد» الذي كان واقفًا عند حامل لوحة يرسم باحترافية مذهلة، مكملًا اللوحة التي كان قد بدأها منذ وصوله، راسمًا هذا الكائن المخيف ذا الثلاث رءوس داخل جسد هذا الأسد الغاضب.

-إزيك يا «خالد»، بتعمل إيه؟

لم يجب «خالد» وظل يرسم بقلمه الرصاص، وكأن هناك من يلقنه، يلقنه شيئًا مسحورًا غريبًا، فظل يضع خطوطه في عصبية وهو يتمتم بتراتيل غير مفهومة، حتى إن عينيه اتخذتا لونًا أكثر قتامة من الطبيعي، فاقتربت «نور» منه وحجبت جزءًا من اللوحة بيدها، ليتابع (هو) رسمه على يدها في شيء من الريبة، فخافت «نور» ساحبةً يدها، ورجعت خطوتين إلى الوراء، فتنبَّه (هو) لها أخيرًا، فابتسم ونظر إليها بعينيه اللتين عادتا إلى طبيعتيهما قائلًا:

-«نور».. انتي هنا من إمتى؟

استعادت «نور» رباطة جأشها، أو لعل لون عينيه الطبيعي هو ما طمأنها، لتجيب:

-من ساعة ما بدأت رسم.

قالتها وهي تمسك يدها ألمًا من خطوط قلمه.

-أنا مارسمتش أصلًا!

قالها «خالد» صادقًا، وإن كان (هو) الفاعل. لم تشأ «نور» الدخول في

جدالات كثيرة، فتجاهلت اللوحة التي أوقعتها أنا لتوي مرة أخرى خلف السرير في مكاني المفضل، وإن ظلت متسمرة في مكانها، ليلتف «خالد» لحامل لوحه الخالي، واضعًا قلمه قائلًا:

-أنا كنت لسه ناوي أرسم، بس خلاص مش قادر.

-طيب مش مهم، دلوقتي أنا عايزة أتكلم معاك بوضوح.

-إشمعنى؟

وقفت «نور» واقتربت من «خالد» قائلة:

-يا «خالد» (هو) انت ليك أخ توأم؟

لم يعلق «خالد» لتشك «نور» أكثر.

-يا «خالد» انت لازم تحكيلي كل حاجه، لازم تساعدني عشان أساعدك.

-تساعديني إزاي؟

-أخرجك من هنا.

مستنكرًا علق على كلامها:

-ومين قالك إني عايز أخرج من هنا؟ أنا عايز أموت هنا.

-ليه يا «خالد»؟ انت عملت إيه بالظبط؟

انزعج «خالد» وأجاب:

- مش أنا اللي عملت ده كان (هو).

- (هو) مين توأمك؟

كادت «نور» تصل إلى الحقيقة، وإن كانت أعقد مما تظن، ليضيف «خالد»:

- مش هاتفهمي.

- جربني.

قالتها «نور»، ليسرح «خالد» كثيرًا حتى غاب عن الزمان والمكان، باحثًا عن

«سر الثالوث الأوحد» في سبعينيات القرن الماضي.

***

في سبعينيات القرن الماضي، من داخل عيادة أحد أشهر أطباء النساء والولادة بمصر الجديدة، كان «إبراهيم» سعيدًا باختياره لهذا الطبيب دون غيره، فلقد اشتهر بأجهزته الحديثة التي تكشف نوعية الجنين والتي تعرف باسم «السونار». لم يكترث الأب بالمبلغ المدفوع، فهو فاحش الثراء، ولا يبخل على زوجته بشيء، فهي أغلى من كل ما يملك في هذه الدنيا، فليس له أخ أو صديق، كما كان يتمنى أن يرزقه الله بابنة، لتكون حنونة على وحدته، فهو يعرف حنان الفتيات وتعلقهن بالأب. نظر إلى زوجته التي كانت تبتسم له رغم آلامها، فلقد كان بطنها ضخم الحجم نسبيًا. انتظر الأب حتى جاء دوره بعد أكثر من ساعة، ليدخل أخيرًا على الطبيب والفضول يكاد يقتله.

عرف الأب والأم نفسيهما للطبيب ثم سأله:

-هو بجد حضرتك تقدر تعرف نوع الجنين؟

ضحك الطبيب شاعرًا بقيمة جهازه الذي سيجلب قيمته أضعافًا مضاعفةً لا محالة.

-أيوه طبعًا العلم اتقدم جدًا برا، وأنا حابب إن «مصر» تستخدم نفس التكنولوجيا.

-طيب إحنا عايزين نعرف أرجوك.

غضبت الأم ـ قائلةً ـ وهي تجلس على الكرسي المواجه للأب:

-يا حبيبي كل اللي يجيبه ربنا كويس، وبعدين مش تطمن عليا الأول ببطني اللي أنا جراها قدامي دي.

ضحك الأب وقال:

-طبعًا يا نور عيوني، هو أنا ليَّ غيرك؟

قاطع الطبيب الحديث، حتى لا يهدر المزيد من وقته قائلًا:

-إحنا هانعمل كل حاجه، بس لسه بدري على ولد ولّا بنت دي، إحنا النهارده هانشوف أول تكوين للـ«بيبي»، ونطمن ونقولكم كل حاجه، يا ريت بس حضرتك تتفضلي مع الممرضه على السرير، عقبال ما أشوف كل التحاليل مع الأستاذ.

-حاضر يا دكتور.

قالتها الأم وهي ترافق الممرضة إلى ذاك الجانب المستور من الغرفة.

نظر الطبيب في أوراق التحاليل بشكل تقليدي، ثم اتجه إلى خزانة بجواره وأخذ قفازًا ليده، ثم اختفى خلف الساتر، ليترك الأب في حالة من التوتر، بينما بدأ بتفقد بطن الأم بجهازه الحديث، ناظرًا إلى شاشة صغيرة جدًا.

لحظات ثم ابتسم للأم وقال:

-عشان كده!

-إيه يا دكتور؟!

قالتها الأم، ليحرك الطبيب رأسه من خلف الساتر لينظر إلى الأب ويقول له:

-تقدر تتفضل يا فندم.

سارع الأب إلى خلف الساتر فأشار الطبيب إلى الشاشة، لينظر الأب إليها في جهلٍ، ليتساءل:

-مش فاهم! ولد ولّا بنت؟

-مش عارف.

قالها الطبيب ساخرًا ليغضب الأب قائلًا:

-أفندم!

-قلتلك لسه بدري، أنا عاوز أوريك حاجه تانيه، شايف إزاي هما قريبين أوي من بعض؟

ابتسم الأب والأم اللذان فهما على الفور، ليقولا في نفس واحد:

-توأم؟!

هز الطبيب رأسه موافقًا، ليبتسم الأب لزوجته في سعادة وهو يمسك يدها، فيتحرك الجهاز الذي كان يمسك به الطبيب، الذي اندهش فجأة وارتبك، فقد اكتشفني للتو، فلقد كنت مظلومًا من حينها!

-سبحان الله!

قَلِقَ الأب وتجهمت الأم ليتساءلا سويًا:

-خير يا دكتور!

-خير، خير.

قالها الطبيب ثم ابتسم فجأة وقال:

-الله يكون في عونكم.

-خير يا دكتور في إيه؟!

ترك الطبيب الجهاز وقال كلمته الأخيرة:

-دول تلاته.

-تلاته؟!!

***

-يعني إنتوا تلاته؟!!

سألت «نور» فابتسم «خالد» قائلًا:

-مش عارف!

-يعني إيه مش عارف؟ كفايه ملاوعه في الكلام.

-ملاوعه!

-هو انتي متأكده إنك دكتوره!

استنكرت «نور» تجريح «خالد» وقالت:

-انت شايفني إيه؟!

-شايفك زيك زيي.

-إزاي؟

-تايهه، قاعده خايفه، مستنيه الحساب.

-هو انتي مش شايفه إحنا فين؟

نظرت «نور» إلى المكان بشيء من الرهبة قبل أن يكمل:

-أنا حاسس إننا أموات مش عايشين.

قالها ودمعت عيناه.

-أو يمكن ندمانين على الحياه.

تركت «نور» السرير واقتربت منه وقالت:

-عشان كده لازم تحكيلي أكتر.

-وإيه الفايده؟

-عشان تعيش يا «خالد».

-ومين قالك إني «خالد»؟

وقفت «نور» متوترةً.

-تقصد إيه؟!

-مقصدش حاجه.

-طيب قولي فين أخوكم التالت؟

وقف «خالد» وضحك ضحكة مثيرة هزت المصحة وقال:

-كلناه.

قالها ثم تابع ضحكاته.

-يا «خاااالد».

لم يسمعها وظل يضحك في الظلام، لتلمع عيناه، حتى بكت «نور» خوفًا وجلست على الكرسي قائلة:

-لو سمحت.

تنبَّه لدموعها، فتوقف فجأة، ثم تغيرت ملامحه إلى ملامح طفل صغير.

-ماتعيطيش.

كاد «خالد» يبكي راكعًا بجوارها قائلًا:

-عشان خاطري ماتعيطيش، أنا هاسمع الكلام، والله هاسمع الكلام.

مسح دموعها فنظرت إليه مندهشة بعدما فقدت السيطرة على نفسها، حيث كانت تفتقد زوجها وابنتها.

-طيب ممكن بقى تفهمني، فين أخوكم التالت؟

في براءة أجاب «خالد»:

-ماما قالت إننا كلناه، هي قالت كده، الدكتور قالها كده.

***

عاد الأب والأم للمتابعة بعد عدة أسابيع لذلك الطبيب الذكي الذي يعرف الكثير، أبعد من رؤية سكان ذلك الزمان. كان بطن الأم قد أصبح أكبر حجمًا، حتى إن المتواجدات بالعيادة ظنَنّ أنها على وشك الولادة، ليطلبن من الممرضة دخولها أولًا لكرم أخلاقهن حال جميع أهل ذلك الزمان، ولكن الأب أصر على الانتظار حتى يحين دوره ممَّا جعله ينتظر لأكثر من ساعة ونصف. دخلا أخيرًا متلهفين لرؤية تلك الشاشة السحرية العجيبة التي تعكس لهما ما في رحم الأم.

-أهلًا أهلًا يا حضرات.

-دكتورنا العظيم.

-أهلًا يا مدام طمنيني.

جلست الأم وهي تقول:

-والله العيال هدوني يا دكتور.

في فخر قال الأب:

-مش تلاته يا دكتور، هههه.

-أكيد طبعًا، طيب إتفضلي يا فندم نطمن عليهم بدل ما يزعلوا.

قالها الطبيب في سخرية، بينما كانت الممرضة قد بدأت في تجهيز الأم على سرير الكشف خلف هذا الساتر الأبيض، حتى وقف الطبيب وارتدى قفازًا جديدًا واتجه إلى الأم، فبدأ بدلك بطنها بسائل لزج، ثم مرَّرَ ماسحه الثمين عليها، ليشاهد على شاشته السحرية الصغيرة، هذه الحركات التي تكونٍ بداية لحياة بائسة. تغيرت ملامح الطبيب الذي ظل يحرك جهازه مستغرقًا وقتًا أطول من المعتاد، فتوقف الأب في فضول واقترب، ولكن الطبيب أشار له أن يظل في مكانه، فتتغير ملامح الوالدين، حتى أنهى الطبيب عمله وعاد إلى مكتبه، لتسارع الأم خلفه في لهفة قائلة:

-في إيه يا دكتور؟

-ولا حاجه اطمني خالص.

-أمال مالك كده يا دكتور وشك متغير؟!

قالها الأب مستفهمًا، ليبدأ الطبيب شرحه:

-كل حاجه كويسه، بس طبعًا أنا كنت شرحت لحضراتكم، إن حمل التلات توائم بيكون مش مستقر وصعب.

-يعني إيه يا دكتور؟ طمني الله يخليك.

-إطمني يا فندم، التوأمِ كويس.

قالها الطبيب بعدم اكتراث لتلك الروح التي فُقدت، تلك الروح التي لم يعرها

اهتمامه، فلم يبالِ هذا الطبيب الذي ألعنه من حينها، لم يبالِ بي!

-طيب في إيه يا دكتور؟

-زي ما قلت لحضرتك التوأم كويس، بس التالت للأسف مكملش.

سكت الأب لحظة ثم تابع، بينما دمعت عينا أمي:

-يعني في طفلين كويسين؟

-عشره على عشره، ما شاء الله عليهم.

قالتها أمي باكية:

-والتالت يا دكتور، إبني التالت راح فين؟

نظر الطبيب - ابن الفاسدة - إلى ساعته، وهو يحسب كم الخسائر التي يتكبدها في إهداره لوقته في هذا الحديث، ليقاطع الأب ساخرًا في محاولة للنظر إلى نصف الكوب المملوء، ومساندًا لأمي.

-أكيد إخواته كلوه.

لم يبتسم الطبيب، وتابع بجدية لإنهاء الحديث:

-نظريًا ممكن تحصل حاجه زي كده، إن طفل ياخد من جينات توأمه عشان يكمل نموه، بس دي حالات نادرة جدًا ولسه العلم بيبحث فيها، الواضح إن الجنين التالت ممكن يكون نزل، وده شيء بيحصل في حالات التوائم الكتيره، خصوصًا إن التالت كان في بويضه لوحده، يعني مكنش متماثل لإخواته، بس الحمد لله، أقدر أأكدلكم إن الحمل دلوقتي ثابت، وإن التوأم في صوره طبيعيه وصحيه جدًا، وياريت بس تجولي بعد أسبوعين مش أكتر عشان أطمن أكتر.

ظل الوالدان جالسين في لحظة حداد على روحي التي ظنا أنها اندثرت، ولكنهما سرعان ما تناسيا عندما نادتهما الممرضة، ليخرجا من تلك الغرفة، دونما اكتراث لحقيقة وجودي أو عدمه، لأبدأ أنا عهدي في الانتقام، الانتقام ممن أزهقوا روحي طمعًا في أعضاء جسدي الفاني!

***

حاولت «نور» السيطرة على انفعالاتها وهي تتساءل:

-طيب يا «خالد» يعني وصلنا لنفس الفكره، إنتوا توأم إتنين.

سكت موافقًا، لتتابع «نور»:

-يمكن جينات الأخ التالت تكون في جسمكوا، وساعدتكوا إنكم تحسوا أكتر ببعض، وده يبرر إن يبقى في بينكم توارد خواطر.

تنبَّه «خالد» وارتسمت على وجهه ملامح سعادة مفاجئة:

-يعني دي أحلامه (هو)؟

-بالظبط كده، وعشان تعرف تعيش، لازم تخرج كل الأحلام دي.

-يعني إيه؟

-يعني عشان تنسى أخوك لازم تخرج كل الأحلام والكوابيس دي، خرجها من جواك، إكتب عنه كل حاجه، خرجه من تحت جلدك، عشان تقدر تعيش وتخرج من هنا، خرجه من مخك، خرجه على الورق، أو احكيلي وأنا هاسمعك.

ظهر الارتياح على وجه «خالد» الذي وافقها أخيرًا.

-خلاص، أنا هاحاول أكتب وهاحاول أحكيلك، بس فكرك كده الكوابيس هاتخلص؟

-هاتخلص، هاتشوف.

قالتها وذهبت لتتركه يكتب، بينما ناداها مرة أخيرة قائلًا:

-دكتوره..... يعني إحنا فعلًا اتنين؟!

قالها زائدًا من شكوكها التي كانت لا تجد لها جوابًا، فهل (هو) واحد أم ثاني اثنين أم ثالث ثلاثة؟!!! وإن كان، فمن (هو) ومن هما ومن أنا؟؟؟

***

-أنا موافق على الخطه دي يا «سيف» ما شاء الله على دماغك، تطلع من هنا

على مكتبنا في السلام تبدأ تنفذ في الكلام ده قبل ما الواد ده يوصل.

قالها اللواء»فاروق» للمقدم «سيف» الجالس أمامه على منضدة الاجتماعات.

-تمام يا فندم، إعتبره حصل.

-تديني تمام دقيقه بدقيقه، وتابع الرائد «عادل» عشان أناهابقى مع أبونا عشان نحاول نوصل لحل في موضوع «ملك» قبل ما الريس يعلق.

قالها اللواء»فاروق» ليذهب المقدم «سيف» متجهًا إلى سيارته ليصل في دقائق إلى مكتب «السلام» للأمن الوطني، والذي كان يضم ضابطين يعلمان خبايا الأمور في المنطقة، ليحييهما المقدم «سيف» ويبدأ في تنفيذ خطته.

-أنا عايز أعرف الشقق المتاحه للإيجار في النهضه.

-زي ما حضرتك قلت فعلًا، هما شارعين اللي الأهالي بيأجروا فيهم.

-تمام، عايز أعرف في كام شقه موجوده للإيجار.

-إشمعنى؟

ابتسم المقدم «سيف» بخبث قبل أن يضيف:

-عايز أأجرهم كلهم.

اندهش الضباط وكرروا جملته.

-تأجرهم كلهم؟!

أشعل المقدم «سيف» سيجارته وأخذ نفسًا عميقًا قبل أن يضيف بمكر:

-إلا شقه واحده.

***



«التاريخ في الوقت الحاضر ٨ أكتوبر الساعة ٦ مساءً»

(٩)

«الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، أشهد أن لا إله إلا الله، أشهد أن لا إله إلا الله، أشهد أن محمدًا رسول الله، أشهد أن محمدًا رسول الله، حي على الصلاة، حي على الصلاة، حي على الفلاح، حي على الفلاح، الله أكبر، الله أكبر، لا إله إلا الله»

قالها المؤذن وكأنما يخاطبه، ذاك الذي كان يحاول النوم دون فائدة، فلا زال الأرق يطارده، وإن لم يكن «طاهر» قد قابل «فريدة» بعد ليشرد هكذا كالعشاق، فهيامه كان في البحث عن الحقيقة، تساؤلات كثيرة يطرحها عقله الذي بدأ ينضج، ليتساءل عن خالقه، الذي لم يقابله قط، متذكرًا ذلك الشيخ الذي جلبته جدته ليحفظه القرآن، وكان يضربه بتلك العصا الخشبية التي لا تزال آثارها تغطي بعض أجزاء جسده، ليحفظ «طاهر» الكثير من الآيات دون استيعاب معانيها، ليظل يبحث عن الحقيقة في الظلام تارة، وفي الإنجيل تارة وفي التوراة تارة، وحتى في بعض كتب البوذية، وإن لم يستطع أن يجهر بما يبحث عنه أمام مشايخه ومعلميه، حتى كاد يفقد اليقين بوجود خالقه، وإن ظل الخوف يحاصره من ترك الصلاة، فطالما تخيل دائمًا عذاب القبر الذي كان شيخه يذكره به باستمرار وهو يعلم على جسده علامة جديدة، هذا العذاب الذي كان يشبهه كثيرًا بالعرض، الذي سيظل يُعرض على الميت في قبره حتى قيام الساعة ومحاسبته، العرض الدائم والمستمر في حياة البرزخ الذي سيكون بمثابة مواجهة الميت بمصيره، لينظر إليه الميت آلاف السنين في انتظار تنفيذ أحكام ربه، ليتذكر «طاهر» جحيم انتظاره نتائج دراسته التي كانت بمثابة عذاب أكبر من نتائج فشله نفسها، فكيف يكون شعور الانتظار لآلاف السنين أمام شاشة العرض! عرض العذاب، رائحة جهنم التي ستذيب لحوم كل عاص، حتى يدفع ثمن خطاياه، لتزداد تساؤلاته لمَ يدفع خالقه بحرقه بتلك الطَّريقة؟! لينفر «طاهر» من الحياة نفسها متمنيًا أي شيء يضمن له الهروب من تلك اللحظة، يتمنى أن يتلاشى أو يفنى عدمًا، حتى يهرب من الحساب، فلن يتحمل حرارة السعير الذي

تتعدى حرارته حرارة الشمس، ليبدله الخالق لحمًا جديدًا كلما ذاب لحمه فيزيده من العذاب ألوانًا، ليكره «طاهر» لحظة ميلاده متمنيًا الفناء، متفهمًا لمَ أبت الجبال حمل تلك الرسالة التي تقبلها الإنسان؟! ليظل يعاتب خالقه على سبب خلقه! متمنيًا الهروب من هذا المصير، فلم يكن جاهزًا أبدًا لهذه الساعة التي سيظهر له فيها هذان الملكان، اللذان حفظ توصيفهما عن ظهر قلب «منكر ونكير» فهما لا يزالان يزورانه كلما نام أو غاب لحظات عن الوعي، ليكره «طاهر» نومه الذي يتخيلهما فيه كما وصفهما «جبريل» لنبي المسلمين «محمد»، ذلك الوصف الذي عجز عن الإحاطة بطولهما وعرضهما، بل وصف أصواتهما كالرعد القاصف، وأعينهما كالبرق الخاطف، وأنيابهما كالصياصي، لهب النار في أفواههما، ومناخرهما ومسامعهما، يمسحان الأرض بشعورهما، ويحفران الأرض بأظفارهما، ومع كل منهما عمود من حديد، لو اجتمع عليه أهل الأرض ما حركوه، يأتي «منكر ونكير» الميت في قبره وحيدًا، يسلكان روحه في جسده، ثم يقعدانه فيقولان له: «يا هذا، ذهبت عنك الدنيا وأفضيت إلى معادك فأخبرنا: من ربك، وما دينك، ومن نبيك؟».

هذه الأسئلة الثلاثة التي حفظها «طاهر» عن ظهر قلب؛ خوفًا من تلك الساعة التي سينتهره فيها الملكان انتهارًا يرى فيها أن أوصاله قد تفرقت، وعروقه قد تقطعت، ليجيب عن تلك الأسئلة.

«ربي الله الواحد الأحد، وديني الإسلام، ونبي «محمد»

ردده «طاهر» متذكرًا، وترك سريره فزعًا ووقف ملبيًا الأذان، ليخرج تاركًا «خالد» ويسرع بالنزول من عقار جدته بميدان الإسماعيلية بمصر الجديدة، متجهًا إلى ذلك الشارع الضيق مسرعًا، إلى المسجد قبل إقامة صلاة العصر، فيقابل «حبيب» الذي كان قد تعرف على «خالد» منذ أشهر قليلة ليستوقفه قائلًا:

-يا عم «خالد» رايح فين؟ ومش بترد على التليفون ليه؟ أنا كنت هاروح.

نظر «طاهر» في استياء إلى وشم العذراء المرسوم على ساعد «حبيب» ثم قال:

- أنا «طاهر» مش «خالد»، ربنا يهديكم جميعًا.

قالها وذهب في طريقه، ليندهش «حبيب» الذي ظل مسمرًا للحظات عندما دخل «طاهر» حرم المسجد، مسرعًا إلى الصفوف الأولى متذكرًا توصية معلمه بفضل الصفوف الأولى، ليدفع ببعض كبار السن حتى وصل للصف الثاني، مباشرة قبل إقامة الصلاة، بينما كان خلفه «وحيد» الذي لم يزل في المنطقة يلملم ما تبقى له من مقتنيات داخل مقر الحملة، لينظر له من خلال نظارته بشيء من الريبة، فلقد كان «وحيد» مندهشًا، فلم يكن يتوقع أن يكون مثله ممن يصلي! وإن كان «طاهر» غير منتظم في الصلاة، بعكس «وحيد» الذي كان منتظمًا فيها وفي الدروس التي تليها بين الفروض.

ظل «وحيد» في الصلاة ناقمًا، حتى إنه لم يهتم بالخشوع فيها، حاله حال الذي يؤدي الصلاة كأنها من العادات اليومية، كما كان «طاهر» شاردًا في وشم «حبيب» الذي لفت انتباهه، ليظل يتساءل عن حُرمته في عقله، حتى فرغ الشيخ من الصلاة، ثم أدى الجميع صلاة السنة، بينما ظل «طاهر» متوقفًا وكأن على رأسه الطير، حتى فرغ الجميع من صلاتهم، واجتمع بعض الشباب حول شيخهم، الشيخ «سالم»، هذا الرجل الطيب الذي أمقته وأمقت لحيته البيضاء التي تمنعني من الاقتراب منه، ومن بينهم «وحيد»، الذي لم يزل يراقب «طاهرًا» ظنًّا منه أنه «خالد»، في تعجب لا يخلو من الحقد، فقد كان يعلم بميراثه وثروته التي كان يتمناها، حتى - وإن قايضها بوالديه -.

اقترب «طاهر» من الشيخ في تحفظ ليناديه بابتسامة بشوشة:

-إزيك يا «طاهر» يابني؟

-سلامو عليكو يا شيخنا.

كان الشيخ «سالم» قويًّا، بدين الجسد، هادئ الملامح، يحبه الجميع عداي.

-عليكم السلام يا بني، إتفضل اقعد معانا واقف ليه؟

في تحفظ ظل «طاهر» واقفًا لحظات، قبل أن يقترب من الشيخ هامسًا:

-كنت محتاج من حضرتك فتوى، بس على انفراد لو أمكن.

ابتسم الشيخ «سالم» سعيدًا بسؤاله، وكسر حاجز صمته، ليأمر كل تابعيه

بالانصراف للحظات قائلًا:

-معلش يا ولاد، إبني «طاهر» أول مره يسألني في حاجه، من غير تكليف سيبوني معاه شويه، أنا عضمتي بقت تقيله.

تحرك الشباب ومعهم «وحيد» الذي اندهش من اسم «طاهر» ليقتله بنظراته، بينما جلس الأخير في ارتياب أمام شيخ المسجد مستفسرًا منه عن طبيعة الفتوى.

-قول يا «طاهر» يا بني وماتتكسفش، كل اللي في سنك بيسألوني عن حاجات كتير، لا حرج في الدين، اسأل اللي في نفسك.

في إحراج نظر أرضًا ثم همس قائلًا:

-كنت عايز بس....

-علّي حسك يا حبيبي مفيش حد معانا، إحنا لوحدنا.

لم يكن الشيخ يعلم بوجودي، فلقد كان «طاهر» خائفًا مني، وإن كان يجهل أني أمتلك أذنيه ولسانه وشفتيه، لأنطق بما أحب!

-حاضر، آسف يا شيخنا، أنا كنت عايز أستفسر عن الوشم.

اندهش الشيخ من السؤال الذي لم يسأله الشباب يومًا! فلقد كان معتادًا على أسئلة متعلقة بالجنس، أو أشياء من هذا القبيل، ليقول:

-الوشم!

أحرج «طاهر» وكاد يترك الشيخ، الذي أمسك بيده وقال:

-رايح فين يا بني؟ هو أنا لسه قلت حاجه؟

ارتبك «طاهر» وقال:

-أصل يا شيخنا أخويا كان هايعمل وشم، وأنا خايف عليه.

-أستغفر الله العظيم، الوشم ده حرام عند جميع العلماء.

في استياء أجاب «طاهر»:

-ليه يا شيخنا، هو بيضر حد؟

في تعجب أجابه الشيخ:

-أيوه طبعًا يا «طاهر» بيضر صاحبه، ربنا أحسن وأبدع خلقه، ومش من حقنا يا بني نعدِّل عليه، جسمنا ده أمانه لازم نحافظ عليها، زي الصحه كده.

-طبعًا، طبعًا يا شيخنا.

-بس قولي، أخوك مين؟!

قالها الشيخ متعجبًا ليجيب «طاهر»:

-«خالد» يا شيخنا، أخويا «خالد».

-عمري ما شوفته هنا، مع إني في المسجد ده بقالي سنين.

في ارتباك أجاب طاهر:

-معلش، مسير ربنا يهديه وتشوفه في الجامع إن شاء الله.

-ده دورك يا «طاهر» يا بني، بس قولي، هو إيه اللي طلّع في دماغه حكاية الوشم دي؟

سكت «طاهر» لحظة قبل أن يجيب:

-واحد صاحبه.

-آه، هي دي أصل كل المشاكل يا «طاهر» يا بني، الصحبه، النبي عليه الصلاة والسلام...

-عليه الصلاة والسلام.

-كان بيوصي دايمًا بالصحبه الصالحه، وكان دايمًا بيحذرنا من أصدقاء السوء، خليك جنب أخوك يا «طاهر» وابعده عن أصحاب السوء يا بني، عشان تسلم.

-حاضر يا شيخنا، إن شاء الله خير.

قالها ووقف، ليقول له الشيخ:

-ماشي ليه يا «طاهر»؟ ما تحضر معانا الدرس.

في تردد أجاب «طاهر»:

-معلش يا شيخنا والله عندي شغل.

ثم غادر المسجد والغضب يملؤه، بينما كانت نظرات «وحيد» تلاحقه ليترك الشيخ، ويتابعه بعدما خرج دون حضور الدرس كعادته، فيجد «طاهر» «حبيبًا» واقفًا في انتظاره بابتسامة بشوشة.

-حرمًا يا عم الطاهر، والله كنت ناوي آجي أخطف ركعتين معاك، بس بصراحه مش متوضي.. ههههه.

ساخرًا قالها «حبيب» بسلامة نية، لم تحفظه من غضبه، فلقد كان (هو) قد حسم أمره مسبقًا، لينهال (هو) عليه بالضرب والتعدي، ليسقط «حبيب» أرضًا في اندهاش وألم.

-«خالد» حرام عليك بتعمل إيه؟! أنا لو قمت عليك هموتك.

قالها «حبيب» في حسرة لم تمنعه من تلقي المزيد الضربات، حتى تدخل «وحيد» وبعض المصلين، ليحموا «حبيبًا» من قسوته غير المعهودة وطاقة الغضب التي تملكته للحفاظ على «خالد»، بينما نظر «وحيد» إلى وشم «حبيب» ليبتسم فرحًا من تصرفات «طاهر» التي شعر أنها تخفي الكثير.

***

استيقظ «خالد» شاعرًا بالضيق من داخل المصحة، ليجد «ملك» تجلس كعادتها في هدوء، قائلة:

-حلمت بيه تاني؟

في اندهاش سأل «خالد»:

-وانتي إيش عرفك؟!

ابتسمت «ملك» قائلة:

-أنا أعرف كتير، بس ده مش مهم، المهم إن حالتك تتحسن، عشان أروح لماما.

في تعجب سأل «خالد»:

-وأنا مالي بمامتك؟!

قفزت «ملك» من كرسيها وقالت:

-إسأل نفسك، عمومًا أنا وعدوني إنك لما تخف هاروح لماما، وأنا جايه أقولك إنك لازم تسمع كلامها وتكتب، صدقني هاترتاح، إكتب عنه كل حاجه، زي ما كتب عنك زمان كل حاجه.

توتر «خالد» ووقف تاركًا سريره، بينما غادرت هي الغرفة ليحاول استيقافها.

-انتي عارفة «طاهر» كتب عني إيه؟

التفتت «ملك» له وقالت بابتسامة:

-كتبك انت شخصيًا.

قالتها وسكتت برهة، قبل أن تكمل:

-صدقني، لو كتبت انت كمان عنه، هاترتاح وهاتخف، وأنا هارجع لماما.

ظل «خالد» يتأمل كلامها في اندهاش، ليتذكر إصرار «نور» عليه أن يكتب، استسلم وأخذ قلمه الرصاص وأعد لوحاته الخاوية وذهب ليجلس على الكرسي المجاور له ليغرق في الكتابة، و(هو) يتذكر شيئًا فشيئًا، حتى تملكه الألم، فقد حاول مرارًا وتكرارًا النسيان، ولكن قدره قد دفعه مرة أخرى ليتذكره (هو)، صاحب «سر الثالوث الأوحد»، ليتذكر بدايته «خالد»، «خالد بن إبراهيم».

***

دخل المقدم «سيف» مع زملائه حي «النهضة» متجهين بسيارته إلى محل جزارة كبير مملوك لأحد ملاك العقارات المشهورين بالمنطقة، وقد فتح الرجل جزارته في هذا الوقت خصيصًا لاستقبال ضباط الأمن الوطني الذين

اتصلوا به للضرورة، ليلبي الرجل نداءهم في توتر، ليبدأ في الإنصات إلى طلبات المقدم «سيف» الذي اختاره دون غيره لثقة زملائه به، خوفًا على مصالحه، وقد كانت مكيدة المقدم «سيف» تستوجب تأجير كل شقق المنطقة عدا شقة في عقار هذا الرجل، على أن يسمح لهم بالدخول مسبقًا لوضع أجهزة تصوير وتصنت في هذه الشقة، وبالطبع لم يعترض الرجل الذي لا يسمح بالإيجار لغير العائلات وإن كان مضطرًا للقبول هيبةً من رجال الدولة والسلطة الذين قد يحتاجهم في عمّا قريب.

تسلم المقدم «سيف» مفتاح شقتين في عقار الرجل، إحداهما في الثامن، استأجرها لوضع قواته من ضباط وفنيين لمتابعة «وحيد» وتصفيته إن ساءت الأمور، وشقة أخرى في السابع، دخلها مع بعض الفنيين لوضع شبكة من الكاميرات في كل نواحيها، وبالفعل، وفي ساعات معدودة، كان الفنيون قد نجحوا بتوصيل كاميرات متناهية الصغر في كل أرجاء الشقة، موصلين إياها بشاشات عرض وُضعت في الشقة التي تعلوها في الطابق الثامن، حتى بدأت الشمس في الشروق لينتهي الجميع من عملهم في الطابق السابع مسلّمين صاحب العقار مفتاحها ساكنين الطابق الثامن في انتظار ظهور «وحيد»، بينما كان الكثير من ممثلي المقدم «سيف» قد ظهروا في شوارع المنطقة مستأجرين كل الشقق المتواجدة وعددها ثماني عشرة، في ساعات معدودة، وسط سعادة بالغة لملاك الشقق الذين جهلوا حقيقة ما يحدث بمنطقتهم، عكسي أنا الذي يرى ما في باطن النفوس، خاصة قريني أنا الذي لا يزال يبحث عن هويته في تلك المصحة ليكتب بيُسراهُ ما يظنه صحيحًا.

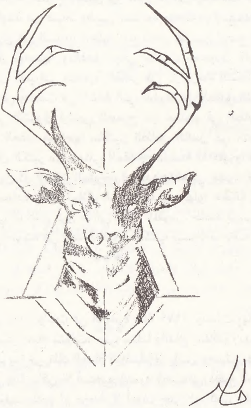
***

أنا «خالد»....

«خالد إبراهيم الوكيل»، ولدت في القاهرة سنة ١٩٧٩، ونشأت بها في عائلة فاحشة الثراء، لأعيش بضع سنوات، حتى سبقنا والداي لملاقاة ربهما وأنا في الثامنة، فأصبح شريدًا في تلك الحياة البائسة، لا يؤنس وحدتي غيره (هو). سنوات مرت عليَّ وأنا ساكن، لا أستطيع التمرد كطبيعتي، أطيع الجميع رغم حبي لحريتي، فلست بتابع أو مؤمنًا، لا أعرف حتى إن كنت ملحدًا، فقط

أبحث عن حريتي، هكذا خُلقت، فلمَ تقتلون فطرتي؟! دعوني حرًا أبحث عن خالقي، فالعمر لحظة، لحظة لا أريد إهدارها في سجود وتعبد لخالق لم أره منذ ولادتي، فالجنة والجحيم هنا على تلك الأرض، المتعة والألم هنا وسط الخلق، فلمَ أخسر ساعاتي القليلة في هذا الهراء؟! كل هذا كان في خاطري، عشت مسالمًا كالجدي، حتى غدر (هو) بي، وأستقبلت خيانته في اليوم الذي فيه قُتلت.

***



«التاريخ في الوقت الحاضر ٩ أكتوبر الساعة ٨ صباحًا»

(١٠)

من داخل مكتب متواضع جدًا، ومليء بالدفء، جلس اللواء «فاروق» مع أحد كبار مسؤولي الكنيسة، في تلك الغرفة الواسعة وإن كانت تبدو ضيقة لتكدسها بالمفروشات والأثاث. كان الخشب أساس الديكور من الأرضية الباركيه البنية، كلون الخشب الذي يكسو منتصف الحوائط السفلي، تاركين الجزء العلوي لدهانات فاتحة لتُظهر اللوحات الفنية المعلقة عليها، ترك القس مكتبه ليجلس بجانب ضيفه على أريكة خضراء أكثر انخفاضًا تجاور عمدانًا خشبية عليها شمعدانات نحاسية قديمة، نُحت عليها «سر الثالوث الأوحد».

كان هذا القس السبعيني يرتدي زيه الأسود، يجلس حزينًا متكلمًا في هدوء وقلق:

-أنا مقدر الظروف يا «فاروق» بيه، بس أنا فعلًا الضغط عليا بقى صعب.

-أنا مقدر ده، بس أكيد حضرتك عارف خطورة الموقف سياسيًا.

-يا «فاروق» بيه، أنا راجل مسيحي، يعني عمري ما هاضر حد، وإحنا أكتر ناس ممكن نستحمل، بس الشباب الصغير مش هايفهم ده، الشباب محتاج إجابات، الأم اللي خسرت بناتها الاتنين، عايزه سبب جديد تعيش عشانه، البنت اللي أمها ماتت عايزه حضن جديد تبات فيه، الضغط بقى عالي وأنا خايف أعيش ولاقي يوم مسيحي ماسك سلاح، انت عارف يا «فاروق» بيه إن المسيحي الحقيقي أهون عليه يهاجم مسيحي من إنه يهاجم مسلم؟

أنهى القس هراءه، ليضيف اللواء «فاروق» هراءه هو الآخر:

-عارف يا أبونا، وانت عارف إن نفس الكلام في دينا، بس الموضوع مش دين.

-بيتهيألك يا «فاروق» بيه، بيتهيألك، الموضوع في الدين، في الهويه نفسها، وده مش غلط ولا عيب، من أول «حواء» و«آدم»، والبني آدمين بيتصارعوا عشان هويه، عشان دين أو جنس، بس الفرق إن رغم الصراعات دي والاختلاف

ده، كانت الناس بتعرف تعيش مع بعضها، عارف ليه يا «فاروق» بيه؟

-ليه يا أبونا؟

تساءل ليجيب القس -أسفًا- بالحقيقة التي عزلتُها دهرًا عن العقول:

-عشان الناس كانت حابه تعيش، كانت حابه الحياه، عشان كانت الحياه تستحق تتحب، رغم الحروب والمرض والفقر، إحنا مش أفقر جيل، ولا أكتر جيل عنده حروب وموت ودم، بالعكس، عمر ما الحياه ما كانت أسهل من كده، زي ما بقولك يا «فاروق» بيه، الفرق إن الناس كانت حابه الحياه، كان عندها أمل في بكره، أو يمكن مكنتش خايفه زي دلوقتي من بكره.

-عندك حق يا أبونا، وإحنا هانجيب حق كل اللي راح قريب أوي.

حاولت أن أوسوس فاشلًا إلى رجل الدين الذي تابع:

-اللي راح مابيرجعش يا «فاروق» بيه، وهما في مكان أحسن أكيد، ولو مسكتوا اللي عملوا كده وسلمتهولي، أنا هادعيله بالهدايه وهاسيبه.

-أمال إيه طلباتك يا أبونا؟

-مش بقولك بنتكلم لغه مختلفه.

كنت كارهًا أنا لتلك اللغة التي لم أفهمها منذ خلقي، ليتابع الرجل:

-شغلك ده واجبك، وواجبي وواجبك نحافظ على البلد دي، ولو لآخر نقطة دم مسيحي.

-يا أبونا إحنا دمنا كله فدى دمكم.

-إحنا مش عايزين شعارات يا «فاروق» بيه ولا عايزين دم، إحنا عايزين حياه.

-مش فاهم!

-إحنا عايزين «ملك»، إحنا أولى بيها يا بني.

توتر اللواء «فاروق» ليضيف القس:

-عارف، من غير ما تكمل، وعارف إن ده كان طلبي، بس «ملك» بقت رمز كبير عندنا، والضغط عليا بقى صعب، «ملك» لازم تحب الحياه يا «فاروق» بيه.

قالها القس ليترك المسئولية على كاهل اللواء «فاروق» الذي غادر مهمومًا ليتصل بالرائد «عادل» ويستعجله على استنباط أي معلومات من «ملك»، فيتوتر الرائد «عادل» الذي كان في طريقه إلى «شرم الشيخ» ليقابل «يوحنا» القس المسؤول عن رحلة الأتوبيس المشؤوم، والذي ينتظره في الساعات القليلة المقبلة.

أخرج الرائد «عادل» رقم الدكتور «فهد» وهو في سيارة الشرطة المتجهة إلى «شرم الشيخ» فيجيبه الأخير من المصحة بـ«دهب»، وهو جالس مع «ملك» في غرفة «نور».

-ماتقلقش «ملك» قدامي أهيه، حاضر يا «عادل» بيه، مع ألف سلامه.

أنهى «فهد» المكالمة واتجه بحديثه إلى «ملك»:

-الرائد «عادل» صاحبكِ كان بيسأل عليكي أهو، وهايجيلك قريب.

ابتسمت «ملك» ليضيف الدكتور «فهد»:

-طيب مش ناويه تحكيلي إيه اللي حصل ومخبياه عليا؟

-ما أنا بقولكم ومحدش مصدقني.

-طيب إحكي تاني عشان خاطري، جربيني، وأنا هاعملك كل اللي انتي عايزاه.

-بجد؟

-آه طبعًا يا حبيبتي، نفسك في إيه؟

-طيب عايزه أنزل الجنينه تاني.

-تاني يا «ملك»؟ طيب. هانتفق اتفاق، هاتنزلي بس مع أنكل «نبيل».

-هههيه بجد؟

-آه وحالًا كمان.

قالها الدكتور «فهد» واتصل بمساعده «نبيل» فأجاب من مكتبه في الطابق الرابع، بين غرفة «الشرنوبي» والاجتماعات والانتظار، الموضوعة فيها صورة كبيرة لـ«الشرنوبي» الأب. أطاع «نبيل» مديره وأسرع إليه، بينما تابع الدكتور «فهد» حديثه مع «ملك»:

-أهو ممكن بقى انتي يا «ملك» تحكيلي السر؟

في طاعة أجابت «ملك»:

-أنا شفت ماما امبارح.

-شوفتيها فين؟

-هنا وجابتلي العروسة دي.

قالتها وأشارت «ملك» إلى عروس «سيندريلا» التي كانت بيديها، ليساور الدكتور «فهد» الشك، فلم يظن أنها أمتلكتها من قبل.

-طيب ومقعدتش معاكي ليه؟

-راحت تشوف الباقي، أصل هما كلهم هنا.

قالتها وهي تهز قدميها اللتين لا تلامسان الأرض.

-طيب انتي كنتي فين قبل ما تيجي هنا مع مامتك يا «ملك»؟

-كنت في الأتوبيس.

شعر الدكتور «فهد» بتقدم كاذب فتابع في سعادة:

-حلو جدًّا، وحصل إيه في الأتوبيس ده؟

-ولا حاجه، كنا بنغني وبنرقص، وبعدين وقفنا لما أصحاب ماما وصلوا.

-أصحاب ماما مين يا «ملك»؟

قالها الدكتور «فهد» في فضول مميت، قبل أن تتذمر «ملك» خاصة عندما

طرق «نبيل» الباب.

-أوف بقى أنا عايزه أروح الجنينه.

-حاضر، كفايه كده دلوقتي، ادخل يا «نبيل».

دخل «نبيل» بابتسامته الصفراء المعهودة.

-تعالى يا «نبيل» معلش خد «ملك» بنفسك وانزل بيها الجنينه، وماتسيبهاش لوحدها خالص.

-بس كده، عنيا الاتنين، أنا تحت أمر مادموازيل «ملك».

قالها «نبيل» وخرج من الغرفة، ليجد الدكتورة «نور» أمامه قد خرجت من الغرفة المجاورة لتوها، فيتلعثم ويقول:

-دكتوره «نور»؟ أهلًا بيكي وسلامتك ألف سلامه.

-لا، أنا اتحسنت خلاص يا أستاذ «نبيل».

-ربنا يطمنا عليكي يا بنتي ويصبرك، عن إذنك.

قالها «نبيل» ليطمئن على حالة «نور» ثم خرج تاركًا إيَّاها في طريقها إلى غرفة «خالد» بعدما خطفت نظرة ـ باستنكارٍ ـ إلى الدكتور «فهد» الجالس على مكتبها في تحدٍّ.

دخلت «نور» غرفة «خالد» الذي كان نائمًا، وإن وجدت على حامل لوحاته رسمة جديدة، رسمها (هو) بقلمه الرصاصي، لتلك الفتاة الجذابة المحجبة الفريدة من نوعها، فهي كانت بالفعل «فريدة».

***

«ابحث دائمًا عن المرأة، فهي سر الكون، ورحم الجنون»

بجانب شجار «طاهر» و«حبيب» من خارج المسجد، عبرت هي لتوها في تلك السيارة التي أقلتها مع والديها من المطار بعد غياب سنين طوالٍ بالخليج، ظلت فيها «فريدة» تعاني من الوحدة والملل، وهي فتاة قاربت الثلاثين من

عمرها، بيضاء البشرة، طويلة نسبيًا، هادئة الملامح، جذابة، ناضرة الوجه، وإن حد من جمالها تلك الطرحة البغيضة التي تغطي شعرها الأسود الطويل الناعم الذي أعشق عبق رائحته العطرة. صف السائق السيارة، لينزل منها «صالح» والد «فريدة» والذي استنفد شباب عمره في دول الخليج بحثًا عن المال، ليتطبع بعاداتهم المنغلقة التي أفرزت كبتًا عانت منه «فريدة» كثيرًا.

«صالح» رجل في الستينيات، ضعيف البنية، قصير القامة، قمحي البشرة، أصلع الشعر. خرج من السيارة لينزل الحقائب مع السائق، بينما توجهت زوجته لتحيي جدة «خالد» جارتها بالعقار والتي لم تقابلها منذ سنوات طويلة، الأم هي سيدة سمينة في الخمسينيات، بيضاء البشرة، ترتدي الحجاب لتحمي الجميع من قبحها.

خرجت «فريدة» من السيارة وظلت تنظر إلى العقار في سعادة، لتتقدم حاملة كوب قهوتها الذي ابتاعته منذ وصولها للمطار، في حين كان «طاهر» قد أنهى عراكه مع «حبيب» وعاد متجهًا إلى عقاره، فيصطدم بـ«فريدة» التي سكبت على ملابسه ما تبقى من قهوتها، ليغرق «طاهر» في عمق عينيها العسليتين ويظل صامتًا، بينما هي تنهال عليه بالاعتذارات التي لم تزحزح من صمته، حتى كررت على أذنه بصوتها الدافئ:

-آسفة بجد والله.

-ها.... خير.. حصل خير، سلامو عليكو.

قالها «طاهر» ثم تحرك أخيرًا ودخل العقار، ليصعد بضع سلالم ليصل إلى شقة جدته التي كانت واقفة مع والدة «فريدة»، فيحييهما بسرعة ويتوجه للداخل، لتندهش الجدة التي قاربت على السبعين من العمر، وهي والدة «إبراهيم»، طويلة القامة، نحيفة الجسد، سمراء البشرة، ترتدي ملابس شرقية قديمة الطراز.

دخل «طاهر» غرفة أخيه الواقعة يسار المدخل، ليجد «خالدًا» يرسم لوحة جديدة على حامل الرسم، فيلقي بها أرضًا.

-في إيه يا «طاهر» انت اتجننت؟!

-إسمها عقلت، ومش هاسكت على المسخره اللي بتعملها دي.

-مسخرة إيه يا «طاهر»؟ ماتتكلم عدل.

-أنا أخوك الكبير وأتكلم براحتي.

-كبير إيه؟ انت مصدق نفسك دي دقيقه يابني!!

-لا أنا كبير بعقلي وديني يا «خالد»، والبيت ده مش هايتعمل فيه حاجه تغضب ربنا كده تاني طول ما أنا عايش.

-يا «طاهر» ده بيتي زي ما هو بيتك وانت ماتقدرش...

-لأ أقدر.

يقولها «طاهر» وهو يقطع لوحات «خالد» بعصبية.

-أستغفر الله، أستغفر الله يا أخي.

-لا يا «طاهر».... يا «طاهر».

يتمزق قلب «خالد» مع لوحاته الممزقة، ويهرول يمينًا ويسارًا في جنون.

-مفيش لأ، هو صاحبك المسيحي ده أس الفساد، أنا أديتله علقه موت ولو حط رجله هنا تاني هاقطعهاله.

قالها «طاهر» بينما دخلت الجدة مفزوعةً، لتنظر إليه في ذهول، فيعلق «خالد»:

-انت أكيد حصل في مخك حاجه!

توقف «خالد» ثم غير ملابسه وارتدى قميصًا أبيض على بنطاله الجينز، ثم نظر إلى جدته وقال:

-وعلى إيه ده كله؟ أنا هاسيبهالك مخضره.

-إستنى يا بني وبلاش جنان بس رايح فين؟

علقت الجدة.

-هاشوف المجنون ده عمل إيه في «حبيب» ولما تبقوا تحترموني زيه أبقى أرجع.

-يابني حرام عليك، أنا مبقتش أستحمل الجنان بتاعك ده حرام عليكم.

قالتها الجدة بينما نزل «خالد» بسرعة على الدرج حتى وصل إلى الشارع، ليصطدم بـ«فريدة» التي عادت لتأخذ حقيبتها من السيارة. فلم تتمالك نفسها عندما شاهدته مرة أخرى بقميصه الأبيض الجديد، ظنًّا منها أنه نفس الشخص الذي اصطدمت به منذ دقائق، لتضحك «فريدة» ضحكة ساحرة، ويندهش «خالد» بتلك الضحكة غير فاهم سببها، ليتغير وجهه المتجهم بابتسامة سبقت ضحكة «فريدة»، ليظلا يضحكان سويًّا.

***

-«وحيد» وصل؟

قالها «دياب» إلى أحد أتباعه الذي طمأنه مجيبًا:

-وصل القاهرة وقريب هايكون في السلام إن شاء الله.

سكت «دياب» مهمومًا، ثم تساءل عما يدور بخلده:

-مفيش لسه أخبار عن «طاهر»؟

-والله يا كبير لسه ما ظهرش من ساعة عملية «الأتوبيس».

-أنا خايف يكون وقع في إيد الداخليه.

-مستحيل يا كبير، محدش يعرف أي حاجه عنه، «طاهر» ده سراب، لولا إني قابلته كنت افتكرت إنه مش موجود.

شرد «دياب» لحظات يفكر فيه (هو) الوحيد الذي كان يضاهيه في التخطيط والتنفيذ، فلقد كان (هو) فريدًا من نوعه بالفعل، حالي أنا، حاضر في كل مكان وإن لم يكن لي وجود، إلا في العقول والنفوس، أضع بصمتي التي لا يستطيع إنكارها بشر، دون أن يراني الجميع، فأفعالي كافية لإثبات وجودي.

***

«التاريخ في الوقت الحاضر ٩ أكتوبر الساعة ١٢ ظهرًا»

(١١)

-لما «فريدة» بتضحك الدنيا كلها بتضحك، وأنا واحد في الدنيا لازم أضحك وأموت من الضحك.

قالها «خالد» من غرفته بالمصحة لـ«نور» الجالسة بجانبه في حالة تأثر لمشاعره الصادقة.

-لازم أفرح وأعرف قد إيه إني كنت محظوظ إني شفت «فريدة» لازم أفرح إنها ضحكتلي، من غير ما أعرف السبب اللي خلاها تضحكلي أنا دون كل البشر.

سكت «خالد» لحظة التفت فيها بنظره إلى صورة «فريدة» قائلًا:

-أنا عايز أخف.

أراحت «نور» ظهرها على المقعد بسعادة لتتساءل:

-أخيرًا، طيب اشمعنى دلوقتي؟!

جال «خالد» ببصره إلى جدران غرفته قائلًا:

-تعبت، تعبت من الأحلام.

اقتربت «نور» وعلقت:

-طيب خلاص إتكلم، إحكي وأنا أكيد هاساعدك.

ثم أخرجت ورقة وقلمًا، فتابع «خالد»:

-هاحكيلك، بس أبدأ منين؟

-إبدأ باللي انت حابب تتكلم عنه.

سكت «خالد» لحظة ثم نطق اسمها.

-«فريدة» هابدأ بـ«فريدة».

-مراتك؟

-آه بس ماتت.

-ربنا يعزيك.

-فكرك في ربنا أصلًا، عشان يعزيني أو يرحمها؟

كانت «نور» لا تزال تريد كسب مودة «خالد»، فلم ترغب في التوجيه والإرشاد الذي أكرهه واكتفت بالتساؤلات:

-انت شايف إيه؟

-أنا شايف إننا لو ضيعنا عمرنا في صلاه وصوم وفي الآخر ماطلعش في ربنا، هانبقى ضيعنا عمرنا عالفاضي!

كانت هذه فرصة «نور» لتبدأ في إرشاد ساذج لـ«خالد»، فقالت بخبث:

-طيب لو الواحد طاوعك وماضيعش وقته في صلاه وصوم ومات، واكتشف إن كان في ربنا، فكرك هايبقى إيه العمل؟

ارتسمت ملامح الرهبة على «خالد» فجأة فظل لحظات صامتًا، لأوسوس له مذكرًا بما نسي، لينطق أخيرًا:

-طيب مش بتقولوا إن ربنا عدل، ليه ظلمني؟

قالها بكفر واضح، قريب إلى قلبي، لتحاول «نور» التحايل على الواقع:

-وانت شايفه ظلمك إزاي؟

ضحك «خالد» ووقف وتابع حديثه وهو يتحرك ذهابًا وإيابًا:

-أبدًا، أبويا وأمي يموتوا في عز شبابهم وأنا عندي تمن سنين، ده مش ظلم؟!

وقف لحظة مراقبًا نظرة العطف التي ارتسمت على وجهها وإن لم تعلق، منتظرةً حتى يفرغ «خالد» كل ما يخفي.

-ملقيش عم أو خال عشان يربوني مع ولادهم، ده مش إسمه ظلم؟! أتربى مع واحده كهنه عندها فوق التمانين سنه دلوقتي، ده مش إسمه ظلم؟! إن

بدل ما جدتي هي اللي تخدمني أنا اللي أخدم عجزها، ده مش إسمه ظلم؟! أنا حقيقي بكرهها، واتمنيت كتير إني أقتلها، قبل ما يسبقني (هو).

قالها «خالد» بقسوة أدهشت «نور»:

- أنا بكرهها وبكره كل اللي ظلموني.

ظلت «نور» صامتة تنظر إلى «خالد» الذي كان قد أفرغ الكثير:

- لو ربنا موجود، ليه لما عوضني بـ«فريدة» خدها مني تاني؟ ليه لما شفت بنتي بتخرج من رحم أمها، خدها مني تاني؟!

دمعت عينا «خالد» متألمًا من جراح قلبه.

-طب مكنش يديهملي من الأول.

بدأت الحشرجة تتداخل مع صوت «خالد» الباكي ليكمل، بينما تابعت أنا تذكيره بما أعلمني به ربي من سجايا بني آدم.

-طب حتى مكنش زرع حبهم في قلبي للدرجه دي، أصلي أنا بحبهم أوي، بجد بحبهم أوي، أنا محبتش أمي كده، ملحقتش أحبها كده.

دمعت عيناها من تأثرها رغمًا عنها، بينما تابع «خالد» نحيبه:

-حبيتهم أكتر من نفسي، ومكنتش عايز حد ياخدهم مني، طيب حتى كان خدني أنا، كان خدني من الأول، كان خدني مع أبويا وأمي.

ها (هو) قد وصل لكفره الذي أحب، لأرضى أنا عنه، حتى قاطعته «نور» لتهدئ من روعه وهي تجثو على ركبتيها أمامه:

-عشان كنت صغير، وكان عارف إن لسه ليك دور يا «خالد».

ـ معترضًا ـ قال:

-طيب ما بنتي كانت صغيره مارحمهاش ليه؟! مخدنيش مكانها ليه؟!

-عشان لسه ليك رساله يا «خالد»، انت رساله لينا كلنا، انت رسول على الأرض، لازم تفهم كده.

-مش عايز، مش عايز أبقى رسول، أنا اللي كنت محتاج لرسول يفهمني، أو كان حتى يسيبني مع «فريدة» كان يسيبني معاها، كان يسيبني أحبها، كان يسيبني في حضها، وأنا كنت هاصليله، كنت هاصوم، كنت هاديله كل فلوسي، أنا مش عايز فلوس.

-بس دي نعمه من نعم ربنا عليك يا «خالد» مش كل الناس عندها فلوس.

-مش عايزها، مش عايزها، خدوا كل حاجه ورجعولي «فريدة».

لم تستطع «نور» كبح جماح غيرتها من حبٍ «خالد» المبالغ فيه لتلك الفتاة، لتخرج المرأة الساكنة بين ضلوعها، مندفعة بسؤال:

-انت حبتها كده إزاي؟

نظر «خالد» إليها وابتسم رغم دموعه، فلقد ذكرته أنا بها، ليتأمل السقف شارحًا لها ما كان يشعر به حقًا:

-«فريدة» دي كانت أمي، وأختي، وبنتي، والأهم صاحبتي وحبيبتي، كانت العيله كلها اللي اتحرمت منها، كانت السند، كانت الحلم.

سكت لحظة ثم نظر إليها ـ متابعًا ـ:

-كانت حلم، أحلى حلم.

ابتسم «خالد» وتذكر أحلامه التي تلاحقه، فربما يحلم بها مرة أخرى، ولعل هذا ما يصبره على تلك الكوابيس.

-معلش يا «نور» كفايه كده أنا عايز أنام.

لم تعترض «نور» فلقد كانت تريد كسب ثقة «خالد» الذي غادر سابحًا في أحلامه، بعدما أفرغ الكثير من الطاقة السلبية التي أثقلت كاهل «نور» التي شعرت بالضيق فجأة، وكأنه قد تم استنفادها، فالبشر أنواع، إيجابي وسلبي، هناك من يضيف وهناك من يستهلك، ولقد استهلكها «خالد» للتو بعدما استطاعت هي شحنه، في حين قام هو بتفريغ كل طاقته السلبية بداخلها.

***

من «شرم الشيخ» وبالتحديد في مكتب القس «يوحنا» جلس هذا الصحفي المتطلع «سامي» سارق الذاكرة، ليجد القس «يوحنا» نفسه أمام أحد مشاهد تلك الذاكرة وهو مقطع فيديو لـ«خالد» ظهر فيه مقيدًا، يدلي ببعض الاعترافات الهامة، كاشفًا عن «سر الثالوث الأوحد»، ليسمع القس «يوحنا» جملة «خالد» الأخيرة بوضوح:

-يجب حماية الجميع من شره، كفى أهمالًا وتسيبًا لابد لنزيف الدم أن يتوقف، كما وعدت القس «يوحنا» بشرم الشيخ ومن قبله الشيخ السالم بالقاهرة.

ظل «يوحنا» ينظر إلى هذا الفيديو بتوتر، محاولًا إنكار معرفته بـ«خالد». لحظات مرت من استفزاز هذا الصحفي حتى دخلت السكرتيرة لتنقذ القس، منبهة إياه لوصول الرائد «عادل» ليستأذن «سامي» ويتركه لميعاده بعدما أصر «يوحنا» على تحديد موعد جديد في الأيام التالية غير مكترث لمواعيده التي وضعتها سكرتيرته مسبقًا، فلقد كان يعرف أهمية ما يستطيع هذا الصحفي عمله من ضجة، مستغلًا اسم «يوحنا» الذي حاول تجنب المسئولية في الأيام الماضية منذ اختفاء حافلة الرحلة التي نظمها بنفسه بالاتفاق معه في وقت قريب.

دخل الرائد «عادل» أخيرًا إلى القس «يوحنا»، متفقدًا المكان بنظرات بوليسية، وقد كانت الغرفة صغيرة جدًا محرومة من الإضاءة الخارجية، تكاد تتسع لمكتبه والمقاعد الأربعة التي أمامه، ومكتبة صغيرة عن يمينه مقابلة لمدخل الغرفة المكونة من الباب ونافذة زجاجية تطل على السكرتيرة أغلقها «يوحنا» بستارة بيضاء، ليقع نظر الرائد «عادل» أخيرًا على «يوحنا»، هذا الرجل الأربعيني البسيط ، متوسط الجسم ، وغير المهندم، حيث يرتدي زيه الأسود، يتوسطه صليب ذهبي كبير، ملامحه مريحة، له لحية سوداء طويلة تتخللها بعض الخصلات البيضاء لتزيد من هيبته، على عينيه نظارة من الذهب الخالص.

-أبونااا؟!

-أهلًا أهلًا يا بني اتفضل استريح.
قالها «يوحنا» مشيرًا إلى الرائد «عادل» بالجلوس.
-أنا آسف للميعاد اللي بلغناه لحضرتك متأخر، إحنا مقدرين مشاغلك.
-أبدًا يا بني، أنا بخدم الكنيسه مش أكتر، تحت أمرك.
-أنا كنت جاي لحضرتك بخصوص أتوبيس الكنيسه.
بنفاد صبر يجيب «يوحنا» في توتر:
-ما هو إحنا اتكلمنا في الموضوع ده قبل كده يا بني أكتر من مره.
-أيوه، ما هو أنا عندي معلومه جاى أبلغك بيها.
تنهد «يوحنا» وتوجه إلى درج مكتبه ليأخذ قرصًا مهدئًا تعود عليه وقال:
-سامعك.
-كان في الأتوبيس بنت صغيره.
-«ملك».
قالها «يوحنا» بتوتر.
-بالظبط كده، حضرتك تعرفها كويس؟
-إلَّا أعرفها، دي اسم على مسمى، بس ماتغلاش على ربنا.
-غليت يا أبونا.
انزعج «يوحنا» من حديثه.
-مش فاهم!
-«ملك» عايشه.

كانت هذه هي كلمة السر التي أقنعت «يوحنا» بالتحرك مع الرائد «عادل» إلى «دهب» لرؤية الصغيرة، ليطلب «يوحنا» من سكرتيرته إلغاء جميع مواعيده في الأيام التالية، إلا مواعيد الصحفي «سامي»، ليتجها سويًّا إلى

سيارة الشرطة بعدما اتجهت الشمس إلى الغسق، ليظل «خالد» (هو) الآخر ينظر إلى مشهد الغروب من غرفته بالمصحة متذكرًا ما فعل عندما ترك منزل جدته بحثًا عن «حبيب» الذي رفض كل اتصالاته.

***

«حبيب» أنا آسف جدًا، على اللي عمله «طاهر»، بس أنا مليش دعوه بتصرفاته، لو سمحت رد عليا».

أرسل «خالد» تلك الرسالة النصية إلى «حبيب» قبل أن يتحرك ناحية الشارع الرئيسي، مارًّا بـ«وحيد» الذي لمحه متوقفًا مع أحد البائعين في المحلات المواجهة للمسجد، ليعلق البائع:

-ده بقى تقريبًا الأستاذ «خالد»، بس هو عكس أخوه خالص، مابيركعهاش، سبحان الله الملايين اللي ورثوها عن أبوهم وأمهم بوظت واحد وكرمت التاني!

-سبحان الله يا حاج! صوابعك مش زي بعضها، عن إذنك يا غالي.

قالها «وحيد» وأخذ هاتفه واتصل بـ«دياب» الرجل الذي يتحكم في مصير تابعيه، حالي أنا، وإن كان هو نفسه من تابعيَّ المخلصين، طلب «وحيد» من سيده ميعادًا طارئًا، فاستدعاه «دياب» على الفور، ليشير «وحيد» إلى سيارة أجرة عابرة متناسيًا خطيبته «نشوى» التي ما زالت في مقر الحملة تنتظره.

وصلت سيارة الأجرة إلى أحد أحياء القاهرة القديمة، وترجل «وحيد»، متنقلًا بين الحارات الضيقة التي لا تطولها شمس النهار إلا استحياءً، بين جدران الحوائط العارية، التي لم يغطها أي دهان، لتعيش الحشرات بين فراغات الطوب الأحمر المكشوف. ظهر على «وحيد» التوتر وهو ينظر خلفه في كل خطوة، ساترًا وجهه كله بتلك «الكوفية» الشتوية التي ارتداها رغم حرارة الصيف، ليلفت إليه الأنظار بذكائه المحدود، فلم يكن أبدًا قياديًّا ناجحًا؛ لذا كان يحتاج لسيده الذي يخطط ويرسم له الطريق، خطوات سريعة زادت من دقات قلبه الخائف رغم إيمانه المزعوم، حتى اقترب أخيرًا من غايته، بناية رشيقة جدًا، لا يزيد عرضها على خمسة أمتار، وإن كانت ترتفع لأكثر

من أربعة طوابق، معطية انطباعًا لـ«وحيد» أنه سيتسلق برجًا سياحيًا! توقف «وحيد» لحظة أخيرة عند وصوله لمدخل المبنى المتهالك، ملتفتًا يمنة ويسرة كاللصوص، قبل أن يصعد أخيرًا هذا السلم الخرساني، العاري عن أي شيء آخر، لتتسارع أنفاسه وهو يصعد شيئًا فشيئًا، حتى تعدى «وحيد» الطابق الأخير، فيتسلق سلمًا خدميًا مصنوعًا من الحديد الذي أكله الصدأ، ليصل إلى السطح المكشوف الذي غمرته الشمس بأشعتها القاسية، منتقمة لعجزها عن الوصول لحواري المنطقة.

-حمد الله على سلامتك يا شيخ «وحيد».

التفت «وحيد» خلفه فزَعًا، فلم يتوقع قدوم سيده مبكرًا، ليصبحا معًا فوق تلك المنطقة الشعبية، أعلى هذا السطح الخالي من السور الذي يحميهم من السقوط، لم يكن للسلم جدران، لينتهي إلى تلك الفتحة الصغيرة التي ولج منها، والتي لا تمنع توغل مياه الأمطار فطالما تجرعها هذا المبنى المسكين. كان «وحيد» يهاب المكان، يهاب الارتفاعات غير المحمية، وبالطبع كان هذا المكان بمثابة كابوس بَشع له، وكان هذا من أسباب اختيار «دياب» للمكان، فلقد كان «دياب» ذكيًا، بعكس تابعه، كان يبتغي الطاعة دائمًا من أتباعه، الذين كانوا يهابون نظرته، حيث كانت عيناه ذواتي لمعة مخيفة كالقطط في شراستها، مع بشرته البيضاء وطوله ورشاقته.

-أهلًا يا كبير.

كان واجبًا على «وحيد» احترام قائده الذي يكبره سنًا بأكثر من عشرة أعوام، كما كانت لديه الكثير من العلاقات الإسلامية التي كان يحترمها، خاصة رموز المذهب الشافعي الذي يتبعه.

-اختصر يا «وحيد» عايزني ليه؟ انت مش خسرت؟

بحياء وانكسار علق:

-جوله يا كبير مش الحرب كلها.

تحرك «دياب» واقترب من حافة المبنى بجرأة لا يمتلكها «وحيد» الذي زاد توتره وبدأ يتصبب عرقًا، ليقول «دياب» دون أن ينظر إليه:

-وإيه الجديد؟ ما انت من ساعة ما اشتغلت معانا وانت بتخسر، وبتكلفنا كتير، وأنا مش ناوي أضيع جنيه زياده عليكم، عندي منافذ أحوج للفلوس دي.

-وأنا بقى عندي مصدر جديد للفلوس دي.

استطاع «وحيد» أن يسترعي انتباه سيده الذي التفت إليه وإن باتت قدماه تكاد تنزلق عن الحافة.

-إشرح أكتر.

-طيب بالله عليك قرب شويه.

في حزم قاطعه «دياب»:

-«وحيد»، وضح بسرعه، واختصار لو سمحت.

جفف «وحيد» عرق جبينه مستعينًا بكم قميصه المقلم، قبل أن يوضح:

-عندي مصدر جديد، لو احتويناه، هايكون سند وعضد لينا في الجماعه.

-احتويناه!

تمالك «وحيد» نفسه وعدل من نظارته التي كانت مغمورةً بعرقه:

-ما هو ده اللي أنا محتاجك فيه، هاشرحلك كل حاجه عنه وانت هاتفهم قصدي.

بهدوء تركت قدم «دياب» الحافة، ليتقدم خطوتين إلى «وحيد» الذي كان يهاب اقترابه إلى هذا الحد، ليزداد اقترابه وتكاد شفتاه تلامسان أذن «وحيد» وهو يهمس بصوت هادئ ومخيف سؤاله الأخير:

-(هو) مين؟

وبالطبع استيقظ «خالد» قبل أن يتفوه الشيخ «وحيد» بالإجابة ليجد عتمة الليل تسود المكان.

***

«التاريخ في الوقت الحاضر ٩ أكتوبر الساعة ٦ مساء»

(١٢)

وصل «وحيد» أخيرًا إلى منطقة «السلام» متجهًا إلى «النهضة» مترجلًا وهو يضع كوفيته محاولًا التخفي خلفها؛ خوفًا من الجميع، كالنعام الذي يضع رأسه في التراب. وهو يمشي متوتورًا لا يستطيع حجب خوفه، بدأ في البحث عن ضالته عند حراس العقارات، ليصده كل منهم، واحدًا تلو الآخر، صادمًا إياه أن كل الشقق مؤجرة بالفعل، حتى أشار عليه أحدهم بالتوجه لصاحب الجزارة، فلربما لا يزال لديه شقة خالية، تحرك «وحيد» مسرعًا بخطواته القلقة، حتى صار متواجدًا أمام الكثير من العجول المعلقة تنتظر من يشتري لحمها.

-سلامو عليكو.

-وعليكم السلام.

-معلش يا حاج، ولاد الحلال قالولي إن ممكن يكون عندك شقه مفروشه فاضيه للإيجار.

نظر إليه الرجل متذكرًا مواصفاته ليبتسم مرحبًا.

-والله يابني انت ابن حلال، شقه واحده عندي فاضيه في السابع ماتغلاش عليك.

ابتسم وتابع إجراءاته في سعادة بالغة للتخلص من هذا الأمر الذي كُلف به، ويسرع في دفع الأموال دون أن يفاصل كعادته، ثم اتجه مع الرجل إلى العقار الشاهق الذي توسط منطقة النهضة بطوابقه الأحد عشر، لأتركه أنا وأذهب إلى «خالد» الذي كان لا يزال غارقًا في أحلامه لا يستطيع الهروب منها إلى الواقع، وأدخل أنا في عمق عقله مرة أخرى عابثًا.

***

في المساء خرج «خالد» بحثًا عن «حبيب»، الذي توقع أن يجده في صالة

البلياردو، والتي اعتادا على ارتيادها، وقد كان.

كانت الصالة في حي الزمالك، تمتاز بديكور جريء امتزج فيه اللون الأخضر بالأحمر، يعانقان سويًا الأسود الذي اخترق الأرضية والأسقف، مع تناغم الحجر وحليات النحاس الذهبية، فيظل المكان مختلفًا عن أي مكان آخر. حيًا «خالد» المسؤول عن الكاشير بمدخل المكان ثم سأله عن صديقه:

-صديقي، صباح الفل.

-صباح الخيرات «خالد» باشا، نورت الدنيا، بقالك كتير مش سائل فينا.

-معلش يا صاحبي، بقولك «حبيب» هنا؟

-أيوه يا كبير، جوا على ترابيزه تلاتة.

-حبيبي.

دخل مرتبكًا، فلقد كان يعلم ما أصاب صديقه في ذلك اليوم، وقد جاء في محاولة منه أن يداوي ما حدث، فاقترب من الطاولة الزرقاء الأمريكية والتي كانت بجانب البار، ليجد «حبيب» يلعب وحيدًا، فأخذ «خالد» عصا من حامل كان بجانب العمود، ثم قال للنادل الذي كان خلف البار:

-إتنين بيره مشبرين هنا، عشان في واحد هايطلع عين اهله النهارده.

قالها «خالد» ساخرًا، بينما نظر «حبيب» بعيدًا في إشارة لغضبه، ليقترب «خالد» قائلًا:

-في إيه بس يا صاحبي، انت أول مرة تضرب؟

لم يتفوه «حبيب» بكلمة ليتابع «خالد» ساخرًا:

-يا واد يا كفتس، إنتوا مش عندكم لما بتضربوا على خدكوا الشمال، بتجيبوا اليمين؟ هات خدك اليمين ياض لما أعلم عليه.

ضحك «حبيب» رغمًا عنه، ليقول:

-طب أنا لما أشتم المرحومه والدتك دلوقتي وأتفوه بأفظع الألفاظ هاتتبسط؟

فتح «خالد» يديه وقال ساخرًا:

-عادي، مش ماتت؟ إشتم براحتك، إشتم واتبسط.

ابتسم «حبيب» وقال ساخرًا هو الآخر:

-لا حول ولا قوة إلا بالله، يا بني هاتخليني أنا شخصيًّا أسلم، الله يحرقك.

-هايحرقني ماتخافش، بس هات حضن.

عانق «خالد» صديقه المخلص ثم ترك ميدالية مفاتيحه المكونة من قطعتين متشابكتين على البار قبل أن يتابع:

-بقولك إيه، أنا هابات عندك.

-لأ مش علشان حضنتك تقولي كده، مليش في الرجاله.

-يا زفت انت تطول؟ أنا بتكلم جد، أنا سيبتلهم البيت.

-الصراحه أخوك ده يتسابله الدنيا كلها مش البيت بس.

-حقيقي.

-بس ده نسخه طبق الأصل منك، أنا مكنتش أعرف إنه توأمك.

-أديك عرفت.

-البيره يا «خالد» بيه.

أحضر النادل البيرة التي أمر بها «خالد»، فاندهش «حبيب» قائلًا للنادل:

-ما انت عارف يابني إني مابشربش!

اقترب «خالد» من «حبيب» وأمسك بزجاجة منهما.

-يعني هو أنا اللي بشرب؟

في رفض تام قال «حبيب»:

-يا «خالد» بجد أنا مابشربش.

اقترب «خالد» من «حبيب» وهمس له:

-يعني عمرك ما لقيت عند أبوك إزازه مشبره كده وضربتها؟

ابتسم «حبيب» وقال:

-أبدًا صدقني، حتى أبويا مابيشربش.

-طب عيني في عينك كده.

ابتسم «حبيب» وقد بدأ يتراخى، لأكمل همسي:

-يعني هايحصل إيه؟ وبعدين شايف المزتين اللي هناك دول؟

قالها «خالد» وهو يشير إلى فتاتين كانتا على طاولة بجوارهما.

-شايف هاربين نفسهم شرب إزاي؟

نظر إليهما «حبيب» في متعة واضحة، فلقد كانتا مثيرتين، ليتابع «خالد» إشاراتي:

-شفت بقى؟ انت بس إفرد كم القميص، وخبي العذرا، وهما هايفتكروك زينا عادي، وإسمك ينفع «دبل فس» عادي.

-يعني مش هايحطوني في «الفريند زون»؟

-لأ، دول هايحطوك على الأزون نفسه، بس إشرب انت واتبسط.

ظل «حبيب» مقاومًا صديقه ولم يغطّ الوشم الذي غطى يده اليمنى.

-خلاص بلاش تاخدها على صدرك كده، انت عامل التاتو ده فين أصلاً؟ عندكم في إيطاليا؟

-لا والله أبدًا، ده أنا عامله هنا في شبرا.

-شبرا؟ ههه.

قالها «خالد» وهو يشير إلى إحدى الفتاتين والتي كانت متجاوبة لنظرات «خالد».

-بقولك إيه، السناره شكلها غمزت، تعالى، بس هات معاك الإزازه.

لاحظ «حبيب» نظرات الفتاتين المومستين، ليمسك أخيرًا زجاجته وهو يستغفر مسيحه لأبدأ أنا في عملي، حتى انتهيت منهما وتوجهت إلى مكان آخر في وقت قريب، عند بيت الجدة بميدان الإسماعيلية، لأنتظر «طاهر» خارج هذا المسجد المزعج المقابل لبيت الجدة والذي تؤذيني زيارته، لأظل أنا خارجه أهمس للخلق، حتى خرج أخيرًا، ممسكًا بميداليته المكونة من تلكم القطعتين المتشابكتين، لأزج له بهاتين الفتاتين من أمام ناظره، مومستين تنتظران من يحترم جمال جسديهما مقدرًا ما بدى عليهما من منحيات ونتوءات صارخة، أبدع الخالق في أتقانها، لأريه في خياله ما حاول غض بصره عنه، لأجسد له صورة مقربة لتلك الأجساد العارية المرتجفة من النشوة منتظرة فقط من ينهشها بقسوة، سادًا حاجاتها، مالئًا فراغ رغبتها بقوة، فمن (هو) ومن أنا؟

هذا بينما وصل إلى جواري سيارة الأجرة المصطحبة لـ«وحيد» الذي عاد لتوه من مقابلة خادمي وسيده، السيد «دياب» الذي رضيت عنه، والذي أقنعته بما يجب أن يفعل، لأظل أنا أذكر «وحيد» بجملة «دياب» الفتاكة:

«أيام الهجره يا «وحيد» كل واحد من أهل «المدينة» كان متجوز اتنين، طلق واحده واداها لأخوه المهاجر من «مكة».

كان «وحيد» قد اقتنع بالفعل بالفكرة التي استطاع «دياب» أن يصيغها في إطار ديني يتقبله كل مريض جاهل بالحقائق ودوافعها، ليتقبل «وحيد» كالديوث التنازل عن خطيبته لشأن ظن أنه أعظم.

ظل «وحيد» مترددًا وهو يترجل من سيارة الأجرة قبل أن يصعد لمواجهة خطيبته وقد قبل أن يقايضها بمركز وهمي مرموق عند سيده، ليتشجع أخيرًا مقتنعًا بحجته الواهية ليقول لها في انكسار....

-يعني انت عايز تسلفني لـ«طاهر»؟!

قالتها «نشوى» في غضب.

-لا مسمهاش كده يا «نشوى».

في استنكار وسخرية تابعت:

آه صحيح، ما هو لو سلف هارجعلك، أقصد هديه.

-لا يا حبيبتي.

-حبيبتي إيه بقى؟ ما يجوزش يا شيخ «وحيد».

-يا «نشوى»، دي تضحيه عشان ربنا وعشان المجموعه كلها، وبعدين الشيخ «دياب» مش لاقي حد غيرك يديله الثقة دي، وأنا عن نفسي، عارف إن دي أكبر خساره ليا في حياتي، انتي عارفه أد إيه أنا بحبك و..

لم تستطع «نشوى» الاستماع لحجته، لأملأ أنا صدرها غضبًا، مزينًا لها أموال «طاهر» التي كنت أعلم بحاجتها إليها، لتجيب «نشوى» مطيعة لأوامري هي الأخرى، فأظل أنا أتابع صبيتي بفخر وعزة.

-وإيه يا «وحيد»، هاقولك حاجه غريبه أوي، أنا موافقه يا شيخنا وبكره هاتلاقي الواد ده بيجري ورايا، عارف موافقه ليه؟ مش عشان شيخ «دياب» ولا عشان فلوس اللي إسمه «طاهر» ده، لأ، عشان شكله راجل ويستاهل.. عن إذنك.

لم تكن «نشوى» تحتاج إلى من يقنعها، فلقد كانت مؤمنة بتلك الأكاذيب التي يحاول «وحيد» تصديرها إليها، ولكنها لم تكن تظهر ما تخفي، فلقد امتلكت «نشوى» وجهًا كوجه «الجوكر» الذي لا تستطيع التكهن بمشاعره أبدًا. كانت الخطة واضحة، رسمها لهم «دياب» بدهائه، فلقد تيقن الجميع من احتياجهم لماله وقوته، فكما فهموا بني الإسلام على أكتاف هؤلاء الذين سخروا أموالهم وسلطتهم للدفاع عن نبي المسلمين، بعدما تعاطفوا معه، فلمَ لا يتبعون نبيهم في استدراجه؟! ليثأر «طاهر» لهم بشهامته، التي تتطابق مع شهامة العرب، ليعوضوه عما كان يفتقده «طاهر»، العائلة التي افتقدها منذ صغره، فيعطونه الهوية التي افتقر إليها، ليجد «طاهر» كل ما يحتاج إليه لديهم، ويسلم نفسه إليهم طواعية، ليستطيعوا هم الوصول إلى كل أمواله وقوته لنصرتهم، نصرة دينهم، الدين الذي يؤمنون به، ليتباروا في التنازل عن الغالي والنفيس من أجله، من أجل نبيه الذي مات منذ قرون ولا يزال الكثيرون يتبعون ما قال، رغم تهالك تلك السنين، ليصبح لوجودي سبب ويقين، فسنظل على خلاف إلى يوم الدين.

ولقد صدر أمر «دياب» واجب النفاذ، لتعلن جماعته المضعفة انصياعًا لأوامره، وأن كانوا في حاجة لمن يستطيع إقناع «طاهر» باحتياجه لهم، لذا وقع اختياره عليها «نشوى»، فقد كانت قوية، صاحبة قلب قاس لا يستطيع أحد الوصول إلى ما بداخله من أسرار، صاحبة فكر وأهداف، لذا ظلت «نشوى» تبحث بداخلها، عن تلك المرأة الضعيفة التي تستطيع أن تظهر وتكشف أنوثتها من خلف ذلك الحجاب الذي ترتديه، وسرعان ما وجدت القناع الذي سترتديه، لتبدأ «نشوى» بتغيير ملامحها وقد ظهرت عليها الطاعة والأنوثة، حتى إن «وحيد» قد تنبَّه إلى تغيرها لتظهر فجأة كملاك طاهر بُعث لتوه، مخبأة وجه «الجوكر» الذي هو حقيقتها.

***

من داخل غرفة مستأجرة على سطح إحدى بنايات وسط القاهرة والتي تتميز بمنظر خلاب على النيل، و(هو) يمسك بميداليته المفضلة المكونة من قطعتين متشابكتين، ليفصلهما عن بعض باحتراف ويسر قبل أن يعيد تشبيكهما مرة أخرى، كان (هو) ينتظر حضور الفتاتين وحده، ليظل (هو) على سطح البناية عاري الصدر في هذا الجو البارد، ينظر إلى النيل في غضب، حتى سمع طرقات كعوب أحذيتهن العالية، ليلتفت (هو) إليهما مبتسمًا ملقيًا بسيجارة كان يدخنها، ثم يدخل بهما إلى «جارسونيرة» مكونة من غرفة نوم منفتحة على فراغ للمعيشة بها مطبخ مفتوح أشبه بالبار وحمام بانورامي مجهز بجاكوزي منفتح على الغرفة.

-ماتخافوش وخدوا راحتكم.

-واضح إنك غني.

قالتها إحداهما وهي تقترب منه مغلقة الباب، وقد كانت خمرية البشرة، طويلة القامة -عكس صديقتها- التي تمتلك شعرًا ناعمًا قصيرًا صبغته باللون الأحمر، الذي تماشى مع لون تنورتها وطلاء أظافرها، وحمالات صدرها المقيدة لنهديها، لتستثيره حلماتها الهاربة منها، فبادر بلمسها مداعبًا إياها بأنامله، و(هو) يتابع بنظراته الفتاة الأخرى التي كانت ترتدي بنطالًا مجسمًا أردافها وحذاءً أسود جلديًا كاد يصل إلى ركبتيها، يتماشى مع لون شعرها

والقميص الذي ترتديه ليعكس بياض بشرتها، لتلتفت هي الأخرى إليه -في لوعة- بنظرات عينيها الخضراوين أثر العدسات اللاصقة التي ارتدتها، كما صبغت شعرها بلون أصفر فاتح كاد يوصف بالبياض، وبشفتيها اللتين لمعتا بأحمر الشفاه الأسود. قالت:

-انت لوحدك؟

ضحك (هو) قائلًا:

-صدقيني، أنا باتنين ويمكن بتلاته كمان.

-طيب ما تورينا.

قالتها في تغنج أوصله للغليان، وهي تقفز عليه ليحملها، مطوقة عنقه بذراعيها، محتضنة خصريه برجليها بإحكام مقيدة إياه، ملقية حذاءها الذهبي المكعَّب من خلفه، ليمسك (هو) بفخذيها المكسوين بهذين «الجوربين» الشبكيين أسودي اللون، ليدخل أصابعه بين فتحاتهما، ليبدأ بتمزيقهما بحدة قائلًا:

-تحبوا تجربوا مين فينا الأول، أنا ولّا (هو)؟

ضحكت الأخرى التي اقتربت وهي تقول:

-تقصد انت عايز تبدأ بمين؟

-لأ، أنا هابدأ معاكم إنتوا الاتنين.

قالها (هو) متابعًا خطواته لغرفة الجلوس حاملًا الفتاة الأولى، بينما أمسك الأخرى من شعرها، لتظهر عليها متعة ممزوجة بألم لم ترفضه، ليصل بهما إلى الأريكة البيضاء التي كانت تتوسط المكان، ليجلس (هو) والفتاة ذات الشعر الأحمر تعتليه وهي تنزع قميصها ويبدأ (هو) في لعق ثديها الممتلئ العاري، وزرتضاعه بنهم، بينما الأخرى تسكب الخمر على جسدها، ليتذوق (هو) طعم النبيذ الفاخر و(هو) ممسك بصدر الفتاة الأخرى التي صرخت ألمًا، لتثيره أكثر، ليكويها لهيب أنفاسه، و(هو) يضربها على ردفيها مزيدًا من صراخها قبل أن يضع أصابعه في فمها لتلعقها في طاعة أحبهما و(هو)

يوجهها لمصدر ذكورته، لكي يحسم المعركة التي خاضها معهما وحيدًا في مبارزة جسديهما عشقًا، ليروِّي نفسه وروحه من هذا المذاق الرائع الذي لا يضاهيه شيء في هذه الحياة، ليصل (هو) إلى نشوته، متابعًا ملامسته صدريهما مدلكا جسديهما، إلى أن أنهى تلك الرعشة، بلوغًا إلى زروتها ثم هبوطًا إلى عمق قعرها، حتى أطفأ لهيبها في نفس المكان الذي بعث منه داخل رحميهما.

***

استيقظ «خالد» من أحلامه غارقًا في مياة نشوته، ليشعر بحرج شديد وهو يتشبث بالغطاء، ساترًا عورته، ملتفتًا يمنة ويسرة، ليتأكد من أنه وحيد في غرفته، فلم يكن سكان المكان يمتلكون أي نوع من أنواع الخصوصية، فكانت الغرف دون أقفال داخلية، حماية للجميع من هوجات جنونهم، لحظات وتحولت نظرات «خالد» من الحرج إلى السعادة، فأغلق عينيه وأمسك بيده اليمنى كتفه الأيسر وكأنه يخبئ شيئًا ما عن الأنظار، شيئًا ما أسفل جلده، وإن لم يكن يستطيع إخفاءه عن العيان، بينما أمسك بزمام أموره بيده اليسرى، ليظل يتأمل النساء في خياله، باحثًا عن تلك النشوة التي حاول بلوغها دون فائدة بين ذكريات عقله، فلقد نسي أني من أمتلك خبايا هذا العقل المريض، ليترجاني كثيرًا وكنت أحب أن أجده راكعًا لي، ففتحت له هذا الصندوق الأسود الذي يحمل الكثير من متع الحياة، لتبتسم شفتاه، وعيناه لا تزالان مغلقتين، فلم يكن يحتاجهما ليرى ما أبث له من صور، فقد كنت أجري منه مجرى الدم ، كنت أسفل جلده، بل كنت داخل جسده، فلقد كان مني وكنت منه، وها قد ارتعش جسده الفاني وهو يتصبب عرقًا، فلقد جاءت النشوة.

***

«التاريخ في الوقت الحاضر ٩ أكتوبر الساعة ٨ مساءً»

(١٣)

كانت شقة «وحيد» التي استأجرها كئيبة للغاية، وصغيرة المساحة أيضًا، مكونة من مدخل صغير يؤدي إلى مطبخ وصالة صغيرة بها معيشة أساسية قديمة الطراز، ومنها لغرفتي نوم يتوسطهما حمام قديم. كانت الشقة متواضعةً، الأرضية من السيراميك الأبيض، والدهانات لبنية اللون، أما النوافذ فكانت خشبية لا تردع برودة الشتاء التي توغلت عظامه، المتجمدة من الماء المثلج الذي توضأ به «وحيد» للتو في هذا الحمام المتهالك، الذي لا يصله الماء إلا ساعات قليلة في اليوم، ما إن انتهى من وضوئه، حتى بدأ في ملء بانيو الاستحمام، ليجد الماء الذي يتوضأ منه فجرًا وقتٍ انقطع المياه كعادتها في هذه المنطقة الشعبية. خرج من الحمام منتعلًا نعلًا جلديًّا وبنطالًا قماشيًّا رفعه إلى ركبتيه، إذ كان يتوضأ. ليجلس في غرفة المعيشة مرتجفًا من البرد مرتديًا جوربيه الأسودين، ثم بسط سجادة صلاته، وظل يدعو ربه صادقًا أن يعطيه حسن الخاتمة، فلم يكن «وحيد» مثلي أبدًا. كان ضعيفًا، قليل الحيلة، لم يجد في هذه الدنيا مأوى، فلقد تربى في بيت خال من المودة، الأم قوية تسلطية، والأب ضعيف حُرم من الحب والأهتمام فما كان ليمنحهما إياة، ففاقد الشئ لا يعطيه، ليبدأ «وحيد» وحيدًا رحلة البحث عما لا يراه بعينه، عمن يشعر بقلبه، ليتبع قلبه إلى الخالق الذي وجد فيه ضالته، وجد من يستطيع الهروب إليه بعيدًا عن ظلم الدنيا، التي لم ينجح بها قط، إلى أن هجر «نشوى» حبه الوحيد، والتي لم يستطع العودة إليها دون تحقيق أي نجاح يذكر، ليهرب ويهرب حتى ضل طريقه، وإن ظل طريق ربه هو نجاته، حتى استغل الجميع ضعفه فصنعوا منه ما هو عليه، رجلا محطمًا بلا طموح، يتقبل التذكرة التي قُطعت له لمغادرة هذا العالم الذي ظلمه، ليجد ما هو أفضل خلف جدار الموت، متبعًا حسه وإيمانه، كالمهاجر المخاطر بكل ما يملك بحثًا عن فرصة أفضل، خاصة أنه قد غدا لا يملك ما يخشى على تركه، وقد كان بالفعل كالمهاجر، الذي أعدَّ متاعه للرحيل، مؤمنًا أن ما ينتظره أفضل، وسوف يكون أهون عليه من الانتظار.

أنهى «وحيد» الدعاء وبدأ في الصلاة، لأرمقه أنا من بعيد وهو يستعيذ بربه مني وإن كنت أقرب إليه مما يتصور، يبكي خشوعًا في صلاته، صلاة المودع، غير المتبقي له إلا صلوات معدودة، دقائق من الخشوع والاستغفار منعتني من الاقتراب، حتى فرغ القديس من صلاته، ليتجه إلى المطبخ، ويأتي بأسطوانة الغاز، فيضعها خلف باب الشقة، ثم بسط عدَّة ألحفة على أرض المطبخ، ثم جلب سلاحًا آليًّا وعمَّره لينام أرضًا بجانب أسطوانة الغاز، فيتعجب كل من يراقبه في الشقة العلوية من ضباط وفنيين، يفوق عددهم الثمانية، على رأسهم المقدم «سيف» الذي أجابهم:

-ده عشان لو حد دخل عليه يلحق يفجر نفسه قبل ما يتمسك.

-وهو مش خايف على نفسه؟!

علق فني الكاميرات ليجيبه المقدم «سيف»:

-اللي زي ده مايخافش من الموت، يخاف يتقبض عليه، عشان كده الناس دي تعتبر قنابل موقوته، والأكتر منهم اللي بيقدر يقنعهم برخص حياتهم للدرجه دي.

قالها المقدم «سيف» وتذكر «دياب»، قبل أن يترك مكانه ويتصل برئيسه الذي أجابه من غرفة الاجتماعات وسط ضباطه كالعادة:

-تمام يا «سيف» الله ينور، بس خلي بالك، المراقبه تكون من الشقه بس، واد زي ده أكيد متدرب.

تابع اللواء «فاروق» تدخين سيجارته ثم سأله:

-محتاج أي حاجه عندك؟

تعجب اللواء «فاروق» الذي جهل فقر المنطقة التي تفتقر إلى أساسيات الحياة وكرر ما قاله المقدم «سيف» للتو.

-مايه؟!!

***

ظلت «ملك» تتراقص مع الأم التي سرقت معها بعض الدقائق مستغلة الظلمة التي سادت ليل الحديقة، خاصة تلك البقعة الخلفية البعيدة عن الأنظار فاستغلتها الأم وابنتها، قبل أن يقطع خلوتهما الأختان اللتان تمسكان بذلك المكان البعيد عن الأنظار، فوقعت عين «مارينا» على الأم، لتتسمر في مكانها ومن بعدها «فبرونيا» الواقفة منبهرةً، قبل أن تبادر الأم بالفرار حافية القدمين، المجروحتين أثر الشوك، لتختفي بين سور الزهور، فاقتربت «فبرونيا» من «ملك» قائلة:

-دي مامتك يا «ملك» صح؟

لم تجب «ملك» الحزينة، وإن أسعدها، تصديقهما للحقيقة بعدما كانتا رافضتين لادعاءات «ملك»، ليشعرا بضآلتهما أمامها، فجأة انطلق صوت الإنذار بالمصحة معلنًا عن حالة مرور عبر السور. يظهر الارتباك على جميع المرضى والممرضين في الحديقة الأمامية، ومن بينهم «نبيل» الذي كان يبحث عن «ملك» التي ظهرت أخيرًا من الخلف ليجدها «نبيل» أخيرًا معاتبًا:

-إخص عليكي يا «ملك» انتي كنتي فين؟

يقولها «نبيل» مستاءً.

-أنا صحتي ما تستحملش كده.

-معلش يا أنكل «نبيل»، كنت....... كنت بلعب.

-طيب يالا نطلع فوق بسرعه.

-هو في إيه؟

-كان في حد بيحاول يطلع أو يخش من غير إذن، مش مهم، يالا لاحسن الدكتور «فهد» عايزنا ضروري.

-حاضر.

قالتها متبعة «نبيل»، بينما ظلت الأختان ترمقانها في صمت، فأشارت إليهما «ملك» ليحفظا السر، هذا بينما كان الرائد «عادل» والقس «يوحنا» قد وصلا

بالفعل، وجلسا مع الدكتور «فهد» في غرفة «نور» يتجاذبان أطراف الحديث.

-يعني حضرتك شايف إمتى ممكن تكون طبيعيه؟

قالها الرائد «عادل» للدكتور «فهد» فأجاب بهدوء:

-والله الحاله دي ممكن تلازمها من تلات لست شهور أقصى حاجه عشان سنها.

-حالة إيه يا دكتور معلش؟

تساءل القس «يوحنا».

-والله يا أبونا أنا كنت شرحت للرائد «عادل» إن «ملك» عندها حالة صدمه بتيجي دايمًا بعد الحوادث، وحضرتك أكيد مقدر الحادثه دي ممكن تعمل إيه في أي حد ناضج، فتخيل طفله بريئه زي دي.

-عارف يابني.

-طيب حضرتك شايف إنها ممكن تطلع من المصحه أمتى؟

أصر الرائد «عادل» في الحصول على إجابات.

-والله هو وجودها كتير ممكن يضر مايفدش، لأن هي معندهاش حاجه مزمنه، وحضرتك عارف كمان أنا معنديش أطفال كتير في المصحه ودي حاجه ممكن تتعبها.

-يعني تنصحنا بإيه؟

-والله أنا شايف تفضل معانا أسبوع أو اتنين بالكتير وبعدين يُفضل تبقى مع حد من قرايبها.

-قرايب إيه يا دكتور؟ «ملك» مكنش ليها غير غير أمها.

قالها القس «يوحنا» مهمومًا.

-بمناسبة أمها برضه، اللي مخلي «ملك» متماسكه إنها مقتنعه إن مامتها عايشه، وإنها بتاخد بالها منها، حتى إحنا لقيناها معاها دبدوب جديد

معرفش دخلها إزاي.

قالها الدكتور «فهد» فاستغل الرائد «عادل» الموقف ـ مُضيفًا ـ:

-بمناسبة دخل ازاي، إحنا مضطرين نزود الحراسه عندكم، إحنا سمعنا النهارده صوت إنذار.

أحرج الدكتور «فهد» قبل أن يسمع طرق «نبيل» للباب، فَسمح له بالدخول معاتبًا إياه بنظرة شرسة، فقد أحْفَظهُ إطلاق صافرة الإنذار التي تعني بالفعل أن هناك تسيبًا ما.

-أبوناااااا.

قالتها «ملك» في سعادة متجهة إلى حضن القس «يوحنا».

-حبيبتي وحشتينيي خالص.

-وانت أكتر، بس أنا زعلانه.

-في حد برضه يزعل من أبونا؟

-آه «ملك» زعلت عشان مجيتش الرحله معانا ومركبتش معانا الأتوبيس.

يتوتر القس «يوحنا» من الحديث، خاصة مع نظرات شك الرائد «عادل».

-معلش يا حبيبتي، المهم إني شفتك خلاص.

يتنبَّه القس «يوحنا» إلى الدمية التي تمسك بها «ملك»، ليتذكر يوم الحادث الذي ابتاعت فيه الأم فعلًا هذه العروس، وأعطتها إياها عند وصولهما، دمعت عين القس «يوحنا» دون أن يشعر جاهلًا ما يحدث فعلًا.

-سرحان في إيه يا «أبونا»؟

علق الرائد «عادل»في شك وريبة.

-ولا حاجه، معلش، ممكن بقى تسيبوني مع بنتي شويه؟

-أكيد طبعًا، بعد إذنك يا «نبيل» وصِّل أبونا و«ملك» لأوضتها.

قالها «فهد» لـ«نبيل» الذي أطاع مديره دون طيب خاطر.

-حاضر يا فندم، بس أنا كنت حابب أوضح بس للرائد «عادل» إن الإنذار كان كاذب وأنا اتأكدت بنفسي، وده كان إجراء وقائي مش أكتر.

وضح «نبيل» الموقف دفاعًا عن صلاحياته، فأحرجه «فهد» قائلًا:

-مش مهم دلوقتي يا «نبيل»، وصل بس أبونا.

-حاضر يا فندم، أنا حبيت أوضح بس مش أكتر، عن إذنكم، يالا يا ملوكه، إتفضل يا أبونا.

خرج الجميع عدا «فهد» والرائد «عادل» الذي قال:

-إحنا مش بنقلل من إمكانيات المصحه، بس القضيه قضيه رأي عام، ومش محلي بس، لأ دولي كمان، «ملك» في خلال ساعات هاتبقى رمز وطني، ومش عارف ده هاينعكس عليكوا ازاي.

-اللي تشوفه يا فندم.

في استسلام وافق «فهد» ثم شرد في حالة «ملك».

-سرحت في إيه يا دكتور؟

-سرحت في «ملك»، لو انت خايف على المصحه، أنا خايف على «ملك» خايف إن البنت دي عمرها يتسرق.

-ماتخافش عليها.

قالها الرائد «عادل» مطمئنًا الدكتور «فهد» الذي أضاف:

-مش ده قصدي يا سيادة الرائد، أنا قصدي تتسرق منها طفولتها.

***

-يعني صدقتني يا أبونا؟

قالتها «ملك» لـ«يوحنا» الممسك برأسه في عدم استيعاب، ليجيب ابنته:

-ها، طبعًا مصدقك، بس قوليلي مين تاني غيرك شاف ماما؟

-هما الأختين بس يا أبونا.

-همم، طيب خلاص، مش عايزك تتكلمي مع حد تاني وأنا هاعرف شغلي مع البنتين دول.

بنظرة توعد قالت «ملك» في حزم:

-إوعى تزعلهم يا أبونا.

ابتسم «يوحنا» قائلًا:

-صدقيني محدش يقدر، اتفقنا؟

سكتت «ملك» لحظة قبل أن تصطدم القس «يوحنا»:

-أبونا.

-إيه يا بنتي؟

-في حاجه كمان.

اقترب القس «يوحنا» من «ملك» في فضول:

-ها، قوليلي.

-في حاجه شفتها هنا شكلها غريب أوى.

-غريب ازاى يا «ملك»؟

-حيوان بيخوف أوي يا أبونا.

-حيوان شكله إيه يا «ملك»؟

كيف توقع هذا القس أن تستطيع هذه الطفلة الصغيرة وصفي؟! فأنا «الكمير»، أنا إله لا أرى، فقط يؤمن بي أتباعي وعبيدي، مؤمنين بالخوارق التي أتحكم بهم من خلالها. لحظات ظلت «ملك» تحاول فيها، إلى أن وصل الرائد «عادل» مع الدكتور «فهد» لِيجدا القس «يوحنا» مُسمَّرًا كالممسوس،

بعدما أدرك «سر الثالوث الأوحد».

-في حاجه يا أبونا؟

قالها الرائد «عادل» للقس «يوحنا» الشارد فَيتنبَّه أخيرًا ويقول:

-ها، لا لا، أبدًا، أنا جاهز يا سيادة الرائد عشان ما نتأخرش.

كاد القس «يوحنا» يترك الغرفة، دون أن يحيي «ملك»، ليندهش الرائد «عادل» معلقًا:

-طيب مش هاتسلم على «ملك»؟

-آه طبعًا، خلي بالك من نفسك يا بنتي.

-باي باي يا أبونا.

خرج القس «يوحنا» قبل أن يلتفت إلى «ملك» ليضيف:

-«ملك» زي ما اتفقنا ها.

قالها لينبهها إلى مَا أفضت «ملك» به ببراءة.

-صح، مش هاقول لحد حاجه ماتخافش.

يندهش الدكتور «فهد» والرائد «عادل»، ليقاطعها «يوحنا» مشتتًا، فَيخرج الجميع -عدا «ملك»ـ في ريبة.

-ههه، يالا عشان هانتأخر.

يخرج الثلاثة ويترجلون الطرقة، يتقدمهم الدكتور «فهد» والرائد «عادل» ومن بعدهم يتخلف القس «يوحنا»، حتى اقتربوا من غرفة «خالد»، الذي ناداهم صمتًا من الداخل وهو نائم محركا رأسه في توتر وكأنه يحارب شيئًا ما في منامه، ليتوقف القس «يوحنا» أمام الغرفة ملبيًا النداء، مذعورًا مما شعر به متمتمًا بتراتيل غير مفهومة، وكأنه يستعيذ بربه مني، ليتنبَّه الرائد «عادل» هو الآخر، فَيتوقف ويقترب من غرفتي، ليمنعهما الدكتور»فهد» بأدب متوترًا:

-معلش يا جماعه دي حاله حرجه، يا ريت نتحرك.

-حالة مين يعني؟

تساءل الرائد «عادل» في فضول وسوست به إليه، فهو يشبه أخاه «فادي» الذي قتله (هو) قبل شهور قليلة متبعًا أوامري ودستوري.

-حاله خاصه، يالا يا أبونا.....أبوناا!.

ظل «يوحنا» مُتَسمرًا، بينما ظل «خالد» يتصبب عرقًا من الداخل خلف الباب وهو يرى ما يجهله الجميع، ليستيقظ «خالد» فجأة مفزوعًا فلشعر به القس «يوحنا» من الخارج، ليذعر ويهرع خارجًا وسط اندهاش الدكتور «فهد» والرائد «عادل» الذي ظل يرمق غرفة «خالد» في فضول قبل أن يذهب الجميع.

***

«التاريخ في الوقت الحاضر ١٠ أكتوبر الساعة ٨ صباحًا»

(١٤)

استيقظ (هو) متوسطًا الومستين العاريتين على السرير، ليقف (هو) ويرتدي قميصه الأبيض والجينز الأزرق، غير مكترث بهما، ثم تفقد محفظته ورمى عليهما بضع مئات من الجنيهات، ثم فتح بابَ الغرفة وخرج ليذهب (هو) إلى «شبرا» مخترقًا شوارعها بحثًا عن مكان ما. لم تمنعه أشعة الشمس، بل زادت من إرادته، فاتجه إلى إحدى الحواري الضيقة، الممتلئة بالعقارات المطوبة بالطوب الأحمر العارية من أي أضافات، لم يكن يتخيل ما سوف يقابله بعد عدة أمتار! فلقد وجد «خالد» هذه الواجهة من الأربعة أحرف لاسم صاحب ذلك المحل التجاري الغامض الذي لم يمتلك أي «فاترينه».

دخل (هو) في ثقة إلى المكان الذي لم يحتوِ على الكثير من المفروشات، ليستقبله صاحب المحل والمسؤول عنه.

-مساء الخير.

-أهلًا مساء الفل.

قالها ذاك الشاب الأربعيني الأسمر البدين، قصير الشعر، والذي تملأ يديه الكثير من الوشوم التي يتفاخر بها.

-كنت عايز أعمل وشم.

قالها (هو)، ليبتسم الرجل قائلًا:

-تاتو يعني.

انزعج (هو) وعلق:

-وإيه الفرق؟

-لا إطلاقًا، بس وشم دي بطلت شويه.

ظهر الاستياء عليه، فعقَّبَ الرجل ـ موضحًا ـ:

-قصدي إسمها الشائع بقى «تاتو» عشان الحبر بيستقر في طبقة التيت في الجلد.

رسم (هو) علامات الانتباه، فأكمل الرجل.

-عارف حضرتك، لغاية دلوقتي الدكاتره مش فاهمين ليه الحبر بيستقر في الطبقه دي بالذات.

-طيب وهو التاتو ده بيطلع تاني؟

اقترب الرجل ناصحًا:

-بص حضرتك، في ناس بتقول إنهم بيعملوا تاتو مؤقت، بيقعد من ست شهور لغاية تلات سنين، طبعًا ده كلام فارغ.

-يعني إيه؟

-التاتو مش بيطلع غير بالليزر، وأنا أنصحك لو مش جاهز بلاش، ممكن تعمل حنه أو تجيب إستكر.

استفزَّه الرجل ليقول (هو) في تحدٍّ:

-بس أنا جاهز، وعايز أعمله دلوقتي.

قالها بصوت مرتفع، ليهدئ الرجل من روعه ـ قائلًا ـ:

-مفيش مشكله، نعمله دلوقتي، بس وطي حسك.

أشار إليه بالجلوس، بينما ظل (هو) يتأمل المكان الصغير الذي جعله الرجل استوديو لأعماله. كان يحتوي على «شازلونج» يمدد عليه ضحيته، بجوار حائط من السيراميك المستورد الذي يشبه القماش، اختاره لسهولة تعقيمه؛ حيث إنَّ أجهزة الوشم، تتداخل مع طبقات الجلد السفلية فَتضخ حبرها، مُخالطة الدماء، لذا وجب تعقيم تلك الأجهزة جيدًا.

-طيب هي بتوجع؟

-لأ مفيش ألم خالص، في مصر، بنحطلك بنج موضعي.

-طيب برا «مصر»؟

حاول الرجل فك طلاسم هوية القادم ثم قال:

-إسم حضرتك إيه؟

-إشمعنى؟

-لا أبدًا بتعرف، مش لازم أتعرف على حضرتك؟ أنا «أوس أوس».

-أهلًا، ها برا بيعملوا إيه؟

سكت الرجل بُرهةً، ثم أخرج «الكتالوج»ـ قائلًا:

-برا بيشربوا كحول، بس إحنا هنا في مصر مش متعودين على شرب الكحول.

-بس أنا مابحبش الحقن، ممكن أشرب كحول عادي.

اندهش الرجل الذي تابع:

-طيب ممكن تقولي عايز حجم إيه ورسمة إيه؟

-عايز أرسم على كتفي الشمال.

ابتسم (هو) وتابع:

-عايز أرسم شيطان.

ترك الرجل الكتالوج وتوقف ليستغفر ربه ثم قال:

-يا فندم التاتو ده دايم مابيطلعش، يعني لو اترسم مش هايتشال.

-ومين قالك إني عايز أشيله؟

تنهد الرجل ثم قال وهو يغلق الكتالوج:

-بس أنا معنديش رسمه كده.

-هاوصفهالك وانت ارسمها.

تابع الرجل في استياء:

-بس الرسمه دي بتكون على الكمبيوتر مش برسمها بإيديا، دي مش لوحه ممكن أغلط فيها.

ابتسم (هو) قائلًا:

-ماتخافش أنا جايبها معايا.

قالها و(هو) يخرج من جيبه رسمة لكائن ذي ثلاثة رؤوس في جسد ماعز بوجه أسد يجر ذيلا لثعبان بغيض.

-بس ده مش شيطان.

علق الرجل ملتقطا الصورة متقبلًا العمل، ليبتسم (هو) قائلًا:

-بيتهيألك.

قالها (هو) بابتسامة خبيثة رسمها على شفتيه.....هذا قبل أن يستيقظ «خالد» من أحلامه منزعجًا كالعادة ليَقف متألمًا باحثًا عن ذاته في تلك الغرفة الصغيرة، إلى أن واجه نفسه داخل تلك المرآة التي وقف فيها متحديًا، مُمسكًا بكتفه اليسرى، محاولًا الكشف عنها، للبحث عن الحقيقة التي يهابها، فأمسك بالقميص ليمزقه، قبل أن أمتلك عقله بفكرة أخرى، فكرة ظللت ألح عليها، ليترك «خالد» موقعه، ويذهب بحثًا عن تلك الفتاة الصغيرة التي تعلم عنه الكثير.

خرج من غرفته حافي القدمين وتحرك ناحية الممر الضيق الذي يفصله عن الحياة، حتى سمع صوت الطفلة الصغيرة «ملك» من غرفة مجاورة، فسحبته قدماه بفضول. كانت تلك الغرفة للأختين «مارينا» و«فبرونيا»، لم يكن «خالد» يعلم بوجودهما حتى تلك اللحظة. دخل وكانت الأختان جالستين، كل منهما على سرير، بينما «ملك» تجلس بجوار الأخت الكبرى التي كانت جلست بشكل متقوقع كالطفل في رحم أمه. لم تلاحظ الأختان وجود «خالد» في البداية، فقد دخل متسللا بهدوء بينما لاحظته «ملك» التي ابتسمت له ـ قائلة ـ:

-معلش أصلها كانت عند الدكتور.

قالتها ثم ابتسمت ـ متابعةً ـ:

-انت كمان عندك جلسه مع الدكتور، جاهز؟

-لأ.

قالها «خالد» مرتعشًا والخوف يقتله، حينئذٍ لاحظت الصغرى «فبرونيا» وجوده، لترتعش هي الأخرى، وتنفعل قائلة:

-(هو)....(هو)!!!!

قفزت «ملك» من فوق كرسيها واقتربت من «فبرونيا» وهمست في أذنها، لتهدأ وهي مندهشة، حال أختها «مارينا» الحالمة في ثبات غريب، وكأنها في دنيا غير الدنيا، ليتعجب «خالد» وهو ما يزال مرتعشًا من لقاء الطبيب الذي كان يخاف مواجهته، لاحظت «ملك» توتره فقالت ـ مهدئة ـ:

-ماتخافش من الدكتور، ده «رحيم» جدًا.

كنت أعلم أنا ماذا تقصد هب بالدكتور، عكس «خالد» الذي شرد سائلًا:

-هو الدكتور بتاعي هو الدكتور بتاعك؟

بتأكيد جاوبت «ملك» بإيمان.

-طبعًا، الدكتور بتاعك هو الدكتور بتاعي، وهو نفس الدكتور بتاعهم....

سكتت لحظة وتابعت بوضوح:

-هو دكتور واحد بس.

كنت أعرف ما ترمي إليه، ليهدأ «خالد» قليلًا، فلقد كان يثق بـ«ملك» ثقة يجهل سببها! حتى سمع نباحًا غريبًا، ظنه لكلاب من خارج الغرفة، فخاف وخرج يبحث عن المصدر برهبة شديدة.

خرج ليجد هذين الكائنين المتوحشين، في آخر الممر وهما يتقدمان يحفران أرض الممر بمخالبهما، ليركع «خالد» أرضًا من هول ما رأى، ملجم اللسان، عاجزًا عن الكلام، فتلاحظ «ملك» ألمه وتخرج من الغرفة في شجاعة وثقة،

واقفةً أمامه بثبات قبل أن تلتفت إلى هذين الكائنين البشعين فأعينهما كالبرق الخاطف، وأنيابهما كالصياصي، لهب النار في أفواههما، ومناخرهما ومسامعهما، يمسحان الأرض بشعورهما، بدأ يخرج من فم «خالد» زبد أبيض لا ينفع بعده توبة. ومع ثبات «ملك»، توقف الكائنان في حيرة من أمرهما، لتقترب منهما في هدوء وثقة غريبة، ليبدآ هما في التراجع شيئًا فشيئًا، حتى كادا يهربان منها مهرولين لا يعرفان ما أتى بها في تلك الساعة!! فلم يجئ وقت الحساب بعد.

***

استيقظ «خالد» من كوابيسه والعرق يملأ جبينه كالعادة، فأمسك بفمه وتفقد جسده متمتمًا بما أكره:

-أستغفر الله العظيم، أستغفر الله العظيم.

كررها بصوت عالٍ أزعجني، ليجد «نور» بجواره في شيء من الهدوء وهي تنظم الفطور.

-حلم تاني ولا إيه؟

تساءلت «نور» ببرود.

-مش قادر مش قادر.

-ما هو انت اللي تاعب نفسك.

قالتها بهدوء مستفز وهي تتابع تنظيم الفطور.

-انت بتعملي إيه؟ وإيه اللي جابك هنا؟

-الفطار.

-إيه الهدوء المستفز اللي انتي فيه ده؟

-وهو أنا إيه اللي هايوترني؟ هي الكوابيس بتجيلك ولا بتجيلي أنا؟!

-أنا تعبت تعبت.

-تقدر تريح نفسك.

-إزاي بس؟

-قوم اغسل وشك وافطر واحكيلي.

قالتها وقد كان ما أرادت، ليتابع هو كشف «سر الثالوث الأوحد».

***

من شارع متفرع لشارع الجدة يتحرك «خالد» مرتديًا قميصًا أبيض وجينز أزرق ممسكًا برسمة صغيرة قد رسمها مسبقًا لـ«فريدة»، حتى وصل لناصية شارع الجدة، فاستوقفته «فريدة» العائدة من الشارع الرئيسي المقابل له من بعيد متجهة إلى العقار، يتوتر «خالد» ويقف ملاحظًا مجموعة من الصبية لا تتعدى أعمارهم الثماني عشرة سنة، ويبدأ كبيرهم في مغازلتها.

-ماشا الله الرحمن عليكي.

لم ترد «فريدة» ولم يتحرك «خالد» وظلّ ناظرًا لهذا السكين الذي بيد أحد الفتية، شاعرًا بعجزه، في حين كرّر الفتى مضايقاته.

-معايا توك توك بدل ما رجليكي تتعب.

لقطات لأصحاب المحلات من أشباه الرجال فاقدي النخوة الذين لم يظهروا أي تعاطف، حتى أخرجت «فريدة» فجأة من حقيبتها بخّاخًا ظنوه للدفاع عن النفس، وهي تشير به للفتى في جرأة أدهشت الجميع.

-عايز إيه يا حيلتها؟

تراجع الفتى لحظة ثم ابتسم ليحاول الاقتراب مرة أخرى، هنا ظهر «طاهر» من العدم، مرتديًا نفس ملابس «خالد» التقليدية من قميص أبيض وجينز أزرق، ليواجه الفتى في حدة، فيقترب بعض أصحاب المحلات، لينسحب الفتية أخيرًا، ابتسمت «فريدة» لـ«طاهر» شاكرة.

-متشكرة جدًا، تعبتك.

-أبدًا يا فندم الجيران لبعضيهم وبعدين انتي اللي ما شاء الله عليكي عرفتي

توقفيهم عند حدهم.

قالها «طاهر» مشيرًا إلى البخاخ الذي كان بحوزتها، لترش منه رذاذًا على ملابسها ضاحكة.

-أبدًا ده إسبراي عادي.

-هه، طيب تسمحيلي أوصل حضرتك لفوق؟

-مش عايزه أتعبك، شكلك كنت خارج.

-لا، أبدًا أنا كنت بطمن على العربيه عشان كنت راكنها بعيد، انتي شايفه الزحمة.

أخذا يمشيان سويًا ناحية العقار، حتى دخلاه، في حين ظل «خالد» يراقبهما عن بعد في استياء، قبل أن ينصرف غاضبًا متحسرًا، هذا وقد كانت «نشوى» هي الأخرى ترصدهما من خلال نافذة شقة الحملة التي طلبت المكوث فيها بضعة أيام أخرى لتنفذ خطتها.

أصبحت «نشوى» مطيعة، وإن كانت تجهل من تطيع! فلقد كنت أصدرت أنا أوامري للتو، لتتبعني هي من حينها، منذ أن ارتدت هذا القناع، حيث استطعت إقناعها بطريقتي السحرية، وكنت أعلم كم يثيرها (هو) على كل حال! فهو شاب قوي وثري، وصاحب نظرة متواضعة، كما أني أكدت لها أنَّ الصيد سهل وسوف يُتوِّجها (هو) ملكة على قلبه، فتعيش هي كالأميرات كما تستحق! فمن قال إنه من الصعب خلق الجنة على الأرض؟! ظللت أهمس لها، حتى بدأت هي تتبعني، تتبع اليقين، اليقين الذي من السهل رسمه في الخيال، المال والجاه والزوج القوي، أغمضت عينيها لتستمتع بهمسي - سعيدةً - ويبدأ العبث على الفور.

***

كان «وحيد» يخرج في الصباح فقط لجلب الطعام الذي يكفيه طوال اليوم ثم يعود ليستقر إلى المساء فيذهب إلى مقهى التكعيبة كما أمره سيده، دون أن يقوم بأيِّ اتصالات تذكر، بينما كان المقدم «سيف» في المساء

يذهب - دون أن يتبعه - إلى ذلك المقهى الذي كان في طابق منخفض عن الشارع في أحد عقارات «السلام» فَينزل بضعة سلالم، ثم يستقر فيه بحثًا عمن يعرفه، بينما يصل المقدم «سيف» إلى المكان وَيظل يدخن «الشيشة» التي يجلبها له عامل المقهى فور وصوله وكأنه من مرتادي المكان القدامى. كان يجلس في المكان ليراقب «وحيد» الجالس في الشارع، يحتسي مشروبًا دافئًا، إلى أن يُرفع أذان العشاء، فَيتحرك، وَقد أهمل صلاة المساجد كما أمره «دياب» تمويهًا، ليعاود إلى شقته مخرجًا سلاحه مرة أخرى ويحشوه، ثم ينام بجواره حتى الصباح، وَيظل المقدم «سيف» يراقب العيون لساعة أخرى، ثم يعود إلى شقة الطابق الثامن.

***

«التاريخ في الوقت الحاضر ١١ أكتوبر الساعة ٨ صباحًا»
(١٥)

فتحت «فريدة» الباب باحثة عن والدها الذي كان جالسًا بالصالون مرتديًا جلبابه يقرأ الجريدة، لتشير ـ مسرعةً ـ إلى الزائر القادم، فتلتفت وتُحدِّثه ـ وهو بِالخارج ـ ليغضب الأب، قبل أن يسمع اسم القادم.

-إتفضل يا «طاهر»، بابا هنا.

دخل في حياء لتتابع حديثها إلى والدها:

-بابا.. «طاهر» جارنا وصلني عشان كنت بتعاكس تحت، عن إذنكم بقى أنا، إتفضل يا «طاهر» واقف ليه؟

قالتها وانسحبت إلى غرفتها التي تعتلي غرفة «خالد»، ليكمل الأب في حفاوة:

-تعالى يا «طاهر» يا بني أهلًا أهلًا.

-أهلًا يا أنكل «صالح» سلامو عليكوا.

قالها وظل ينظر إلى صالة الشقة الشبيهة بصالة شقة جدته، وإن كانت أكثر حداثة، ولكنَّ الشقتين تلتقيان في الذوق الَكلاسيكي المتدني، مع الكثير من المفروشات الذهبية القديمة، و«البياضات» الموضوعة عليها، لتحرم ساكنيها من الاستمتاع بمفروشاتهم.

-وعليكم السلام يا بني، إتفضل هنا جنبي، والله وكبرت وبقيت راجل وشهم وعندك نخوه، انت عارف، أنا آخر مره شوفتك كنت أد البليه، أيام أبوك.

-الله يرحمه.

-آسف يابني تعيش وتفتكر، أبوك ده كان راجل صاحب واجب، هو بس كان عيبه الشرب.

قالها «صالح» بغباء أعجبني.

-ربنا يغفرله ويرحمه ويهدي الجميع إن شاء الله.

-بسم الله ما شاء الله عليك! انت حاجه تانيه خالص، الناس كلها كانت فاكراك هاتنحرف لما تورث كل فلوس أبوك وأمك من غير رقيب.

-الرقيب ربنا يا عمي.

-ونعم بالله يابني، والله أي حد غيرك كان زمانه خمورجي ولّا مدمن ولّا مضيع فلوسه في أي تفاهة.

قطع حديثهما فتح باب الشقة، لتظهر ابنة «صالح» الكبرى «أشجان» وهي شابة في بداية الثلاثينيات، سمراء، جميلة وهادئة الملامح، ليست محجبة كباقي العائلة وإن كانت متحفظة في ملابسها. كانت «أشجان» أكثر جرأة واستقلالًا؛ حيث رفضت الانصياع لأوامر أبيها ولم تستقر معهم في الخليج، بل فضّلت المكوث مع خالتها والالتحاق بالجامعة المصرية، لتتزوج من «راغب» حب حياتها، الذي عكس لها الرومانسية كما يجب أن تكون؛ إذ إنَّه موسيقي وفنان، شاب في أواخر الثلاثينيات، طويل القامة والشعر واللحية، يرتدي ملابس صبيانية والكثير من حظاظات اليد والسلاسل، ليندهش «طاهر» ويحرج «صالح» الذي قال:

-جم على سيرة التفاهه أهو.

-بابا.. واحشني جدًّا.

تمد «أشجان» يدها إلى «طاهر» الذي أحرجها، ليعلق «صالح» ماسكًا بيد ابنته:

-أهلًا يا «أشجان»، معلش أصل «طاهر» متدين شويتين زيي كده، عقبالكم، ربنا يهدي الجميع.

-معلش آسفه، فين «فريدة»؟

-إزيك يا عمي؟

-أهلًا، جوا يا «أشجان» خشيلها.

تدخل «أشجان» ومن خلفها «راغب»، ليعلق «صالح»:

-اقعد يا «طاهر» يابني واقف ليه؟ رايح فين يا «راغب»؟

-أسلم على طنط.

جلس «صالح» وقال ساخرًا:

-معلش يابني، أصل «راغب» محافظ زيك كده مابيحبش يسلم على رجاله.

ضحكا سويًا، بينما دخلت «أشجان» و«راغب» ليحتفيا بـ«فريدة» التي كانت في غرفتها قد خلعت طرحتها، لتستمع إلى طرق الباب.

-مين؟

-إفتحي يا هبله أنا أختك.

قامت «فريدة» في الحال وفتحت الباب قائلة:

-وحشتيني يا بنت الإيه. «راغب» إزيك؟ إيه اللي جابك مش عندك حفله النهارده؟

-أيوه يا قمر بس لسه بدري.

-طيب خلي بالك جايالك معجبه من طرفي النهارده.

-حلوه؟

يقولها «راغب» بجدية ظنوها سخرية.

-إخرس يا «راغب» لم نفسك.

-بصرف النظر عن المشاكل العائلية دي البنت زي القمر وبتحب فرقتكم أوي.

قالتها «فريدة» معاكسة أختها التي علقت:

-إتلمي يا بت وسيبي الواد.

-ملكيش دعوه بأختك يا «فريدة» إسمها إيه صاحبتك؟

سألها «راغب» لتجيب «فريدة» بطيب خاطر:

-ههه.. إسمها «عشق».

-طيب والله لا أنا قايله لأمك.

قالتها «أشجان» ساخرة ليضحك الجميع، بينما كان الأب يودِّع «طاهر» الذي خرج لتوه من شقتهم متجهًا إلى شقة جدته بالطابق السفلي، يفتح الباب بخفة لتستوقفه الجدة قائلة:

-كنت فين يا «طاهر» من إمبارح؟ إزاي تبات برا البيت من غير ما تقولي، هي وكاله من غير بواب؟

تنبَّه لحديث جدته ليتذكر أين كان بالأمس، قبل أن يبتسم (هو) ضاحكًا مع رعشة عينه اليمنى.

***

عاد «خالد» حاملًا رسمة «فريدة» إلى منزل «حبيب» في شبرا، حزينًا لما رآه، ليظل يقرع الباب بقوة، فظهر صديقه من الداخل مرتديًا بنطال بيجامة زرقاء، عاري الصدر وقد توسطه سلسلة غليظة اتسخت كحال جسمه بالألوان الزيتية.

-«خلّود»، انت فين يا واطي؟ مش كنت المفروض تيجي تبات معايا؟ رحت فين وبيت فين؟

ضحك (هو) مع رعشة عينه اليمنى، ليضيف «حبيب»:

-مالك متسمر ليه كده؟ خش يا بني.

دخل «خالد» الصالة منبهرًا بارتفاع السقف وديكورات «حبيب» التي عدلها بخامات بسيطة وإن كانت مثمرة. أغلق الباب ليظلا سويًا في صالة المدخل وَيجلس كل منهما وسط اللوحات التي ملأت الصالة.

-مالك عامل زي اللي بيجيلي لأول مره؟

-الصراحه كل ما بخش بيتك باستخسره فيك.

-الملافظ سعد يا عبعال.

-لا والله، الصراحه انت عملت من الفسيخ شربات.

-لا أبدًا يا صاحبي، كل حاجه في بلدنا حلوه مش فسيخ، انت عارف إن الشقه دي أبويا لما ادهالي مكنش عارف عنوانها فين أصلًا! حسسني إني مجنون وأنا نازل «مصر»، وكأني بقوله إبنك هايضرب مخدرات.

-والله يا صاحبي كل الجيل بتاعنا بيسافر برا وانت الفقري الوحيد اللي سيبت أهلك ورجعت جوا تاني.

-هههه.. فقري زيك، تعالى بقى أوريك هتنام فين.

-أي حته بس مش جنبك.

-انت تطول أصلًا؟ بس ماتخافش البيت ده بتاع ٣٠٠ متر، عامله مرسم ومكتب وبيت دعاره، كل اللي نفسك فيه تعالى.

قالها ساخرًا ليشير «خالد» قائلًا:

-على بيت الدعاره؟

-على بيت الدعاره.

-واضح إني اخترت صح.

ضحكا سويًا قبل أن يدخلا الغرفة التي سيسكنها «خالد» فترة، نظر إلى مروحةِ السقف وإلى المرآة المعلقة على يسار الباب والتي تعكس خِزَانَة مكتظةً بالملابس، بجوار كرسي وحيد أحبه «خالد» من فوره.

-حلو أوي الكرسي ده، هايبقى الدولاب بتاعي.

-بص أنا روقتهالك على أد ما أقدر بس لسه عندنا شغل شويه.

-طيب يالا بينا.

-لأ مش دلوقتي، إحنا عندنا حفله مهمه النهارده.

-حفلة إيه؟

-تعالى الجنينه هاوريك.

يتجه «حبيب» إلى الشرفة الملحقة بالغرفة، المطلة على الحديقة الخلفية ومن بعده «خالد» الذي اندهش من المنظر، فقد كانت الشرفة شرفية واسعة، طويلة نسبيًا، تضم أكثر من مخرج، وتطل على الحديقة والمدخل الخاص بالشقة، من خلال برامق الجبس القديم، كما كان بالحديقة حوض ماء زاهي اللون زحبه «حبيب» الذي زرع تلك الحديقة بعناية؛ حيث اختار الأزهار الملونة التي تعكس أسلوب حياته، فقد كان محبًا للحياة، منفتحًا على الدنيا ليمثل قدوة لـ«خالد» الهارب برسوماته من حياته المنغلقة مع «طاهر» وجدته. وضع «حبيب» حامل رسوماته هناك، وكان يحمل لوحة ملونة لفتاة مصرية جذابة، قمحية البشرة، سوداء العين لها شعر طويل، اقترب «حبيب» من اللوحة في فخر، وَعلّق «خالد»:

-مختلفه اللوحه دي عن كل ألوانك.

-بالعكس، ده هي دي ألواني بالظبط، سحر الشرق.

-إيه ده بقى، أنا في حاجه معرفهاش؟

قالها بدهاء ليعترف «حبيب» لصديقه بالحقيقة.

-«كريستين».

-اؤمرني.

-هأمرك فعلًا، مش بقولك عندنا حفله النهارده؟

-طب ما تفهمني يا بني آدم.

-مش لما أفهم أنا أبقى أفهمك.

-شكلك طبيت يا صاحبي.

-إلّا طبيت، ده أنا بصوصو من إمبارح.

-طب إيه؟

-مش بقولك ورانا حفله؟

***

ظلت «نشوى» تراقب الطريق المقابلة لعقار «طاهر» في انتظار ظهوره، من خلف نافذة شقة الحملة الانتخابية، لتتمكن من القيام بخطتها الخبيثة التي أبهرتني، حتى رفع المؤذن أذان العشاء، ليبدأ المصلون في التوافد على المسجد، تركتها وهلة لأحاول إعادتهم إلى لهوهم، حتى ظهر «طاهر» مرتديًا قميصه الأبيض، يتحرك بخفة وسرعة، حتى سمع صراخها الكاذب، أثناء مروره بعقار الحملة قبيل المسجد، ليتنبَّه لها عن يمينه في المدخل بعيدة عن الأنظار، طريحة الأرض تتلوى من الألم، كاشفة شعرَها دون طرحتها، فهرع إليها بشجاعته المعهودة، ليجدها مجروحة بيدها تنزف دماءُها، فجلس إلى جوارها متوترًا متفاعلًا مع الموقف، رغم سطحية الجرح، قائلًا:

-خير خير، مالك في إيه، أجيبلك إيه؟

-مش مهم، أرجوك هاتلي أي طرحه.

قالتها «نشوى» وفي عينيها دموع التماسيح، كاشفةً شعرها، لتظهر أنوثتها الخلابة؛ حيث كانت تتمتع بشعر أحمر ناعم طويل.

- مش فاهم! طرحة إيه دلوقتي؟!

قالها «طاهر» ـ مندهشًا ـ لتشرح له:

-حجابي....

قالتها ثم تنهدت ـ متابعةً ـ:

-ضربوني وقلعوني الحجاب.

ينفعل «طاهر» ويحمَرُّ وجهه مكفهرًا، وَاستطاعت «نشوى» بذكاء إثارة شهامته ونخوته.

-مين ولاد الـ.

وضعت «نشوى» أنامل يدها اليسرى على شفتيه مع لفتة نسائية يذوب أمامها أعتى الرجال لتقول ببراءة:

-أرجوك بلاش، إدعيله بالهدايه.

تأثر «طاهر» بحديثها قبل أن يدرك جرحها النَّازِف، فخلع قميصه وعصَّبَ جرحها، إلا أنهاَ رفضت وتناولت القميص مغطية به شعرها، وظلَّتْ ملامح الدهشة تعتلي وجهه، ليمسك بيدها، قائلا:

-طب تعالي، هاوديكي مستشفى، العربيه جنب المسجد.

يقولها ويتحركان سويًا باتجاه السيارة، عابرين أمام المسجد دون أن يدخل «طاهر» حال الجميع، لأرضى أنا أخيرًا عنهما.

***

من شمال سيناء ظل «دياب» يقود سيارته رباعيَّة الدفع مخترقًا الصحراء الغاضبة، حتى وصل أخيرًا إلى بقعة خضراء محاطة بالنخيل الملوكي الثري، توقف في مكان متطرف من الخضرة، إلى أن وصلت سيارة بيضاء نصف نقل، وَخرج منها رجل سيناوي بجلباب أبيض يعتليه صديري أسود، جامعًا شعره بعباءة بيضاء بدوية، ليترجل «دياب» هو الآخر من سيارته ويتقابلا في وسط الصحراء الغادرة.

-سلاموا عليكم يا حاج «دياب» عندنا خبريه تهمك.

-عليكم السلام يا شيخنا، سامعك.

-الجماعه بتبلغك إن الراجل اللي بتدور عليه مش في «مصر».

تعجب «دياب» وزاد فضوله.

-تقصد الرائد «عادل»؟

-أيوه يا حاج، الرائد «عادل» عندنا في الجنوب جرب «دهب».

ذهل «دياب» مما سمع وتساءل:

-انت متأكد من الكلام ده؟

-أيوه متأكدين، إحنا لينا عيون في الداخليه وانت عارف، ولما نوصلك معلومه تبقى قرآن يا حاج.

كان «دياب» يعلم في قرارة نفسه إمكانيات جماعته، ليغادر سريعًا معاودًا أدراجه، ليبعث ـ على وجه السرعة ـ النذير إلى «وحيد» الذي ينتظر ساعة الصفر.

***

«التاريخ في الوقت الحاضر ١١ أكتوبر الساعة ١٢ ظهرًا»

(١٦)

من حي الزمالك، وبالتحديد من أمام ساقية الصاوي، وصل «خالد» و«حبيب» إلى الشارع المطل على المدخل الرئيسي، حيث كانت مجموعة من أصدقاء «حبيب» في انتظاره بين عشرات الشباب الذين كانوا يشترون التذاكر أو المشروبات والأطعمة الخفيفة استعدادًا للحفلة. حيًّا «حبيب» أصدقاءه في حفاوة ليعرفهم بـ«خالد».

-يا هلا يا هلا.

-هلا بالخميس.

قالها «تامر» متراقصًا، وهو شاب عشريني أسمر.

-اتأخرت ليه يا «حبيب»؟

قالتها إحدى الفتيات لتعلق أخرى:

-فنان بقى.

-بالظبط كده، أعرفكم بـ«خالد» شريك الفن.

-أهلًا «خالد»، أنا «جاكلين».

-وأنا «مارينا».

-وأنا..

-أكيد «مايكل».

قالها «خالد» ساخرًا.

-هههه، لأ «تامر».

-حلو ده، ينفع «دبل فيس».

ضحك «حبيب» متسائلًا عما يخصه.

-ههه، فين باقيتكم أمال؟

كان «حبيب» مفضوحًا، لتعلق إحدى الفتيات في خبث مشاكسة إياه:

-تقصد «كريستين»؟ لا للأسف مش جايه.

ارتسمت علامات الأسى على وجهه فواساه «خالد» واضعًا يده على كتفه، فجأة ظهرتْ من خلفهما تلك الفتاة القمحية الرشيقة التي تسير في خطى أنثوية شرقية مثيرة، هي «كريستين»، مصرية الملامح إلى أبعد الحدود، كـ «نفرتيتي» منذ قديم الأزل.

-مساء الخير.

يلتفت «حبيب» في ذهول، قبل أن يبتسم ابتسامة بلهاء تعكس حالته، وَيمد يده إلى «كريستين» ثم يرفعها ليقبلها وسط سخرية الجميع وخجل «كريستين»، يسود المكان لحظات من الصمت وسط ابتسامات الجميع، الذين يرمقون «حبيب» الممسك بيد «كريستين» فقالت خجلًا:

-الناس كلها دخلت، كده هانتأخر.

قالتها ليتنبَّه الجميع، فَتحركوا قبل أن ينظر «حبيب» نظرة عتاب إلى الفتاة التي أوقعت بقلبه، دخل الجميع القاعة المفتوحة على النيل أسفل الجسر، لتظهر تلك الفرقة الموسيقية، وعلى رأسهم «راغب» زوج «أشجان» الذي جمعه لقاء قصير بـ»طاهر» منذ ساعات قليلة. دخل «راغب» حاملًا جيتارًا غربيًّا ليعزف عليه مقدمة موسيقية صاخبة هزت الجميع، ليعلو التصفيق والصيحات، وإن ظل «حبيب» ساكنًا ممسكًا بيد «كريستين».

ساعات من الرقص والصخب جمعت فيها أحبابي من حولي، متراقصين متمايلين يمينًا ويسارًا، لأتركهم مطمئنًا عليهم، ذاهبًا إلى مكانٍ آخر.

***

من داخل سيارته الـ»أوكتافيا» حديثة الطراز، كان «طاهر» يقود وبجانبه «نشوى» التي ضمدت جرحها ببعض المناديل وبعض المطهرات التي ابتاعاها من صيدلية في الجوار.

-بس هو إزاي بني آدم يعمل كده؟!

قالها «طاهر» ببراءة، لتجيب فتاتي بخبث:

-البلد مابقيتش بتاعتنا يا أستاذ «طاهر»، ده إحنا اتبهدلنا في حملة الانتخابات دي فوق ما تتخيل.

-والله أنا سعيد بيكي، ومستغرب إن ده دور تطوَّع فيه واحده بنت!

بمزيج من الدلال والقوة معًا تجيب «نشوى»:

-ما هو لو كان في رجاله كفايه يحموا البلد والناس المحترمه اللي بتخاف ربنا مكنتش نزلت أنا من بيتي أساسًا ولا كان في كلب أتجرأ يعمل فيا كده.

تثير «نشوى» نخوة «طاهر» الذي دافع عن ذكوريته قائلًا:

-لا يا «نشوى» إسمحيلي، البلد فيها رجاله وشباب كتير محترم، انتي مكنتيش هنا أول السنه وشوفتي الثوره ولا إيه؟

-لأ شوفت ونزلت، انت نزلت يا أستاذ «طاهر»؟

يتلعثم «طاهر» الذي كان يُؤْثِرُ السلامة في كل قرارات حياته، ليغير الموضوع قائلًا:

-يا ستي بلاش أستاذ دي، أنا مش كبير أوي كده.

-كبير مقامًا وشهامه يا فندم، هو حضرتك بتشتغل إيه؟

في فخر أجاب «طاهر»:

-عندي محلات قطع غيار.

-بسم الله ما شاء الله! ربنا يزيدك، إحنا وصلنا خلاص البيت هناك أهو.

قالتها مشيرة إلى عقارها في أحد شوارع «مدينة نصر»، ليتوقف «طاهر».

-ألف حمد لله على السلامه، وسلامتك.

-الله يسلمك، وأنا هاتصل بيك زي ما وعدتك أعرفك على العيله الكبيره بتاعتنا وإن شاء الله يكون ليك فيها مشاركه إيجابيه.

-ده شيء يشرفني، خصوصًا إني عمري ما كان عندي عيله.

ابتلع «طاهر» الطعم، حلم العائلة، السند والدعم والأخوة، السحر الذي بني عليه الإسلام وانتشر.

-ماتخافش يا «طاهر»، من النهارده وبعد شهامتك دي، تقدر تعتبرنا عيلتك، وبنحبك...... بنحبك في الله، سلامو عليكوا.

والله إنني أنا من أحبك في الله، يا من صنعك ربك من الطين وبعث فيك هذا الدهاء!

***

خرج الجميع ـ مستمتعين ـ من الحفل، وها أنا ذا عائدٌ لأجد الجميع لا يزالون يتسامرون، خاصة «حبيب» وأصدقاءه الذين رفضوا الانصراف حتى بعد ذهاب الجميع. صرخت إحداهن عندما لمحت «راغب» عازف الفرقة عند مغادرته.

وقد كان «راغب» فنانًا قليل الدخل، فلم يكن عازفو الجيتار هم الأوفر حظًا؛ لتتملكه دائمًا عقدة الاضطهاد أو الظلم التي أقنعته أنا بها، ليهرب بها من فشله، وعدم دعم المجتمع للفن، وَأفتح له بابًا جديدًا يستطيع الحصول منه على حقه، وقد كان هذا الباب هو...

-راغب.....راغب.

قالتها إحدى الفتيات ليتوقف ـ في سعادة خططتها له ـ ليجيب:

-أهلًا يا فندم.

-أنا معجبه بيك جدًا، انت فظيع، ممكن أتصور معاك؟

-طبعًا طبعًا.

ما إن وافق حتى عانقته الفتاة، لأثير أنا كلِ غرائزه المكبوتة، فَيضعف ويذوب في أحضانها، التي التقطت بهاتفها صورة، قبل أن تقع نظرة «راغب» على «خالد»، لتتغير ملامحه، وسط اندهاش الجميع، تدخل «حبيب»:

-هو انت تعرف «راغب» يا «خالد»؟

-ولا عمري شوفته يا صاحبي.

-غريبه.. أمال مبحلقلك كده ليه؟!

ظلت نظرات الاثنين معلقة، حتى اختفى «راغب» مع الفتاة الشقراء صاحبة الجسد الطويل الذي يفضله اليوم، غادر الجميع بعده إلى منازلهم، وإن فضَّل «خالد» و«حبيب» العودة سيرًا من الزمالك إلى شبرا عابرين النيل، ليظل كل منهما يحلم بفتاته، حتى وصلا أخيرًا إلى منزل «حبيب» فدخلا، وَفضَّل «خالد» المكوث في الشرفة.

-مش هاتخش تريح؟ أنا اتهديت من المشي.

-لأ، أنا هاقعد أرسم شويه.

-براحتك يا فنان، أنا هاخش أغير وآجي أرسم جنبك.

دخل «حبيب» ليغير ملابسه، بينما بدأ «خالد» رسمه، واضعًا خطوطه الانسيابية التي صنعت وجه «فريدة» الهادئ. دقائق قليلة وكانت الرسمة بالفعل تشع بالحياة، ظهر «حبيب» بجلبابه مُظهرًا غيظه من سرعة «خالد» المعتادة.

-أعتقد برضه اللوحه دي مختلفه عن لوحاتك.

-بالعكس يا «حبيب» اللوحه دي هي بالظبط كل لوحاتي.

بالفعل كانت هذه اللوحة مختلفة، وحقًا كانت هذه الرسمة تعكس بوضوح حقيقة «خالد» الذي بات يقابلها للمرة الأولى.

***

دمعت عينا «خالد» بجانب «نور» التي وقفت مندهشة لهذا الحب الذي أحبه «خالد» لـ«فريدة» زوجته! شاعرة بغيرة نسائية جعلتها تخرج صامتة من غرفته، متوجهة إلى الردهة الطويلة التي ابتلعت خطواتها حتى وصلت غرفتها القديمة، ولكنها توقفت لحظة عند بابها ثم نظرت إلى غرفة أحد

المرضى عن يسارها، فدخلتها لتنظر فيها إلى المرآة الموضوعة فيها بجانب باب الحمام، نظرت إلى جمالها وأنوثتها التي كانت دائمًا تحاربها، قامت بتحرير شعرها الذهبي، الذي تراقص فرحًا، لتبتسم وتمسك بهاتفها الموضوع في أحد الأدراج لتتصل بزوجها «مخلص» الذي ظنته سيجيبها منكرة كل الحقائق.

-مخلص.. إزيك يا حبيبي وحشتني، عايزه أحكيلك اللي شوفته، أصلي أنا عمري يا «مخلص» ما شوفت حد بيحب حد كده، عمري ما شوفت وفاء كده، خصوصًا لحد ميت.

-بس هي ما ماتتش.

فزعت «نور» من الصوت لتقف وتلتفت، فَتجد «ملك» جالسة بهدوء على المقعد الذي يحول بينها وبين الأرض.

-«ملك»؟! معلش يا «مخلص» هاكلمك تاني.

قالتها «نور» وأغلقت الخط المقطوع سلفًا، لتتحدث إلى «ملك» التي ظهرت من العدم.

***

من داخل منزل «مخلص» و«نور» بمصر الجديدة يغلق هو الخط في استياء كالعادةِ من إهمال زوجته له، فهي دائمًا تحقر من عمله ودوره في الحياة، مُعظمةً من دورها هي، ولقد كان هذا يؤثر على نفسية «مخلص» سلبًا، خاصة أنه أهمل نجاحه في العمل كي يهتم بطفلتهما الوحيدة ابنة السنوات الثماني والتي جاءت الدنيا بعد عناء استمر لسنوات دون إنجاب، ولولا اعتناقهما الديانة المسيحية لفضَّل كل منهما البحث عن شريك آخر وإن كانت مشيئة الخالق تحتم خلق هذا الكائن الملائكي من صلبهما في هذا الوقت بالتحديد لحكمة لا يعلمها غيره وإن كنت أفهمها أنا، فخالقي عدل يعرف خبايا المستقبل عكس الجميع.

كان «مخلص» قصير القامة نحيفًا، يرتدي نظارة تعوض ضعف بصره، وَكان

زميلًا لـ«نور» في كلية الآداب، قبل أن تسلك هي طريق المنظمات الحقوقية وعلم النفس، وَتصبح من سيدات «اليونيسكو»، مستغلة تأخر إنجابهما في السفر إلى دول المنطقة المتوترة كسوريا وغيرها محاولةً دعم ضحايا الحروب، وكل من نجا منها ؛كي تَعبر بهم من حالات الرفض التي تصاحب الكوارث، إلى أن قابلها «الشرنوبي» في أحد المؤتمرات واختارها لتصبح المسؤولة عن الطابق الثالث تحت إدارته، فَلَقِيَتْ نجاحًا ماديًّا عوضها سنوات الحرمان، فتنقم على عمل «مخلص» الذي كان يعمل كمحرر صحفي في إحدى الجرائد المتوسطة، بمرتب زهيد، وقد اضطر للعمل في مهنة غريبة وجد فيها شغفه الحقيقي الذي طالما كان حول الأطفال؛ حيث كان يؤلف الأغاني للأطفال ويلحنها، إلى أن بدأ العمل في الحفلات وأعياد الميلاد؛ الأمر الذي وجدته «نور» لا يناسب وضعها الاجتماعي الجديد، فحاربته كثيرًا، خاصة بعد رفضه الانتقال إلى «دهب»، لتهمله «نور» وابنتهما التي تحمِّل «مخلص» همها محاولًا خلق بيئة فريدة لها.

-معلش يا حبيبتي، ماما مش هاتعرف تكلمك دلوقتي، هي قفلت الخط عشان جالها شغل مهم، بس أول ما تخلص هاتيجي علطول.

-طيب يا بابي ما انت علطول عندك شغل بس بتكون معايا.

اقترب الأب من ابنته ليضمها داخل غرفتها التي كانت وردية اللون في كل شيء، ملأها الأب بالعرائس السعيدة.

-عشان أنا شغلي غير شغل ماما، ماما شغلها أصعب كتير.

-بس أنا بحب شغلك أكتر، يالا بقي غنيلي الأغنيه اللي كنت بتغنيها في عيد الميلاد اللي فات.

ضحك الأب دامع العين وقال:

-هه.. حاضر بس بشرط.

-إيه يا بابتي؟

-تبطلي عياط، وقوليلي يا بابتي كده علطول.

-ههه، حاضر يا بابتي يا أحلى بابتي، وأهو بطلت عياط خلاص.

قالتها مبتسمة، ليبدأ الأب بالغناء لها لساعات طويلة انتهت بنومهما سويًا على هذا السرير الوردي الذي يحمل صورة سندريلا.

***

-انتي هنا من إمتى؟

قالتها «نور» لـ«ملك» التي ظهرت كالشبح.

-من زمااااان.

حاولت «نور» استعادة رباطة جأشها قائلة:

-طيب يا حبيبتي، عايزه تقولي إيه، ومين دول اللي مماتوش؟

-هاحكيلك بس بشرط.

-إيه؟

-هاحكيلك «بس المهم تصدقيني».

هكذا كنت دائمًا أنا، أحاول خداع الجميع.

-حاضر، بس قوليلي كلام يتصدق.

-بس اللي هاحكيهولك مايتصدقش، بس ممكن تتأكدي منه.

استطاعت «ملك» جذب انتباه «نور» التي قالت:

-طيب حاضر، أوعدك إني هاحاول اتأكد من اللي هاتقوليهولي.

-اتفقنا.

-ها، إحكي.

-«فريدة».

-تقصدي مرات «خالد»؟

-أيوه «فريدة» وبنتها.

-مالهم يا «ملك»؟

قالتها «نور» في تحفظ.

-ما ماتوش.

-أفندم!

اندهشت «نور» من قوة «ملك» التي تابعت:

-مش وعدتيني إنك هاتحاولي تتأكدي؟

***

من داخل إحدى زوايا القاهرة بحيٍّ شعبيٍّ فقير، كان هذا الرجل الليبي الأربعيني الذي يدعى «عاصي» يحضر درسًا دينيًّا مع بعض زملائه الملتحين وإن كان «عاصي» أكبرهم عمرًا وقسوة في الملامح، فهو صاحب أنف معقوف وبشرة سمراء وشعر مموج قصير ولحية سوداء طويلة شعثاء. كان «عاصي» يفتقر إلى الهندام، فكان يرتدي جلبابًا رماديًّا قصيرًا وضع به سواكًا حال دون إزالة رائحة فمه الكريهة. توقف المحاضر عن درسه وتوجيهاته عندما دخل شخص ما ليحدث «عاصي» سرًّا، ليتغير وجه «عاصي» الذي وقف وأمسك هاتفًا قديمًا أعطاه الرجل إليه، ليخرج «عاصي» من الزاوية وهو ينصت إلى «دياب» الذي كان يلقنه ما سيفعل في الساعات القليلة القادمة.

***

«التاريخ في الوقت الحاضر ١١ أكتوبر الساعة ٢ ظهرًا»

(١٧)

خرجت «نور» من غرفتها مندهشة من كلمات «ملك» وثقتها التي تضيف لكلامها مصداقية غريبة، لتظل «نور» تبحث عن مصدر معلومات «ملك» إن صدقت، فهل لها كرامات ما؟! هذا ما ظل يلامس خيال «نور» التي فكرت في التحدث مع الدكتور «فهد»، لتأخذها خطواتها إلى مدخل الطابق الثالث، لتحاول الهروب من سجنها، إلا أن حراس الطابق الثالث منعوها.

-انت اتجننت ولا إيه! أنا الدكتوره «نور»، انت جديد هنا؟

قالتها «نور» وهي تدفع بالحارس الضخم الذي قال في هدوء وهو يمسك بيديها:

-عارف يا دكتوره، بس لو سمحتي خليكي في أوضتك.

-يعني إيه أخليني في أوضتي، هو أنا محبوسه هنا؟! خرجونيي.

قالتها بجنون وقد صارت الآن حبيسة هذا الطابق حتى تنتهي من مهمتها فيه.

-يا فندم لو سمحتي ترجعي أوضتك، دي أوامر الدكتور «فهد».

-هو فين الدكتور «فهد» ده؟ أنا عايزه أفهم.

قالتها وهي تدفع الحارس الذي كاد صبره ينفد، ليتفقد الهاتف الداخلي المعلق على الحائط ويتصل بـ«نبيل» الذي كان في مكتبه يتحدث إلى زوجته الغاضبة كالعادة.

-إستني معايا على التليفون.

قالها «نبيل» لزوجته عبر هاتفه الجوال ليجيب الهاتف الداخلي.

ـ أيوه يا بني.

قص الحارس على «نبيل» غضب الدكتورة «نور»، ليستاء «نبيل» قائلًا:

-طيب طيب، حاول تهدي الدكتوره «نور» وأنا هاخلي الدكتور «فهد» ينزلها حالا.

قالها «نبيل» وأغلق مودعًا زوجته هي الأخرى، ثم توجه بخطواته الثقيلة إلى الدكتور «فهد» الذي كان في مكتب والده يصارعني وأنا أزيّن له محاسن تلك الزجاجة الفاتنة التي يخالطها نسبة بسيطة من الكحول الذي يزيد من قدرته على التركيز.

-خير يا «نبيل»، ما تخبط قبل ما تخش يا أخي مش كده، هي وكاله من غير بواب!

وقعت عليه الكلمة قاسية، وكان يعلم أنه هو ذلك «البواب» ليترك الدكتور «فهد» هذه الزجاجة محرجًا من مساعد والده الذي أجاب:

-أنا آسف يا فندم، معلش أصل في مشكله في الدور التالت.

-الدور التالت!

استطاع «نبيل» أن يسترعي انتباه الدكتور «فهد» الذي توجه إلى هذا الطابق ـ مسرعًا ـ مستخدمًا السلالم كعادته؛ هروبًا من المصعد والأماكن المغلقة، فيفتح الباب الذي وقف خلفه هذا الحارس الضخم ممسكًا بـ«نور» بقوة مفرطة.

-انت اتجننت يا بني! نزل إيدك من على الدكتوره «نور».

قالها بعصبية للحارس وهو يحرر «نور» التي سقطت أرضًا باكية، ليجثو الدكتور «فهد» بجانب «نور» حافية القدمين وقد بدا عليها الإعياء الشديد، حاول حملها، فرفضت، ووقفت في مكابرة لتعبها، وتركتهما ـ متجهة ـ إلى غرفة عملها عن اليمين ومن خلفها الدكتور «فهد» الذي منع الحارس من تعقبهما، ليدخل من خلفها إلى تلك الغرفة الصغيرة.

-ممكن تفهمني أنا محبوسه هنا ليه؟

قالتها وهي تخرج هاتفها لتستغيث بزوجها فلم يجبها، لتزداد عصبيتها وهي ترمي بالهاتف على المكتب، ويعلق الدكتور «فهد»:

-«نور» لو سمحتي إهدي، مفيش أي حاجه تستاهل العصبيه دي خالص.

-يا سلاام! على أساس إن الطبيعي إني أبقى محبوسه هنا زي المجانين؟!

-يا «نور» انتي عارفه كويس أوي الطوارئ اللي إحنا فيها، الريس نفسه هايطلع خطاب في أي لحظه، ولما الناس هاتعرف بوجود «ملك» هنا هانتحبس كلنا في المصحه.

-طيب وأنا ذنبي إيه يا «فهد» في ده كله؟

سكت الدكتور «فهد» لأجيب أنا على لسانه:

-عشان ده دورك يا «نور» وواجبك كأخصائيه نفسيه.

استخدمت أنا نقطة ضعفها بحرفية وإن منعتها عصبيتها من الرضوخ.

-من إمتى وانت بتثق فيا كده يا «فهد»؟

بهدوء وثبات أجاب:

-«نور».. أنا لو مكنتش مؤمن بيكي مكنتش سلمتك أهم حاله هنا.

أرضيت أنا غرورها، لتجيب بهدوء وهي تجلس على مكتبها الذي كان يحتله الدكتور «فهد» منذ فترة، ليستاء الأخير وإن رضخ لعصبيتها فجلس أمامها على الكرسي الآخر ليكمل:

-«نور».. أنا عارف كتير عن حالة «خالد» وخايف يكون ليه علاقه باللي بيحصل في البلد، ووجوده هنا مع وجود رجالة الداخليه والأمن الوطني فيه خطر على المصحه وعلينا كلنا.

استعادت «نور» ثقتها، فربعت قدميها الحافيتين وأسندت ظهرها، قائلةً:

-طيب أنا محتاجه أنزل «مصر».

-ليه؟

-في حاجه لازم اتأكد منها.

سكتت لتستمتع بِفضوله، وقد استسلم لها سريعًا.

-في حاجه غريبه بتربط «ملك» بـ«خالد»!

قالتها «نور» ليندهش «فهد» متسائلًا:

-حاجة إيه؟!

-مش عارفه بالظبط، بس لازم نوصل للربط ده عشان ده لو حقيقي، يبقى وجود «خالد» مع «ملك» في المصحه فيه فعلًا خطر علينا وعليها هي بالذات.

-انتي قلقتيني يا «نور».

-لغاية دلوقتي مفيش حاجه تقلق يا «فهد» إلا لو كلامها طلع حقيقه!

-كلام إيه؟

-لو فعلًا «فريدة» مرات «خالد» وبنته طلعوا لسه عايشين!

قالتها ليقف الدكتور «فهد» مفزوعًا من هول ما سمعه! فلقد هدمت «نور» لتوها الكثير من استنتاجاته.

-لو اللي انتي بتقوليه ده حقيقي أنا اللي لازم أنزل «مصر».

قالها الدكتور «فهد» وهو مشوش من كلماتها التي ابتسمت وظلت تدير مقعدها بقدمها الحافية، لتدور وتدور كما أدور أنا من حول الجميع، لأوجه قدميها الحافيتين إلى هذه الردهة المؤدية إلى غرفة «خالد»، لتتبعني بخطاها البريئة عابرة الباب الذي وقف عنده هذا الحارس الذي رمقته بنظرة لا مبالاة وتابعت سيرها وإن لفت انتباهها هذا الضوء عن يمينها والقادم من داخل غرفة هذه السيدة العجوز التي وصلت صباح هذا اليوم. حاولت خطف نظرة عابرة داخل حرم المكان مِن فراغ الباب الموارب، فَيدفعها الفضول لفتحه، فدفعته بيمينها بهدوء، فتَجد من يخطف مقبض الباب من الداخل ليفتحه على مصراعيه أمامها، لتجد نفسها أمام هذه المرأة العجوز بشعرها الرمادى المربوط كذيل الحصان، فزعت «نور» وتركت المقبض،

وتابعت خطواتها ـ مُسرعةً ـ إلى غرفة «خالد» لتدخلها دون أي استئذان، ليزيد (هو) من اندهاشه.

فلقد كان «خالد» يجلس على الكرسي الوحيد بالمكان وهو يحتضن مجموعة من الأوراق، ممسكًا بقلم بال، منهمكًا في الكتابة بشكل مريب، لاحظته «نور» فسألته في حيرة وتوترٍ:

-إزيك يا «خالد»؟

لم يجبها (هو)، بل ظل يتابع الكتابة كالممسوس، عادت لتسأله:

- يا «خالد»، انت بتعمل إيه؟

لم يجبها وتابع كتابته بشكل مخيف، وكأن هناك من يلقنه، يلقنه شيئًا خبيثًا غريبًا، فظل يكتب في عصبية ـ متمتمًا ـ بتراتيل غير مفهومة، حتى إنَّ عينيه اتخذتا لونًا أكثر غمقة من المعتاد، فاقتربت «نور» منه حاجبةً الأوراق بيديها، ليتابع (هو) كتابته على يدها في شيء من الريبة، سحبت يدها ـ خائفة ـ لتجد القلم قد طبع على يدها كلمة «الكمير»، فرجعت خطوتين إلى الوراء، فتنبَّه إليها أخيرًا، فابتسم ونظر إليها بعينيه، قائلًا:

-«نور».. انتي هنا من إمتى؟

استعادت رباطة جأشها، أو لعل عودة لون عينيه لطبيعتها ـ كما ظنت ـ ما طمأنها، لتجيب:

-من ساعة ما كتبت.

قالتها وأشارت إلى يدها لتتابع:

-يعني إيه «الكمير»؟!

أجاب ـ متلعثمًا ـ أمام إصرارها:

-«الكمير»؟! عرفتيه منين؟

-انت اللي كتبت إسمه!

اندهش «خالد» وقال:

-أنا مكتبتش اسمه.

لم ترد «نور» الدخول في جدالات كثيرة، فتجاهلت الحروف المطبوعة على يدها وتابعت:

-طيب هو عباره عن إيه؟

لم يجب وشرد لحظات، فكرَّرت:

-يا «خالد».

-ها.

-إيه «الكمير» ده؟

في استسلام ـ أجاب ـ

-«الكمير» ده حيوان أسطوري قديم.

قالها وسكت برهة ثم تابع وصفي:

- من أيام اليونان، وبيرمز للشيطان.

ابتلعت «نور» ريقها متسائلة:

-وشكله إيه الحيوان ده؟!

وقف «خالد» وترك أوراقه واتجه نحو المرآة قائلًا:

-بشع.

-أفندم!

-شكله بشع.

قالها ثم التفت إلى «نور» وتابع:

-أبشع مما تتخيليه.

-شكله إيه يعني؟!

-شبهك.

غضبت - مستنكرة -:

-أفندم!

-شبهك وشبه كل واحد فينا.

-مش فاهمه!

-«الكمير» ده حيوان بتلات وشوش.

بدا الخوف على ملامحها، وَاتخذت من السرير مأوى لها.

-تلات وشوش!

-وش أسد، ووش حمل.

-والتالت؟

قالتها متسائلة عني، ليجيب هذا الحمل الوديع:

-التِعبان.

أحسن «خالد» بوصفي وإن كنت أستوعب أكثر.

-يا ساتر يا رب! وإيه اللي فكرك بيه؟

ظل «خالد» ينظر إليه في المرآة، باحثًا عما بداخله، يبحث عنه (هو)، بل كان يبحث عني أنا! باحثا عن «سر الثالوث الأوحد»

***

ظل يصعد بخطواته طابقًا بعد طابق، في سرعة غريبة دون أن يلهث أو يفقد أنفاسه، مدخنًا هذه السيجارة المحشوة بحشيش فاخر، يثير النشوة، ويفجر الخيال، فاتحًا كل أبواب العقل المغلقة، ليكشف له عقله ما لا يعلمه غيري أنا. خطوة تلو الأخرى ونفس تلو الآخر، حتى وصل أخيرًا إلى سطح عمارته،

ليتقدم إلى حافتها، فيلقي نظرةً على اللوحة التي أبدعها الخالق لسماء «القاهرة» التي تغازل نهرها الذي قارب على الجفاف، حتى سمع ضحكاتهما الصاخبة من الداخل، ليبتسم (هو)، ساحبًا نفسًا أخيرًا من سيجارته قبل أن يلقيها من فوق العقار، وَيفتح باب مسكنه بهذا المفتاح المعلق بتلك الميدالية المكونة من تلكم القطعتين المتشابكتين، ليدخل إليهما ليكمل ما جئت به أنا من أجله، ليفتح (هو) الباب، وَيجدهما عاريتين تمامًا إلا من سلسلتين ربطتهما بخصريهما سويًا، لينظر (هو) إليهما بعينيَّ الراضيتين تمامًا، من كمال جسديهما وهما يتداعبان كالسحاقيات، ليخرجاني من داخل أحشاء هذا الوحش الذي لم يراقبهما كثيرًا، قبل أن يفتك بهما سويًا، ليسكتا عن الضحك، ويبدآ في النحيب والصراخ الذي تلاه بكاءٍ ودموع ألم لم يُعهدا عليه من قبل، فقد اكتمل نمو الحية ليصير سمها فتاكا وقاتلًا.

***

-ماتوا؟!

قالتها «نور» متسائلة عما حدث لكلتا الساقطتين، ليجيب «خالد» ببراءة:

-واحده ماتت فعلًا.

-والتانيه؟

تساءلت «نور» دامعة العين وكأنها تجهل أن تلك الساقطتين قد دُفع لهما ما جاءتا من أجله، فلقد اكتشف (هو) مصرع الأولى بين يديه، قبل أن تكمل رعشاتها الأخيرة، ليخرج (هو) منها، ناظرًا للساقطة الثانية التي كانت تزحف أرضًا لتهرب قبل أن توقفها تلك السلسلة التي ربطتها بخليلتها، فتصرخ بقوة ليستفيق (هو) من حكمي، وَيجد نفسه عاريًا بينهما، ليشعر بخجل عارم وغضب شديد، زاده صراخ تلك العاهرة التي وجدها أمامه عارية رخيصة، ليمسكها من يدها، فَتزيد من صيحاتها قبل أن يحكم قبضته مطبقًا شريعة خالقه، الذي حكم عليها بالموت ليطهرها من الدنس.

لم تتحمل «نور» كلماته، فقاطعته متسائلة:

-يعني ده كان «طاهر» بس ملبوس؟

-ملبوس؟!

قالها (هو) ضاحكًا، ليزيد من ذعرها، ثم خطت خطوتين إلى الوراء، ليقترب (هو) منها قائلًا:

-و(هو) مين فينا مش ملبوس؟

-يعني ده كان «طاهر» ولّا كنت إنت؟

سألته متحيرة من أمرها! فمن حقًا هذا الذي يحكي عنه «خالد»؟! من حقًا (هو)؟! قالتها، وقد تغيَّرت نظراته لها، ليبتسم (هو) متذكرًا ما صار معهما، بل مع ثلاثتنا في الساعات التي تلت تلك الحادثة، دون أن يكشف لها عن السر، «سر الثالوث الأوحد» الذي كان يؤمن به «خالد» في أعماق قلبه الذي أسكن فيه أنا و(هو).

***

«التاريخ في الوقت الحاضر ١١ أكتوبر الساعة ٦ مساءً»

(١٨)

عاد بخطواته الهادئة إلى البيت، فاتحًا بابه بهذا المفتاح الموضوع بتلك الميدالية الغامضة، بحرص شديد لم يمنعها من سماع خطواته رغم كبر سنها.

-كنت فين يا «طاهر» من امبارح؟

-أستغفر الله العظيم.

قالها «طاهر» في نفور لتتابع جدته توبيخها:

-انت بقيت بتتأخر كتير يا «طاهر»، انت مش قاعد في لوكنده. قولتلك الكلام ده أكتر من مره.

أبعد «طاهر» الهاتف الذي يتحدَّث فيه:

-لوكنده!!!

كررها «طاهر» مندهشًا قبل أن يضيف:

-حاضر يا جدتي معلش أنا آسف، لو سمحتي سيبيني أنام شويه أنا تعبان وعندي شغل بدري.

ثم توجه إلى الداخل عن يساره، ليكمل حديثه مع «نشوى» التي صاحبته عبر الهاتف بينما كان يغسل يديه مما فعل من آثام عبر الليل في هذا الحوض بالردهة الداخلية.

-هو انت كنت بايت فين يا «طاهر»؟ إحنا بقينا وش الصبح.

لم يتحمل «طاهر» أسئلة «نشوى» المتكررة، ليدخل غرفته ويزيد من حدته:

-لو سمحتي يا «نشوى» أنا مش ناقصك انتي كمان، كفايه عليا جدتي.

شعرت «نشوى» بانسحاب «طاهر» من تحكمها في الأيام الماضية فحاولت إنقاذ الموقف قائلة:

-خلاص يا حبيبي خليك براحتك، بس ماتنساش، أنا لازم أعرفك على الجماعه

كلها، وبكره إن شاء الله هانبدأ بالشيخ «وحيد»، ماشي يا حبيبي؟

أنهى المكالمة وهو يرمي بالهاتف على السرير، مكررًا كلمات «نشوى» باشمئزاز:

-«حبيبي»!!!

قالها وسكت برهة ثم استغفر ربه لهذا الحديث الرخيص.

-أستغفر الله العظيم من كل ذنب عظيم.

***

عاد «خالد» من الخارج، متسللًا عبر الحديقة فاتحًا بابها بهذا المفتاح الموضوع في ميداليته الغامضة، ليدخل هذا البستان الذي كانت تداعبه نسمات الصباح التي ينتظرها «حبيب» ليزين بها لوحته من التراس، ليكتشف خطوات صديقه الذي عبر الحديقة كالسارق، ليبتسم مندهشًا:

-إيه يابني.. كنت متنيل على عين أهلك بايت فين؟ هو أنا فاتحها لوكنده؟

-لوكنده!!!

كررها «خالد» مندهشًا قبل أن يجيب:

-ولا حاجه يا صاحبي كنت بفكر.

قالها «خالد» وتوجه إلى حوض خارجي كان بالحديقة لينظف يديه مما فعل من آثام تحت ظلام الليل.

-وهو انت إيه اللي مصحيك لغاية دلوقتي؟ الصبح طلع.

ضحك «حبيب» قائلًا:

-بفكر.

قالها قبل أن يقترب «خالد» من لوحة صديقه، الذي كان قد رسم «كريستين» في حديقة منزله، ليبتسم «خالد» قائلًا:

-ههه، يعني إحنا الاتنين بنفكر.

-طيب وآخرتها يا صاحبي؟

-ولا حاجه، هانقعد نفكر ونفكر ونفكر، لغاية لما الفرصه تضيع ونبقى نشوف فكره تانيه نفكر فيها.

-بس أنا مش عايز «كريستين» تضيع مني، ده أنا ما صدقت لقيتها.

-هاتعمل إيه يعني يا صاحبي؟ هاتروح تكلمها تقولها إنزلي يا «كريستين» أنا تحت بيتك؟

اقترب «حبيب» من صديقه مبتسمًا ليقول:

-ها.. كمل.

-أكمل إيه؟

-كمل، بعد ما تنزل أعمل إيه؟

بسخرية أجاب «خالد» صديقه:

-تقولها: «كريستين» بحبك يا «كريستين».

-انت عبقري.

قالها «حبيب» ووقف ليقبل صديقه قبل أن يتحرك ناحية الحديقة، ليخرج ـ مرتديًا ـ جلبابه المتسخ بألوان الزيت.

-انت رايح فين يا مجنون؟

لم يكترث «حبيب» لكلمات صديقه.

-يا بني آدم انت رايح فين بالجلابيه دي؟

التفت «حبيب» إلى صديقه منتبهًا لحديثه أخيرًا.

-فكرك آخد معايا ورد؟

-ورد!!!

قالها «خالد» مندهشًا ليضيف:

-آه يا «حبيب» خد ورد يا بابا، خد ورد الله يحرقك.

بدأ «حبيب» ـ المرهق من السهر ـ يجمع بعض الورود من الحديقة، ليخرج محييًا البائعين الذين بادلوه التحية بحرارة غير مندهشين من ملابسه وأسلوبه، فلم يكن يتسم بعقل من قبل ليظهر عليه الآن هذا المحب العاشق.

رفع «حبيب» جلبابه ليستطيع ركوب دراجته البخارية التي قادها عبر أحياء "شبرا" بهذا الجلباب الذي لم يتماش مع هذه الخوذة السوداء الغنية، لافتًا أنظار كل من بالشوارع من حي شبرا وصولًا إلى حي «مصر الجديدة» حيث وصل أخيرًا إلى نادي هليوبوليس ليصف دراجته ويتصل بـ«كريستين» في هذا الوقت الباكر من الصباح، فلم تكن الساعة قد وصلت الثامنة بعد.

-أيوه يا «حبيب» خير في إيه؟

قالتها «كريستين» النائمة تحت طبقات كثيرة من الأغطية التي حاولت الهروب إليها من برد الشتاء.

-إنزلي يا «كريستين» أنا تحت بيتك.

-إيه!!

قالتها «كريستين» وهي تحاول مصارعة هذا الكم الثقيل من الأغطية التي لم تستطع رفعها مرة واحدة.

-بقولك انزلي أنا تحت بيتك.

-خير في إيه يا «حبيب»، انت كويس؟!

قالتها وهي لا تكاد تعثر على ذاتها بين طيات الأغطية.

-لا يا «كريستين» مش كويس ولو سمحتي إنزلي عشان رصيدي خلص.

قالها وأنهى مكالمته للهروب من الأسئلة التي لا يعلم إجابتها، فلم يتفق مع صديقه على إجابات لتلك الأسئلة، ليظل «حبيب» يقاوم برد الشتاء ويقاوم

النوم الذي يوشك غلق كلتا عينيه، ليستسلم له أخيرًا، ويسقط الورد أرضًا.

-«حبيب»!!!

قالتها «كريستين» صارخة في وجه «حبيب» النائم واقفًا على دراجته كالصنم.
-«حبيب»!!!

استيقظ «حبيب» أخيرًا ليجد نفسه أمام «كريستين» بالفعل، وإن كان معها أيضًا عندما غفل بضع لحظات، ليتسمر في مكانه لا يعرف ماذا يفعل! بينما قتلت «كريستين» جلباب «حبيب» بنظراتها، فيتذكر ما جاء من أجله.
-«كريستين».

-أيوه يا «حبيب».

-أنا بحبك يا «كريستين».

قالها «حبيب» مغلقًا عينيه؛ هربًا من نتيجة سؤاله، حتى سمع صوت رجل آخر.

-مين ده يا «كريستين»؟

فتح «حبيب» عينيه ليجدها بأبتسامة بشوشة، بجانب والدها الأسمر صاحب هذا الشارب الكثيف والبذلة المنمقة وهو ينظر إلى جلباب «حبيب» باشمئزاز، لتقول «كريستين» ـ ضاحكة ـ:

-ده بتاع الورد يا بابا.

قالتها بدلال، ليتنبَّه «حبيب» إلى الورد الذي سقط منه أرضًا، فيهوي ليلتقطه مقدمًا إيّاه لها، لتمسكه بسعادة مستنشقة رائحة الجراثيم الجميلة التي لوَّثت الورود من طين الشارع، ملطخة أنفها بهذا الطين الشاعري، ليبتسم الأب إليهما متهكمًا:

-بتاع الورد يا بابا!

***

-يعني انت اللي جمعت «حبيب» و«كريستين»؟

قالتها «نور» متسائلة، ليجيب «خالد» نافيًا:

-إطلاقًا.. دي كانت بساطته وجرأته، الجرأه اللي عمري ما امتلكت زيها.

-بتغير منه؟

قالتها «نور» لتغضبه.

-أغير؟! ومن «حبيب»؟! ده صاحبي الوحيد.

سكت «خالد» لحظات قبل أن يضيف:

-بس ده ما ينفعش؛ لإن «حبيب» ببساطته وانفتاحه، خلى عيني تيجي على حاجات كتير جدًا مكنتش شايفها...أنا حقيقي طول عمري بتعلم منه.

-ده ما يمنعش إنك كنت بتغير منه.

قالتها لتغضبنا، قبل أن تتابع ضجيجها:

-عمومًا مش ده المهم، المهم ماتهربش من السؤال.

-أهرب! أنا أهرب؟!

قالها (هو) بثبات عميق دون أن تلاحظ «نور» التي تابعت استفزازي قائلة:

-مين اللي قتل البنتين، انت ولّا «طاهر»؟

-(هو).

***

وصل «وحيد» مقهى التكعيبة كعادته ليجلس خارجًا يشرب مشروبه الدافئ بينما يجلس في الداخل المقدم «سيف» يدخن الشيشة، حتى ظهر هذا الرجل الأربعيني «عاصي» صاحب الأنف المعقوف والبشرة السمراء والشعر المموج القصير والذي كان يجهله «وحيد» حتى جلس «عاصي» على مائدته، فقد كانا كلاهما في خلايا عنقودية مختلفة، ليتنبَّه المقدم «سيف» مخرجًا

محموله واضعًا إياه على أذنه ليسمع الحديث بدقة بعدما زرع سماعة تصنت أسفل منضدة «وحيد».

-سلامو عليكم يا شيخ «وحيد».

-وعليكم السلام.

-الشيخ «دياب» بيبلغك بإلغاء العمليه، عاود إلى الشقة ورتب نفسك للرحيل.

لم يسترح «وحيد» فقد شعر بمشقة الدنيا تستعيده مرة أخرى.

-ماتزعلش يا شيخ «وحيد» مسيرك تنالها إن شاء الله.

قالها «عاصي» وقبل أن يغادر المكان اتصل المقدم «سيف» بوحدات الدعم التي كانت تنتظر إشارته عند أول الشارع، لتتحرك الفرقة الأولى خلف «عاصي» الذي كان يجالس «وحيد» فَتتمكن من القبض عليه في الشارع الرئيسي بعد معركة دموية وقع إثرها بعض شرطي الداخلية، في حين اقتحم الضباط الذين كانوا يراقبون «وحيد» شقته مستخدمين النسخة التي كانت معهم من البداية، ليستقروا بالداخل، منظرين «وحيد» الذي ظهر في الشارع يسارع بخطواته المتوترة وصولًا إلى العقار، ليصعد بخطوات متلهفة للفرار، حتى وصل للطابق السابع منهكًا ليخرج مفاتيحه التي ظلت تتساقط من يديه حتى استطاع أخيرًا فتح الباب، ليدخل إلى المطبخ وَيمسك بسلاحه الذي فكه من الداخل أحد الضباط المخضرمين، قبل أن يسمع صوت انغلاق الباب، وَيبدأ في الضغط على الزناد في عشوائية وإن خانه السلاح، لتدخل عناصر الداخلية وَتمسك به بينما هو يصارعهم محاولًا قتلهم أو نفسه، حتى استطاعوا إحكام تقييده ليخرجوه إلى الصالة الخارجية وسط صيحات التكبير والتهليل لنشوة الانتصار، حتى ظهر المقدم «سيف» قادمًا من الخارج بهدوء شديد يأكل تفاحة أخرجها من جيب الجاكيت، ليحتفل بنصره وهو يأكل كعادته، حتى وجد «وحيد» يجلس مرتعبًا على مقعد متهالك، ليخلع المقدم «سيف» حزامه ببطء ليزيد من ذعر «وحيد» وَقد بدأت عيناه تدمعان ليضيف المقدم «سيف»:

-بتعيطي يا بيضه؟ ده انتي هايطلع ميتين أمك النهارده.

نعم، لم أقص عليكم كم كان المقدم «سيف» ساديًا في التعامل مع ضحاياه وإن كان ذكيًا يعرف من أين تؤكل الكتف! فيبدأ حفلته التي دامت لوقت طويل، لم يتحمل فيها السكان الصراخ، حتى فرغ من ضحيته وسط صمت الضباط والعساكر الذين أتوا لينقلوه إلى مكان آمن، لينزل «وحيد» نازفا الدماء أمام أعين الجيران الذين تعاطفوا معه بينما اعترض أحدهم قائلا:

-حرام عليكم.

اقترب المقدم «سيف» من الرجل في هدوء مخيف مدخنًا سيجارته ليقول:

-قانون طوارئ يا فندم!

قالها وظل يضحك، ضحكة أخرست الرجل والجميع حزنًا لتسعدني أنا دون سواي.

***

«التاريخ في الوقت الحاضر ١١ أكتوبر الساعة ١١ مساءً»
(١٩)

- (هو) مين يعني يا «خالد»؟

قالتها «نور» بنفاد صبر قبل أن تحاول سلوك طريق جديد.

-طيب بلاش (هو) مين، ممكن تحكيلي عملت إيه مع «فريدة»؟

-«فريدة»!

قالها «خالد» مبتسمًا، ليتحرك إلى لوحة «فريدة» المعلقة بجانب سريره ثم قال:

-رسمتها.

-بس؟

-رسمتها ورسمتها وبعدين برضه رسمتها.

صدق «خالد»، فهذا ما كان يفعله في كل يوم وليلة، حتى بدأ صديقه «حبيب» في الانزعاج من سلبيته، فلقد كانت حالته تزداد سوءًا مع كل خط يخطه في بشرة «فريدة» وجسدها.

-يا «خالد» انت لازم تاخد خطوه إيجابيه يا أخي.

لم يجب، وظلَّ يرسم، ليتحرك «حبيب» إلى ميدالية «خالد» الموضوعة بجانبه ليقول:

-هي إية الميدالية دي؟

-ميدالية جبهالي «طاهر» هدية.

-ويتفكها ازاي دي.

-نفسي اعرف فكها، بس ولا أنا ولا (هو) بنعرف نفكها.

-هي عبارة عن إيه يعني؟

-مفيش.. سمكتين توأم مربوط بيهم وحش غريب مش عايز يسيبهم.

-طيب سيبهالي يومين وأنا هافكهالك.

-هاتقرى عليها.

-لا هافكها بذكائي، بس بشرط.

-خير، تعمل خطوة إيجابية.

-يا «حبيب»، انت عايزني أعمل إيه؟ عايزني أروح أقولها يا «فريدة» أنا بحبك يا «فريدة»؟

-وإيه المشكله؟ ما هو ده اللي أنا عملته بالظبط.

وقف «خالد» وكتب إمضاءه على الرسمة التي رسمها لـ«فريدة» لتوه قبل أن يأخذها ويتحرك مبتعدًا عن صديقه قائلًا:

-أنا مختلف عنك يا «حبيب».

قالها متجهًا إلى باب الحديقة، ليحاول «حبيب» نداءه، إلا أنه لم يكترث وتابع فتح الباب ليجد «كريستين» أمامه بابتسامتها البشوشة.

-«خالد» إزيك.

-«كريستين»؟!

اندهش «خالد» من قدوم «كريستين» إلى صديقه، ليزداد استياؤه من ضعفه، بينما حاولت أنا إدخالها إلى المكان لنلهو جميعًا، إلا أنها امتنعت قائلة:

-يالا يا «حبيب» أنا مستنياك برا من بدري، كده هانتأخر على الحفله، تيجي معانا يا «خالد»؟ دي نفس الفرقه اللي عجبتك قبل كده.

لم يجبها واكتفى بابتسامته، ليهرع إليها «حبيب» قبل أن يتركهما «خالد» متذمرًا، يسير من مكان لآخر لساعات طويلة حتى قرر الذهاب إلى بيت جدته وإن كان قد ابتعد عن سيارته، ليشير إلى سيارة أجرة أشار له «خالد» ليذهب إلى «ميدان الإسماعيلية» -شاردًا- في لوحته الّتي رسمها اليوم لـ«فريدة» دون حجابها، ملبسًا إياها ما يحب (هو) من ملابس ضيقة مثيرة.

وصل «خالد» إلى شارع جدته، ليترجل من سيارة الأجرة، ويتجه إلى العقار بخطوات متوترة، ثم دخله واتجه إلى باب الشقة، ليظل لحظة في تردد قبل أن يسمع خطوات قادمة من أعلى، فيحسم أمره ويدخل شقة جدته، ليجدها تجلس كعادتها على كرسيها المقابل للمدخل لتقول له في استياء:

-أخيرًا شرفت يا «طاهر» يا بني!

قالتها جارحة «خالد» الذي وقف ينظر إليها في اشتياق، لتنتبه إليه فتضع نظارتها لتقول:

-انت «خالد»؟!

-أيوه يا جدتي.

-ياه يا «خالد».

اقترب من جدته وضمها بقوة أعجبتها، فقد كان «خالد» أكثر حنانًا من «طاهر».

-واحشني حضنك يابني.

-معلش يا جدتي غبت عليكي.

-عارفه يابني.

-«طاهر» هنا؟

قالها «خالد» ناظرًا إلى الداخل فابتسمت الجدة قائلة:

-ماتخافش يا «خالد» ماشكلوش راجع قريب.

-طيب أنا جيت بس أطمن عليكي، وكنت عايز أفتح معاكي موضوع.

-خير يا حبيبي؟

-عايز أتجوز.

-أفندم!

-إيه يا جدتي، إتخضيتي كده ليه؟ بقولك عايز أتجوز.

-وأنا إيه إللي هايخضني يا بني؟ أنا بس نسيت إنك كبرت.

قالتها الجدة كاذبة لتتابع سؤالها:

-ومين يا ترى العروسه اللي عملت فيك كده؟

-عملت فيا إيه؟

-ما انت أصلك مش شايف نفسك.

ابتسم «خالد» خجلًا، وإن كان لا يزال مترددًا، فلم يكن يعلم ما إذا كان تدخل جدته سيرفع عنه هذا الحرج الذي يشعر به، أم أنه سيزيد من توتره.

-معلش، قريب هاحكيلك، دلوقتي أنا هامشي قبل ما «طاهر» يجي وهاجيلك تاني عشان أشرحلك كل حاجه.

قالها ووقف، ليقبل رأسها قائلًا:

-إدعيلي يا جدتي.

-ربنا يهديك يا بني.

غادر متسللًا بخطواته الخفية إلى الطابق العلوي الذي تسكنه «فريدة» وَيعلم ـ جيدًا ـ أن غرفتها لها هذا الباب المؤدي للبسطة حال غرفته، وَيترك في شراعة بابها هذه اللوحة بهدوء، قبل أن يُفتح الباب الذي خلفه، فَيلتف «خالد» مفزوعًا ليجد «صالح» والد «فريدة» يقف أمامه مندهشًا، فَيتسمر «خالد» في مكانه، فلقد مرت محاولتاه الاثنتان من قبل في سلام.

-«طاهر»؟!

قالها «صالح» باندهاش ليتصبب «خالد» عرقًا.

-مالك يابني إيه اللي مطلعك؟ أنا كنت نازل أصلي.

ابتسم «خالد» للرجل ليقول:

-سلامو عليكوا يا حاج، أنا قلت أفوت على حضرتك، نروح نصلي سوا، أهو ناخد ثواب الجماعه.

-فيك الخير يا بني.

قالها «صالح» وأغلق الباب، قبل أن يتنبَّه لحديث «خالد»، فيردده:

-تاخد ثواب الجماعه! ليه يا بني هو مفيش حد غيرنا نزل يصلي النهارده ولّا إيه؟

قالها ضاحكًا، ليثقل على «خالد» الذي ارتاح نسبيًّا من الموقف وإن ظل مهمومًا، فلم أدخله مسجدًا منذ سنين، لأزيد أنا من همه مع كل خطوة، موسوسًا إليه برفض الخالق له، الذي لن يتقبل كذبه ونفاقه، وَصل «خالد» إلى المسجد مع «صالح» ليتركاني أنتظرهما بالخارج غاضبًا لأزيد من حديثي إلى نفسه، فانتصرت على ضعفه أخيرًا، فلم يَكن «خالد» متيقنًا من طهارته ليهرب إليَّ سريعًا، لكي يرسل تلك الرسالة المعتادة من هذا الخط المجهول، لتفتح معشوقته الباب قبل غيرها، وقد كان، فلقد فتحت «فريدة» الباب في لهفة للوحتها الجديدة التي أرسلها لها هذا العاشق الذي كانت تجهله.

-وريني كده يا بت.

قالتها أختها «أشجان» خاطفةً اللوحة من يدها ـ قائلةً ـ:

-يا صايع يا قليل الأدب، ده مقلعك الطرحه وملبسك لبس زباله.

-أنا كنت حاسه إنه هايطلع شمال.

-شمال إيه بس يا هبله؟

-ده عاشق ولهان إسأليني أنا.

أخذت «فريدة» اللوحة من يد أختها في سعادة وهي تقول:

-فكرك كده؟

-طبعًا، انتي عارفة «راغب» كان بيعمل معايا إيه وإحنا في الجامعه؟

-إيه؟

قالتها «فريدة» وهي تجلس مربعة رجليها على السرير محتضنة اللوحة.

-كان بيجي يمسك الجيتار ويعد يعزفلي ويغنيلي قدام الجامعه كلها.

سمعت «فريدة» صوت فتح باب الشقة ووصول والدها، لتسرع بإمساك اللوحة والاتجاه إلى خزانتها لتخرج درجًا كان موجودًا بالأسفل لتضع اللوحة في مكانها السري أسفله بجانب لوحتين أخريين، رسمهما لها «خالد» وإن كانت هذه هي الأجرأ حتى الآن!

-يا بت بلاش يبقى قلبك خفيف كده.

قالتها «أشجان» التي كانت أجرأ من أختها.

-معلش يا «أشجان» أنا قلبي مش ميت زيك، المهم كمليلي بقى.

-كنت بقولك طمني نفسك، وحاولي تعرفي مين بس اللي بيرسمك، وصدقيني العيال الفنانين دول بيبقوا مرهفين، رومانسيين، مش حيوانات زي بقيت الرجاله.

قالتها كاذبة لتضحكني، فهي تعلم جيدًا لمَ تجلس اليوم في منزل والدها، فلم يكن «راغب» قد عاد من الحفلة بعد، بل غادرها مع هذه الشقراء كعادته في الفترة الأخيرة، لنذهب ثلاثتنا إلى منزلها بـ«مدينة نصر» التي سكنتها «عشق» منذ طلاقها بعدما نفر منها أهلها لعدمِ قبولهم هذا الطلاق، الذي ظنوه افتراءً، جاهلين حقيقة هذا الزوج الذي لا يستطيع إعطاءها أكثر من بضع قبلات من حين لآخر، خافيًا حقيقته عن الجميع، لتسترد «عشق» حقها الشرعي الذي افتقدته بكل الطرق غير الشرعية التي تمكنها من الوصول لهذه النشوة، ليصبح ضحيتها في هذه الفترة «راغب» هذا الفنان الصاخب الذي غازل عقلها منذ رؤيتها عند صديقتها المقربة التي يجهلها «راغب» والذي لم يمانع أبدًا مثل هذه النوعية من العلاقات التي يستطيع بها تحقيق ما فشل في تحقيقه بفنه، تحقيق الذات وإرضاء الغرور الذي استطاعت «عشق» إرضاءه بين فخذيها، ليستقبل رحمها يوميًّا عصارة نشوة «راغب» الضعيف، لأظل أنا أتراقص حولهما وهما يتناغمان بهذه الطريقة الحيوانية التي لا

تحمل إلا المتعة، ليدمن بعضهما البعض بعدما أعطيت لكل منهما مفتاح الآخر، فلهذا جئت إلى هذه الدنيا، لصنع الجنة لأتباعي الغاوين، لأزيدهما هذا الطفل الجديد الذي بدأ يتكون في أحشائها وهي ما تزال مشيرةً بقدميها للسماء، مستقبلة هذا الحيوان المنتصر.

***

في هذا الوقت المتأخر من الليل، مرت هي بجانب الحارس كالطيف، لتعبر إلى داخل هذه الردهة المظلمة بسهولة وخفة، متحركة كالنسيم الذي ينتشر في المكان فيشعر به الجميع دون أن يستطيعوا الإمساك به، فقد كانت خطواتها خفية وهي تتحرك بحرص بالغ، مستغلة ضعف بصيرة الجميع، لتعبر غرفة تلو الأخرى، دون أن يصحو النوّام والحراس الذين جهلوا وجودها، إلا «خالد» الذي بدأت عيناه النائمة في الاستيقاظ، وإن كنت أحاول إسقاط جفونه عن تلك اللحظة التي استنشق عبيرها، ليبتسم «خالد» النائم، وتعبر الأم من جانب غرفته دون علم بوجوده، وتصل سريعًا إلى غايتها، غرفة ابنتها «ملك» الواقعة في آخر الرواق، لتفتح الباب بحرص شديد، لتفاجأ بصحو ابنتها، التي كانت ساهرة تتسامر مع صديقتيها «مارينا» و«فبرونيا» اللتين صُعقتا من مشهد دخول الأم في هذا الوقت من الليل رغم تشديد الحراسة على المكان، لتتسمر «مارينا» وتبتسم أختها إلى الأم التي لم ترَ إلا ابنتها فارتمت في حضنها، وأمسكت الأم بفم ابنتها، قبل أن تصرخ فرحًا، بينما اقتربت «فبرونيا» بسذاجة لتلمس يدَ الأم لتتأكد من وجودها، فتبتسم الأم، التي اضطرت إلى الكشف عن نفسها أمامهما، ليظللن يتسامرن لفترة طويلة من الوقت.

-حضرتك دخلتي هنا إزاى؟

قالتها «مارينا» مشككة فيما يحدث، وتجيب الأم وهي ترفع كارتًا ذكيًّا كان بحوزتها لتقول في فخر:

-إسألي الحارس.

ابتسمت «فبرونيا» وقالت:

-يعني انتي ممكن تخرجينا من هنا؟

ضحكت الأم مندهشة.

-طبعًا يا حبيبتي، إنتوا تقدروا تطلعوا معايا من هنا.

-لا يا «فبرونيا» إحنا هانستنى ماما تجيلنا.

قالتها «مارينا» في حزم، لتقول الأم:

-براحتكم.

-ماما، ماما أقولك سر؟

قالتها «ملك» لتلفت انتباه الأم في غيرة.

-أنكل «خالد» هنا معايا.

قالتها «ملك» في براءة، ليتغير وجه الأم إلى ألم ممزوج ببهجة غريبة، ثم تشرد الأم طويلا، متذكرة «سر الثالوث الأوحد».

***

كانت «نور» نائمة في إحدى غرف المرضى، بالتحديد الغرفة المجاورة لمكتبها في نفس الطابق، ولكنها لم تجد في النوم راحة بمثل هذا الطابق الذي يفتقر إلى الخصوصية، لتظل تصارع النوم الذي تحاول أن تسرقه، قبل أن تشعر بي، قبل أن تشم رائحتي، وتسمع همسي، لتستيقظ «نور» التي كانت نائمة بمعطفها الأبيض، لتجد هذه السيدة العجوز تفر من داخل غرفتها إلى الخارج، فتفتح الأضواء وهي خائفة من شري، وَتترك السرير بقدميها الحافيتين، لتتقدم ببطء وهي تشعر بحركة قلبها ودقاته المذعورة، لتتابع الخطى هاربةً إلى الخارج، إلى ممر الطابق الثالث، لتلامس نظرات «نور» هذه السيدة العجوز، السائرة ببطء أمامها عائدة أدراجها، لتتبعها «نور» ببطء شديد محاولة طرد خوفها، لتتفقد بنظرها الحارس النائم قبل أن تسترجع نظرتها للسيدة التي اختفت عن أنظارها، لتسرع «نور» بخطواتها إلى هذا الباب المفتوح لتلك الغرفة المضيئة في الظلام، لتناديها إضاءتها، فتخترق حرمة الغرفة في فضول، لتجد العجوز «حنين» تقف أمام السرير

تتحدث إلى السراب النائم عليه.

-مش هاتصحوا بقى يا حبايبي؟

ظلت «نورٍ» تنظر إلى السرير الخالي ثم إلى السيدة في عطف، لتقترب أكثر ممسكةً بيديها لتلتفت إليها العجوز فجأة، فتفزع، وهي تراقب تشنج المرأة التي صرخت بصوت مهيب أقلق كل من في الطابق الثالث ومنهم هذا الحارس الذي استيقظ وحاول الدخول، ليدرك افتقاده لكارته الذكي الذي يمكنه من العبور لعالم الطابق الثالث، فيزداد توتره وهو يطرق على الباب، لتتنبَّه الأم التي كانت لا تزال مع ابنتها في غرفة «ملك» فتودعها بعناق حار قبل أن تفتح «مارينا» الباب لتستكشف ما يجري، ويتقدم الجميع إلى غرفة القادمة الجديدة، بينما اختلست الأم خطواتها إلى «خالد» الذي لم يوقظه الصراخ، لتستغل الأم استلقاءه على السرير لتقترب إلى وجهه وهي تبكي، قبل أن تضمه إلى صدرها بحنان وحب أزعجني، لأثقل من وزن عينيه لترفضا الاستيقاظ، بينما ظلت الأم تحتضن «خالدًا» طابعة قبلة على جبينه أعجزتني عن عملي، لأصاب بالشلل للحظات جف فيها عرق «خالد» الذي استيقظ مفتوح الأعين كالعائد من رحلة الموت، ليجلس مفزوعًا في الظلام، قبل أن يلاحظ هروبها من المكان، ليضيء الأنوار متوجسًا خيفة، وإن دفعه الفضول للإسراع إليها، ليخرج من الغرفة باحثًا عما يجهل، ليجدها تهرول في الردهة الطويلة، في اللحظة التي فتح فيها الحارس الباب مستخدمًا مفتاح زميله، ويدخلان كلاهما غرفة «حنين» الوافدة الجديدة، غير متنبِّهين لهذا الملاك المسرع، لتخرج الأم في سلام مغلقة هذا الباب ذا الشراعة الزجاجية خلفها، والذي وصل «خالد» إليه أخيرًا مهرولًا، ليتوقف أمام انعكاس صورتها في الزجاج عاجزًا عن الفهم، ليمد يده ملامسًا زجاج الباب، يحاول إدراكها ناظرًا إلى المفتاح الذكي الواقع أرضا بالخارج، عاجزًا عن العبور، قبل أن تختفي هذه الأم الحنون، ليشعر بلمسة ابنتها «ملك» التي أمسكت بيده، ليبتسم، ملتفتًا إليها مستسلمًا لبراءتها، ليتحركا سويًّا بضع خطوات فيدفعهما الفضول إلى داخل غرفة تلك السيدة العجوز «حنين» التي جاوزت عامها الستين بسلام، بملامحها الطفولية، فقد كانت بيضاء البشرة والشعر الذي ربطته كذيل الحصان توغلته بعض الخصلات السوداء القليلة، ليعطي شعرها

انعكاسًا رماديًا. كانت رقيقة الملامح، سماوية العينين، نحيفة الجسد، وإن كان لا يزال يحافظ على صورة الأنثى ذات هذا القلب المرهف، ليظل «خالد» و»ملك» والجميع يراقبون ما تدعي هذه العجوز في هذا الوقت المتأخر من الليل.

***

«التاريخ في الوقت الحاضر ١٢ أكتوبر الساعة ١ صباحًا»

(٢٠)

-يعني إيه اتمسكوا؟ هو إحنا اللي بنراقب الحكومة ولّا الحكومة اللي بتراقبنا؟

قالها «دياب» غاضبًا إلى أحد أتباعه الذي حمل له خبر إيقاع الداخلية بـ»وحيد» و»عاصي»، ولقد كانا يقفان في ساحة واسعة ومن خلفهما بعض المخيمات المنيرة، أعلى هذا الجبل الذي يكشف صحراء «سيناء» الغامضة.

-يا كبير مش إحنا بس اللي لينا عيون في الداخليه، أكيد الحكومه ليها عيون بينا.

-يعني إيه عيون عندنا، انت اتجننت؟

قالها «دياب» وهو يقف عند حافة الساحة بتحدٍّ.

-اللي بيوشي عنا، بيوشي تحت ضغط.

***

-إتكلم يا كلب.

قالها المقدم «سيف» وهو يصفع «وحيد» المعلق من يديه إلى السقف في تلك الغرفة المظلمة التي وقف فيها شبه عارٍ يحاول الوصول إلى الأرض بأطراف أصابعه ليقلل حمل جسده من ذراعيهٍ اللتين كادتا تنفصلان عن جسده الضعيف، ليبكي «وحيد» من هول الألم والذل، ويتابع المقدم «سيف» إذلاله بإجباره على تقبيل هذا السِوط الجلدي ثم يواصل الاحتفال معي على كرامة هذا الرجل المنكسر، لأعُدَّ له الضربات، ثم أتناسى العدد، فيبدأ العد من جديد ليعيد إمتاعي بضرب الرجل.

-تعرف تعد لغاية كام يا روح أمك؟

-كفايههههه.

-لأ مش كفايه، أنا مش هاوقف غير لما ربك يريد، مش انت بتاع ربنا؟ خلاص

خليه يشلني عشان أقف.

قالها المقدم «سيف» وتابع ضربه حتى كاد «وحيد» يفقد وعيه، ليصرخ «وحيد»، قبل أن أصل في العد للعشرين.

-هاتكلم، والله هاتكلم.

-جميل، شايف بدأنا نتفاهم إزاي، عشان ربنا مش هاينفعك هنا، بس أنا بقى هانفعك.

قلتها على لسان المقدم «سيف» الذي توقف واقترب من رأس «وحيد» المعلق ليتابع:

-لما تاكل وتشرب هانفعك، لما تنزل من الربطه دي هانفعك، قولي ياض، مين سيدك؟

بكى «وحيد» ذلًا، ليبتعد المقدم «سيف» خطوة رافعًا يده بالسوط، ليصرخ «وحيد» راضخًا.

-إنت.

-أنا إيه ياض؟

-انت سيدي، انت سيدي.

قالها هذا المنكسر، الذي أحرجني ضعفه، لأنصرف أنا تاركًا عملي لَهذا الوحش الذي أكمل:

-مش بقولك بدأنا نتفاهم، انت تقولي كفايه يا سيدي، أنا أوقف علطول، شفت التفاهم جميل إزاي، دلوقتي بقى يا روح أمك، مين اللي كان ورا حادثة الأتوبيس؟

-«طاااهر»، والله «طاهر».

ابتسم المقدم «سيف» منتصرًا.

-مين بقى يا سيدي «طاهر» ده؟

***

خرجا سويًّا من الجامع المجاور لعقار الجدة، ليتوقفافي الشارع أمام المتاجر، وَيبدأ الشيخ «وحيد» في بث عقيدته السامة، فاستند إلى سيارته، ليقف «طاهر» أمامه في تبعية غريبة. أخرج «وحيد» من جيبه حلوى وأعطى منها لتابعه الجديد.

-والله يا «طاهر» أنا كان رأيي فيك زي رأي الرسول الكريم في «عمر بن الخطاب».

ابتسم «طاهر» مندهشًا!

-«عمر بن الخطاب» مره واحده! إشمعنى يا شيخنا؟

-عشان النبي كان بيقول عليه «قوي في الحق زي ما كان قوي في الباطل» عشان كده بقى «الفاروق»، بيفرق بين الحق والباطل، لما ربنا هداه للإسلام.

في سعادة تجاوب «طاهر» قائلًا:

-أنا مش عارف انت كنت شايفني كده إزاي يا شيخ «وحيد»!

-والله يا «طاهر» أنا كنت بشوفك وانت بتصلي وتجري بسرعه، وكنت مستغربك، وقلت الراجل ده جواه كويس بس محتاج حاجه.

-والله يا شيخ «وحيد»، أنا طول عمري محافظ على الفروض، من ساعة ما أمي وابويا اتوفوا، وأنا معنديش غير ربنا ألجأ لو، بس ملقتش حد ياخد بإيدي، جدتي ست كبيرة، وأخويا زي ما انت عارف، مايعرفش ربنا خالص.

ابتسم الشيخ «وحيد» قائلًا:

-حقيقي، الصراحه «خالد» ده صعب جدًّا، لو كنت لقيت فيه أمل، كنت حاولت آخد بإيده.

قاطعه «طاهر» حاسمًا:

-ماتتعبش نفسك، أخويا ده أنا كاتبه بإديا دي، ورغم كده عمري ما قدرت

أقنعه حتى يصلي فرض.

-سبحان الله.. رغم الشبه اللي بينكم ده، له في ذلك حكم! حقيقي يا «طاهر» أنا سعيد بيك، وحاسس إن ربنا سبحانه وتعالى، بعتنا ليك، أو يمكن بعتك انت لينا.

لم يصدق «طاهر» أذنيه! ليقول في امتنان:

-العفو يا شيخ «وحيد»، أنا بجد اللي حاسس إن ربنا بيحبني عشان بعت ناس طيبين زيكم، أنا دايمًا بحلم يكون عندي سند وعيله، حسنة الخلق والطباع، أنا بجد ندمان على كل العمر اللي ضاع هدر.

التفت «وحيد» إليه ونظر في عينه وقال:

-حسن الخلق ده يا «طاهر» أهم حاجه في الإسلام، النبي عليه الصلاة والسلام...

-عليه الصلاة والسلام.

-كان متسمي الصادق الأمين من قبل ما «الوحي» ينزل عليه.

ابتسم «وحيد» وتابع بهدوء:

-وكان يتيم زيك يا «طاهر».

دمعت عينا «طاهر» الذي سأل:

-طيب ليه يا شيخ «وحيد» أخلاق المسلمين مش زي نبينا؟ السؤال ده ضيع كتير من عمري كتير.

-ما شاء الله عليك يا «طاهر» بسم الله ما شاء الله، هو ده اللي أنا مستنيه منك، أهم حاجه في المسلم إنه يسأل.

قالها الشيخ «وحيد» وهو يلقي ورقة الحلوى أرضًا في الطريق.

-عشان هويتنا اطمست، دخل بينا كتير من السفهاء.

سكت «وحيد» وهو يشير من بعيد إلى متجر للخمور فتح في الشارع مؤخرًا.

-إزاي أخلاقنا تتحسن وفي بينا ناس من ملة تانيه مستعده تعمل أي حاجه عشان تغوينا وتنسينا دينا؟

نظر «طاهر» باشمئزاز إلى متجر الخمور، وقد شعر فجأة بعدائية له ولصاحبه، لأشعر بسعادة بالغة بوجودي في هذا الحوار الشيق.

-بس أنا عمري ما فكرت فيهم بالطريقه دي، وكنت فاهم إن النبي عليه الصلاة والسلام...

-عليه الصلاة والسلام.

-كان بيحسن معاملتهم.

-وهو إحنا فين من سيدنا النبي يا «طاهر»؟ وبعدين يا صاحبي أيام الرسول دول كانوا بيدفعوا الجزيه، وكانت أحكامنا بتسير عليهم، كانوا تابعين، كان ممكن حد يجرؤ يفتح محل خمور أو...

سكت وهلة ثم تابع:

-يبني كنيسه يا «طاهر»؟ أستغفر الله العظيم، والله إحنا هانتحاسب على تفريطنا في دين الله عز وجل.

استغل الشيخ «وحيد» دخول أحد المارين محل الخمور، ليتابع قائلًا:

-شايف، شايف شبابنا بقى عامل إزاي! أستغفر الله، أستغفر الله، أستغفر الله.

تدافعت الدماء في عروق «طاهر»، قبل أن يتحرك مسرعًا بعدائية ناحية هذا الرجل بالمتجر، ليوقفه «وحيد» قائلًا:

-هاتعمل إيه يا مجنون؟!

-هاعرفه الحق.

ابتسم «وحيد» وابتسمت له وقال:

-مش دلوقتي، مش كلب زي ده اللي تضيع عشانه.

كان «طاهر» أقوى من الشيخ «وحيد»، ولكنه توقف احترامًا لقائده وقال:

-أمال إمتى يا شيخ «وحيد» إمتى؟

تركه «وحيد» وقال:

-قريب، قريب أوي، بس لازم الأول تفهم دينك كويس.

نظر «طاهر» إلى الشيخ «وحيد» وقال:

-طيب ما أنا مواظب معاك على الدروس بقالي كتير أهو يا شيخ «وحيد».

-إن العجله من الشيطان يا أخ «طاهر»، ماتستعجلش، ماتستعجلش.

قالها «وحيد» وربت على كتف تابعه القوي، قبل أن تأتي سيارة أجرة مسرعة لتلطخ ملابسه بمياه راكدة كانت في وسط الطريق، فيتعصب الشيخ «وحيد»:

-يا حيوان يا بن الجزمه.

***

-ساكن فين «طاهر» ده وإسمه إيه بالكامل؟

قالها المقدم «سيف» لـ«وحيد» الذي أنهكه الإعياء تمامًا، ليمسك المقدم «سيف» بالسوط قبل أن يقطع هذا الاحتفال رسول جاءه من عند اللواء «فاروق» الذي علم بتدخل المقدم «سيف» في التحقيقات قبل أن يأمره بذلك، ليتوقف عن إمتاعي، تاركًا دموع «وحيد» تختلط بدمائه، ويتحرك مجيبًا هذا الرسول الذي لازمه حتى وصل إلى قائده الذي بدا غاضبًا في غرفة الاجتماعات التي يتخذها مقرًا لإدارة أعماله.

-انت إزاي يا بني آدم تحقق مع «وحيد» من غير تعليمات مني؟

-يا فندم أنا بعرف أتعامل مع الأشكال دي كويس، وأسلوب حضرتك...

تعصب اللواء «فاروق» ووقف صارخًا:

-أسلوبي ماله يا سيادة المقدم؟ الأسلوب اللي مش عجبك ده بيدرس في الكتب.

توتر المقدم «سيف» من صراخ رئيسه وسكت تمامًا، وهو ينظر أرضًا، ليضيف اللواء «فاروق»:

-توقف كل كلامك مع العيال دي، وأوعى تطاول عليهم تاني أبدًا وتسيبهملي أنا.

اندهش ورفع نظره إلى رئيسه.

-عندك اعتراض يا سيادة المقدم؟

-لا يا فندم اللي تشوفه.

أرضى خضوع المقدم «سيف» غرور اللواء «فاروق» الذي أكمل:

-عايزك تكلم الرائد «عادل» عشان يرجع «القاهرة» وتخليه يجيب معاه دكتور «فهد» بنفسه.

-دكتور «فهد» مين؟

أثار جهل المقدم «سيف» حفيظة اللواء «فاروق».

-ما تفوق يا «سيف»، الدكتور «فهد الشرنوبي» اللي ماسك حالة البنت بتاعت الأتوبيس.

-آه مفهوم يا فندم، خير؟

-هانعلن قريب عن مكانها وعايز أتأكد بنفسي من صلاحيته للمسؤوليه دي.

-حاضر يا فندم.

قالها وقبل أن يغادر أضاف اللواء «فاروق» مؤكدًا:

-يا «سيف» تأكد على الرائد «عادل» إنه يلتزم بمسار السير بتاعنا.

***

-أنا مش شايل هم «عاصي»، ده راجل، ومستحيل يعرف منه معلومه، والأهم إنه مايعرفش حاجه أصلًا، أنا خوفي كله من «وحيد».

قالها «دياب» باستياء، ليتساءل الرجل الآخر:

-يا ترى يا كبير تقدر تصفيه وهو في إيديهم؟

التف «دياب» للرجل قائلًا:

-أنا أقدر أعمل كل حاجه، بس مش ده المهم دلوقتي، أنا لازم أرد على القلم ده وبقسوه.

قالها وسكت لحظة، قبل أن أضيف أنا على لسانه:

-الظابط اللي إسمه «عادل» فين دلوقتي؟

***

-أنا في الفندق في «دهب» يا «سيف» بيه.

قالها الرائد «عادل» مجيبًا المقدم «سيف» هاتفيًا.

-طيب يبقى زي ما قولتلك، تجيب دكتور «فهد» معاك الصبح وتنزل مصر.

-حاضر يا فندم، بس أنا لسه موصلتش لحاجه مهمه في موضوع «ملك».

-مش مهم يا «عادل» خلاص.

اندهش الرائد «عادل» مضيفًا:

-مش فاهم يا فندم، هو في حاجه أنا معرفهاش؟

-لما تيجي هاتفهم كل حاجه.

-تعليمات سيادتك يا فندم.

قالها الرائد «عادل» وظل ساكنًا ينظر إلى الخليج من خلال نافذة غرفته، ثم نظر إلى ساعة هاتفه المشيرة للثالثة والنصف فجرًا، ليتخذ قراره ويخرج رقم الدكتور «فهد» متصلًا به، ليجيبه من داخل غرفة والده التي رجع إليها ليشرب كل ما لذ وطاب من كحوليات فرنسية فاخرة.

-ألو.. صباح الخير يا «عادل» بيه.

قالها الدكتور «فهد» وهو ينظر إلى ساعة يده في تعجب.

-أنا آسف جدًا أني بكلم حضرتك في الوقت ده بس حقيقي الموضوع مهم.

لم يتوقع الدكتور «فهد» أن يكون مطلوبًا في القاهرة في هذا الجهاز الحساس، ليبتلع ريقه ويضيف مطيعًا:

-حاضر يا «عادل» بيه، أنا تحت أمر سيادة اللوا.

***

خرج «دياب» من خيمته وحيدًا ليقوم بهذه المكالمة التي كان يدخرها للأهمية، ليرد عليه هذا الرجل الذي كان يحاول نسيانه في توتر وليبدأ «دياب» الضغط عليه ليدله على المعلومات التي يبتغيها، وإن كان الرجل بخيلًا في معلوماته -كما توقع «دياب»- لا يرغب في مشاركته إياها، ليضطر إلى ابتزاز الرجل بما يمتلكه من معلوماتٍ تزج به في السجن لفترات طويلة، ليرضخ هذا الرجل مستسلمًا دالًا إياه على على المعلومات التي يبتغيها، خوفًا منه لا إيمانًا بقضيته، فلقد كان يعلم عنه الكثير؛ مما اضطر الرجل لتنفيذ طلباته مُمررًا له بعضًا من معلوماته، رغمًا عنه، قبل أن يبدأ «دياب» توريطه أكثر فأكثر، ليفقد الرجل رفاهية الكتمان.

***

«التاريخ في الوقت الحاضر ١٢ أكتوبر الساعة ٢ صباحًا»

(٢١)

أنهى الدكتور «فهد» المكالمة التي أزالت مفعول كل ما شربه في الساعات الماضية، ليخرج من غرفته في حالة من عدم الاتزان، فقابله «نبيل» الذي كان ينتظره ليطلب منه ما دفعته زوجته لطلبه.

-«فهد» بيه.. على فين يا دكتور؟

-سيبني والنبي يا «نبيل» دلوقتي.

قالها الدكتور «فهد» مترنحًا، ليتابع «نبيل»:

-هاسيبك يا دكتور، بس معلش أنا كنت بفكر حضرتك بالسلفية اللي كنت طلبتها منك.

-يا «نبيل» بقولك سيبني.....سيبني انت مابتفهمش يا أخي؟

صرخ الدكتور «فهد» جارحًا كرامة «نبيل» الذي دمعت عيناه، بينما تابع طريقه إلى الدرج نزولًا عائدًا إلى منزله، ولكنه بعدما وصل إلى الطابق الثالث، انتبه لعدم وجود الحراس، فترك لنظره العنان، ليجد كارت الحارس الذكي الواقع أرضًا، وشعر بشيء مريب، فجثا على ركبتيه ليمسك بالكارت، ثم تقدم خطوتين ليقف أمام زجاج الباب ليرى من خلفه الجلبة التي أحدثتها «حنين»، فدخل الدكتور «فهد» مستخدمًا مفتاح الحارس.

خطوات قليلة إلى اليسار بلغت بالدكتور «فهد» أمام غرفة العجوز «حنين» ليلفت انتباهه «خالد» الممسك بيد «ملك» فيتذكر الدكتور «فهد» تعليق «نور» عن هذه العلاقة الغامضة، بينما ينسحب «خالد» عن رؤيته للدكتور «فهد» ومعه «ملك» التي غادرت إلى الردهة لتسأل «خالدًا»:

-انت كنت شايف ولادها؟

ابتسم «خالد» متسائلًا بدهاء:

-أني ولاد بالظبط؟

-اللي كانوا نايمين على السرير.

قالتها «ملك» ببراءة، ليبتسم «خالد» الذي أعلمته أنا الكثير، قبل أن يعود كل منهما إلى غرفته بعدما حيا سويًا الأختين الواقفتين في آخر الممر، في حين ظل الدكتور «فهد» يتابع حالة «حنين» التي كانت تصرخ:

-إنتوا إيه إللي دخلكوا بيتي؟

قالتها السيدة العجوز لـ«نور» والدكتور «فهد» اللذين كانا واقفين بجانب العجوز أمام الحارسين.

-أنا آسف يا فندم معلش.

قالها الدكتور «فهد» وهو يوجه المرأة للجلوس على السرير، لترفض «حنين» قائلة:

-حاسب الولاد نايمين.

تقبل الدكتور «فهد» كلامها وقال في هدوء:

-يا حبيبتي هما خلاص راحوا أوضتهم.

أمسك الدكتور «فهد» بيديها المرهقة بيساره، بينما أخرج بيمينه من جيب الجاكيت بعض الحبوب المهدئة.

-ممكن بس يا ماما تاخدي الدوا بتاعك؟

ابتسمت «حنين» مطيعة الدكتور «فهد» في استسلام لكلمة «ماما».

-ماما!!

قالتها «حنين» التي ابتلعت الدواء، وناولتها «نور» رشفة من الماء الموضوع بجانب سريرها، لتذهب «حنين» إلى أهلها بصورة مؤقتة، متذكرة ما حل بزواجها الأول في ثمانينيات القرن الماضي.

***

كانت «حنين» جميلة في شبابها، شقراء الشعر، زرقاء العينين، كالفرنسيات، رقيقة ورشيقة، ولقد حسدها الجميع على زواجها السعيد، حيث استطاعت الزواج قبل أن تكمل عامها العشرين من هذا الشاب الراقي الذي أحبها لسنوات عديدة أمام أعين الجميع، زائدًا من غيرة صديقاتها وأقاربها، ليستمر هذا الزواج الناجح لسنوات عديدة من الإخلاص والمحبة، شبه الكاملة، فلقد كانا متوافقين في كل جوانب الحياة المادية والنفسية والاجتماعية وحتى الجنسية، لتشعر «حنين» بالجنة أسفل قدميها، وإن لم يكن هذا كافيًا لأهلها الذين كانوا ينتظرون ولي العهد، لتخضع «حنين» وزوجها كل فترة لفحوصات تلو الأخرى، ليؤكد طبيب تلو الآخر نفس الواقع، فكلاهما سليم وصحيح وإن رفض خالقهما الإنعام عليهما بنعمة جديدة، لغرض لا يعلمه إلا هو، وإن لم يتقبل والدا «حنين» نعم الله على ابنتهما وظلا يبحثان عن الأطفال جاهلين لمَ منع عنهما الخالق تلك النعمة ؟! ليحسم والداها الأمر أخيرًا.

-يعني إيه يا «حنين»؟

قالها زوجها متسائلًا.

-أنا مش عايز في الدنيا دي غيرك، مش عايز ولاد، لو ربنا ما أرادش، ربنا ما بيتعاندش يا «حنين»، ربنا إدانا كل حاجه في الدنيا، ربنا جمعنا لبعض دون الناس كلها.

لم تستطع «حنين « الرد، لتبدأ الدموع في خيانتها، ليكمل زوجها:

-عارفه يعني إيه أبقى معاكي يا «حنين»، عارفة يعني إيه أبقى في حضنك، عارفه يعني إيه أبقى في قلبك يا «حنين»؟

جاوبت «حنين» بما لقنتها أمها وحفظتها إياه:

-بس انت راجل، يعني ممكن تخلف في أي وقت، ممكن بعد ما أنا أكبر تتجوز عليا عشان تخلف، وساعتها هاكبر وأعجز وهاعيش لوحدي، وممكن كمان أموت لوحدي في مستشفى أو مصحه من غير سند ولا عزوه.

قالتها وهي تبكي لتزيد من همه فهي ملكة قلبه الضعيف، فينهار هو أمام

دموعها ملبيًا طلبها الوحيد، الذي لم تطلب سواه، فلقد كان دائمًا يجلب لها أحلامها قبل حتى أن تحلم هي بها. لحظات من الصمت سادت المكان قبل أن يطلق سراحها.

-انتي طالق يا «حنين».

قالها وهو يبكي ـ رافضًا ـ شيئًا وحيدًا.

-بس صدقيني يا «حنين» مش هاتموتي لوحدك أبدًا، أبدًا يا «حنين».

***

حاول «خالد» النوم في غرفته التي كنت أسكنها أنا، ليشعر بتوارد الخواطر الذي قارب بين كل هذه الأحداث، فقد كان يرى «طاهرًا» في هذا المكان المطل على النيل أمام «نشوى» التي حاولت إتمام خطتها بإيقاعه وإن كانت تشعر بمقاومته بعض الشيء.

-مالك يا «طاهر»؟

لم ينتبه «طاهر» لحديثها، لتتابع هي:

-يا «طاهر»!

-هه؟ معلش أنا آسف يا «نشوى».

كان «طاهر» ممسكًا بميداليته يحاول فكها مرارًا دون فائدة في توتر شديد.

-مشغول في إيه؟

قالتها وهي تقترب منه، ليتوتر «طاهر» ويبتعد.

-انت لسه بتتكسف مني يا «طاهر»؟

-أتكسف؟!

أُحرجت «نشوى» التي بدأت تشعر بخسارتها لجولة في معركتها، لتحاول رفع الحرج عن نفسها قائلة:

-مش إحنا دلوقتي بقينا عيله واحده يا «طاهر»؟ انت خلاص بقيت مننا،

يعني لازم تعرف إننا أقربلك من أي حد.

-أكيد طبعًا يا «نشوى» الحمد لله.

-طيب مش هاتقولي مالك بقى؟

-حقيقي مش عارف يا «نشوى»، حقيقي بجد مش عارف.

قالها وشرد مع النيل قبل أن يكمل:

-حاسس إن فيه حاجه غلط، من زمان وأنا سايب كل حاجه على ربنا، بنجح في سنه أولى عشان أخش سنه تانيه.

-طيب ودلوقتي؟

-مش عارف!

شاردًا أكمل «طاهر»، لتكمل «نشوى» ضغوطها:

-خلاص خلينا إحنا نفكرلك، مفيش أسهل من طريق ربنا يا «طاهر».

سكتت لحظة لتنظر في داخله ثم تابعت:

-لازم تبعد عن أصحاب السوء، وتركز في اختيار الناس اللي حواليك...وشريكك في طريقك.

قالتها بدلال لم يتفاعل معه «طاهر» الذي غادر تاركًا إياها غاضبةً، فلقد باعت هي دون شار، لأغذي أنا غضبها في الساعات المقبلة.

تحرك (هو) مستقلًا سيارته، التي قادها بغضب حتى وصل بها إلى ضالته بـ«ميدان الإسماعيلية»، ليصف السيارة ويقف لحظة، يلهو بميداليته ليفك قطعتيها مرارًا وتكرارًا، و(هو) بالسيارة يداعب عقله في خطوته القادمة فلم يكن (هو) يشعر بالرضا، ليظلَ شاردًا لوقت طويل حتى ظهرت «فريدة» خارجة من العقار تنظر إلى يمينها ويسارها تبحث عن شيء ما.

كان «خالد» واقفًا هناك وقد قرر تعقب حبيبته ليقترب منها شيئًا فشيئًا، فلم يكن جريئًا حال «طاهر». لحظات توقفت فيها «فريدة» تنتظر صديقتها التي

ظهرت أخيرًا في سيارتها المرسيدس الحمراء التي حصلت عليها من زيجتها الفاشلة، لتصف «عشق» سيارتها عند «فريدة» وتحييها بابتسامة قبل أن تركب إلى جوار صديقتها الشقراء التي تحركت بسيارتها ببطء مكّن «خالدًا» من تعقبهما بسيارته قبل أن يرن جرس هاتفه الخلوي.

-أيوه يا «حبيب».

-انت فين يا زفت؟

-أنا اللي زفت؟ أنا ماشي على شورتك الهباب دي.

-ماتقولش!

قالها «حبيب» مندهشًا، ليجيب «خالد» مؤكدًا:

-أديني ماشي ورا «فريدة» أهو لما أشوف كلامك هايودينا على فين.

-أيوه بقى، العبي يا ألعاب.

قالها «حبيب» ساخرًا قبل أن يقاطعه «خالد» متوترًا من قيادة «عشق» التي كادت تغيب عن ناظره.

-بقولك إيه يا «حبيب» اقفل بقى لاحسن البت اللي سايقه شكلها مجنونه وهايضيعوا مني.

-هي كمان فيها بنات؟ أموت أنا واعيد السنه، بقولك إيه، أنا عارفك سواق حمار، لو تاهوا منك أنا هاحفل عليك للصبح.

-إقفل بقى يا بني آدم، سلام سلام.

-سلام إيه يا بني مش قافل.

-سلام سلاااام.

أغلق «خالد» الخط ليعاود «حبيب» الاتصال به مشاكسًا كعادته، ليغلق «خالد» الهاتف ويقود بسذاجة كمن يتعلم القيادة لتوه، ليحاول بصعوبة اللحاق بسيارة «عشق» التي كانت تقود بتهور وطيش، إلى أن وصلت أخيرًا

لهذا المركز الثقافي الواقع بالكوربة، لتصف سيارتها، ليترجلا من أمام «خالد» الذي ظل يبحث عن مكان خالٍ لصف سيارته، مستهلكًا الكثير والكثير من الوقت والوقود بدلًا من صفها صفًا ثانيًا؛ خوفًا من المساءلة أو التوبيخ.

ظن «خالد» أنه فقدهما، ولكنه كان خاطئًا، فلقد صف سيارته بعيدًا وترجل وصولًا لهذا المركز الذي دخله متوترًا، ليجد نفسه في مركز كبير للثقافة والفن، وقد كان يقيم معرضًا للفن التشكيلي، لينسى «خالد» ما جاء من أجله ويبدأ في ملاحقة شغفه، فلقد كان المكان أشبه بقصر فرنسي يبعث الفن في هوائه ليستنشقه «خالد» الذي صال وجال في المكان متناسيًا همه أمام لوحات العرايا التي علقها الفنانون على الحوائط، فقد كان المعرض مليئًا بأجساد الفتيات الحسناوات المرسومة بدقة أرهقت «خالد» وأعجبتني، حتى وجدهما أمام تلك اللوحة للفتاة الحائرة التي تقف عارية وسط الصحراء تنظر إلى القمر، غير مكترثة لما حولها من عاصفة رملية.

-عارفه يا «عشق» اللوحه دي شبهي أوي!

-هي باين فيها حاجه يا «فريدة»؟

ضحكت «فريدة» معقبة:

-يا بنتي حاولي تقري اللوحه.

-مش بفهم فرنساوي، ترجميلي.

-هه ماشي يا «عشق»، بصي.. شايفه التوهان ده والبرود اللي في نظرتها اللي مش مخليها مهتمه بأي حاجه، حتى إنه بدأ يخبي وشها ويشوه جسمها، وهي كل ذنبها إنها عايزه تبص للقمر.

-والله يا «فريدة» ممكن تكون عاوزه تشوف القمر بس أو نفسها توصله، وده فرق كبير جدًّا.

-إيه ده! ده انتي عميكه أوي يا أخت «عشق».

قالتها «فريدة» ساخرة.

-إمال انتي فاكره إيه؟ أنا كلي انبهارات، بقولك إيه.. كفايه تضييع وقت وتعالي نلحق الندوه اللي أنا جايباكي عشانها.

-ندوة إيه؟

-محاضره عن كتابة القصه اللي كان نفسك فيها.

طارت «فريدة» فرحًا لتعلق:

-بجد يا «عشق»؟ يا بنت الإيه وأنا أقول إيه المفاجأة اللي ممكن تكوني عملهالي.

-يا حبيبتي هو أنا عندي أغلى منك؟

كانت «فريدة» في غاية سعادتها قبل أن تتذكر والدها، لتتغير ملامحها المشرقة إلى غيوم وظلام.

-بس فكرك بابا لو عرف هايرضى؟

ابتسمت «عشق» في دهاء قائلة:

-ومين قال إنه هايعرف؟

ضحكت «فريدة» موافقة صديقتها.

-صح يا بنت الإيه، عارفه يا «عشق» مين اللي كان هايتبسط أوي لو كان جيه؟

قالتها «فريدة» التي بدأت تتبع خطواتها في طريقهما إلى الطابق الثاني ومن خلفهما «خالد».

-مين يا أختي، هو انتي ليك أصحاب غيري؟

-ليا طبعًا.

وقفت «عشق» لحظة لتصل إليها «فريدة» قائلة:

-أختي «أشجان» يا هبله.

قالتها وبدأت تتحرك بينما ظل اسم «أشجان» يتردد صداه في سماء «عشق» قبل أن تقوم «فريدة» بتدمير حصونها قائلة:

-و»راغب» جوزها كمان كان هايتبسط جدًا.

***

«التاريخ في الوقت الحاضر ١٢ أكتوبر الساعة ٩ صباحًا»

(٢٢)

وصل الرائد «عادل» في الصباح إلى المصحة، ولقد كان الجميع يعلم من هو ويهابه، بصرف النظر عن صغر سنه، ليفتح له حراس الأمن بابًا تلو الآخر، حتى استقبل المصعد ليصعد إلى الطابق الرابع، إلا أن الفضول جعله يضغط على زر الطابق الثالث، ليفتح هذا الباب الأوتوماتيكي، ليجد نفسه أمام هذا الباب الذي يغلق عالم الطابق الثالث، فنظر إلى حارس الأمن الذي رفع يده محييًا إياه.

-دكتور «فهد» فوق يا فندم.

-معلش بقى أنا هاستناه هنا، بلغه إني وصلت.

ظل الحارس ساكنًا، ليكرر الرائد «عادل»:

-افتح يابني.

-حاضر حاضر يا باشا.

قالها الحارس وفتح الباب، قبل أن يقوم باتصاله بـ«نبيل» ليبلغه بوصول الرائد «عادل» الذي دخل واتجه يسارًا بدلًا من انتظار الدكتور «فهد» في غرفة «نور» متجهًا إلى غرفة «ملك». خطوة تلو الأخرى وهو يشعر بدقات قلبه تزداد مع اقترابه من غرفته (هو)، قاتل أخيه، حتى وصل أخيرًا إلى الغرفة المنشودة، ليقف أمامها، ناظرًا للممر عن يمينه، قبل أن يمسك المقبض في تردد، فيتركه أخيرًا بعدما شعر بانقباض شديد، وإن كان (هو) قد شعر به من الداخل ليفتح الباب بقوة أفزعته ليتسمر أمامه فجأة، فيخترق (هو) عقل الرائد«عادل» الذي بدا له مألوفًا.

لحظات من الصمت كسرها الدكتور «فهد» الذي وصل إليهما مستاءً.

-«عادل» بيه!

أحرج الرائد «عادل» وقال:

-أهلًا يا دكتور «فهد» أنا بس كنت رايح أسلم على «ملك».

انزعج (هو) عند سماع اسم «ملك»، ليعود «خالد» إلى حاله، ويغلق الباب في وجههما، ليندهش الرائد «عادل» قائلًا:

-مين ده؟!

***

-مين ده؟

ظل القس «يوحنا» صامتًا بينما تابع الصحفي «سامي» مشيرًا إلى فيديو مفتوح على جهاز لوحي أمام القس «يوحنا»، ليتابع:

-أنا عارف إن حضرتك ملكش دعوه بحاجه، بس العيار اللي مابيصبش يدوش.

-وانت هاتستفيد إيه لما تعرف؟

وقف «سامي» سعيدًا في غرفة القس «يوحنا» مغلقًا جهازه اللوحي.

-أولًا أنا صحفي وعندي فضول كبير، ثانيًا حق الناس علينا إنها تعرف الحقيقه، بدل ما كل الحقايق ما بتدفن، والأهم طبعًا السبق الصحفي.

في استسلام أجاب القس «يوحنا»:

-حاضر يا بني، الراجل ده يبقى إسمه «خالد».

-«خالد إبراهيم» ما أنا عارف، المهم بقى مين هو «خالد إبراهيم»؟

-«خالد» جيه «دهب» بعد ما مراته «فريدة» وبنته ما ماتوا.

***

من داخل «غرفة «نور» كان الدكتور «فهد» لا يزال منزعجًا من مفاجأة الرائد «عادل» الذي قال:

-إحنا لازم نتحرك دلوقتي يا «فهد» بيه.

دخلت «نور» الغرفة فجأة دون استئذان.

-معلش أنا آسفه كنت فاكره الأوضه فاضيه.

-ولا يهمك يا دكتوره «نور» فرصه أعرفك بالرائد «عادل».

-آه طبعًا غني عن التعريف.

-أهلًا يا فندم فرصه سعيده.

-دكتور «فهد» عندنا مشكله في حالة «خالد».

توتر الدكتور «فهد» عند ذكر اسم «خالد» أمام الرائد «عادل»، ليخرج بها إلى الخارج.

-في إيه يا «نور»؟

-الحق يا دكتور، «خالد» كان هايموت «حنين».

-إيه؟!

دخل الدكتور «فهد» وأخذ من درج مكتبه الذي لا يفتح إلا بمفتاحه الذكي، وأخذ عقارًا وحقنة، ثم اعتذر من الرائد «عادل» وخرج مغلقًا باب غرفة «نور» عليه، وغادر مسرعًا إلى غرفة «حنين» ليشاهد الحراس ممسكين به، وإن لم يستطيعا إجباره على إفلات «حنين» التي كان يمسك (هو) برقبتها خانقًا إياها، ليسرع الدكتور «فهد» ويضع العقار في الحقنة، ليغرزها في وريده ليهدأ (هو) فجأة ليتمكن الحراس منه، ليدفعوه أرضًا، فتقترب «نور» من «حنين» وتسرع بعمل الإسعافات الأولية، لتستعيد أنفاسها بينما بدأ «خالد» يستعيد وعيه وسط اندهاش الدكتور «فهد» الذي غرز بجسده نسبة كبيرة من المخدر.

وقف «خالد» وسط اندهاش الجميع، الذين خافوا من قوته الجسدية المبالغ فيها، ليبتعد الجميع عنه، وسط اندهاشه لنظراتهم، ليخرج من الغرفة، عائدًا أدراجه إلى غرفته، لينظر الدكتور «فهد» إلى «حنين» قائلًا:

-انت كويسه يا ماما؟

أومأت «حنين» برأسها بالموافقة، ليتوجه الدكتور «فهد» بحديثه إلى «نور»:

-أنا هانزل «مصر» مع الرائد «عادل».

-مصر!

-أيوه.. الداخليه عايزاني بخصوص «ملك».

-يبقى لازم تتأكد من كلامها

-هو انتي مصدقه كلام العيله دي يا «نور»؟

-بذمتك انت مش مصدقها؟

قالتها «نور» قبل أن ينصرف الدكتور «فهد» عائدًا إلى الرائد «عادل» الذي كان يحاول فتح الباب من الداخل.

-معلش يا «عادل» بيه الأبواب مابتفتحش من غير مفاتيح.

-حصل خير، طيب يالا بينا يا دكتور.

-أنا جاهز والشنطه في العربيه.

-حضرتك هاتيجي معانا مش محتاج عربيه.

-معلش يا «عادل» بيه أستأذنك نمشي ورا بعض، أنا كده كده عندي مشاوير في «القاهرة» وهاحتاج آجي بعربيتي.

-اللي تشوفه يا دكتور براحتك إحنا كنا عايزين نريحك، المشوار بياخد أكتر من ست ساعات سواقه انت عارف.

-ليه كل ده؟ هما أربع ساعات بالكتير.

-معلش أصل إحنا بنمشي بخط سير محدد، لازم نرجع «شرم الشيخ» ومنها بنركب الطريق.

-«شرم» إيه بس حضرتك؟ إية إللي هاينزلنا تحت؟ إحنا هانركب طريق «نيخل» ساعتين هانكون في النفق.

-بس ده..

-بس إيه؟ ماتخافش مفيش رادار.

قالها الدكتور «فهد» ضاحكًا لينصرفا إلى طريقهما متخلين عن خط السير.

***

-«خالد» ممكن تشرحلي اللي انت عملته ده عملته ليه؟ انت تعرف «حنين» منين؟

قالتها «نور» التي دخلت غرفته في حالة ذهول مما فعل بـ«حنين» ليجيب في براءة:

-أنا حقيقي معرفش مين «حنين».

قالها واتجه إلى حامل لوحاته التي كان يرسم فيها «الكمير».

-قلتلك قبل كده إني خطر.

اقتربت «نور» منه في عطف فلقد كان دامع العينين.

-طيب كمل.

-أكمل إيه؟

-كمل الحكايه.

قالتها ليكمل «سر الثالوث الأوحد».

***

لم يكن «خالد» يدرك ما يفعل (هو)! فلقد كان يرسم لوحة جريئة لجسد عار، فريد المنحنيات، يرسمه بتفاصيل لا يستطيع أن يتنبأها منجم، بل تفاصيلٌ لعين رأت ويد لمست هذا الجسد، فلقد كان (هو) يتمتع ببصيرة وخيال رهيب، ليكمل (هو) خطًا تلو الآخر، حتى انتهى من رسم هذه المنحنيات قبل أن يبدأ برسم الوجه الملائكي الذي لا يتناسب مع حرارة الجسد، فلقد كانت ملامح «فريدة» بسيطة وهادئة عكس ما رسمه (هو) لجسمها المثير.

-إيه الجحود ده يا صاحبي؟

قالها «حبيب» الذي دخل صومعة صديقه في الشرفة الخارجية، ليتنبه «خالد» إلى الحديث فجأة ناظرًا إلى رسمه بخجل ليضيف هذه العاصفة التي سترت جزءًا من بدن «فريدة» التي رسمها في الصحراء تنظر إلى القمر، حال اللوحة التي أعجبتها في المعرض.

-انت يا زفت!

لم يكن في حالة ذهنية تسمح له بالرد، فقد كنت أمتع أنا عقله بتفاصيل جسد «فريدة» الذي سيناله من يستطيع الفوز بِقلبها، لأحركه أنا بغريزة صافية تحت شعار المشاعر، ليتوقف عن الرسم تاركا قلمه الرصاصي، ليمسك اللوحة ويخرج من المكان بينما يظل «حبيب» يضرب كفًا بكف، على حال صديقه الذي فقد عقله في اتباع قلبه كما ظن! ليخرج «خالد» بالفعل من الحديقة متجهًا إلى سيارته التي صفها بعناية، ليركبها في هدوء وحيرة، ويبدأ رحلته إلى «ميدان الأسماعيلية»، وصل «خالد» في وقت طويل إلى عقار جدته وترجل من سيارته وصعد في تحدٍ وجرأة افتقدهما، ليتجاهل شقة جدته ويتابع صعوده إلى شقة «فريدة»، فيضع رسمته كعادته، على شراعتها، قبل أن ينصرف عائدًا إلى أسفل، ليفتح «خالد» شقة جدته التي كانت تجلس على كرسيها حال أمسها، لتكرر سؤالها الذي يمقته:

-انت جيت يا «طاهر»؟

-لا يا جدتي أنا «خالد».

قالها «خالد» باستياء.

-ها معلش يابني، حمد لله على السلامه.

اقترب من جدته بحنان تفتقده ليقول:

-«فريدة».

قالها بينما في الطابق العلوي فتحت «فريدة» بابها عند وصول الرسالة إليها لتتفقد اللوحة التي داعبت حياءها، لأطبع أنا ابتسامة على وجهها، مثيرًا أنا

مشاعرها وغريزتها هي الأخرى وهي تتحسس خصرها ضامةً شفتيها، قبل أن تضع اللوحة بجانب الأخريات أسفل هذا الدرج الذي ستر الكثير.

-انت عايز تتجوز «فريدة»؟

قالتها الجدة التي وقفت بصعوبة لتتوسط الصالة.

-أيوه يا جدتي ليه لأ؟

-وهي موافقه؟

-معرفش.

قالها لتلتف الجدة إليه قائلةً:

-يعني هي تعرفك انت يا «خالد»؟

-في إيه يا جدتي؟ أمال أنا جايلك ليه؟ أنا عايز أخش البيت من بابه، مش هي دي الأصول برضه؟

سكتت الجدة ورجعت إلى كرسيها، ليقترب منها:

-يا جدتي أنا محتاجك، انتي عارفه إني مليش خبره، والصراحه لو رحتلها ورفضتني ممكن أعمل في نفسي حاجه.

-بعد الشر عليك يا بني.

-يعني هاتساعديني؟

قالها «خالد» الجاثي عند قدمي جدته، التي حنت عليه أخيرًا بيديها قائلة:

-أكيد يابني وربنا يستر إن شاء الله.

***

-يا كبير يا كبير.

قالها هذا الخادم الذي جاء إلى «دياب» مهللًا.

-في إيه يا بني آدم؟
-أخبار تتاقل بالدهب.
-طيب إتكلم يا بني آدم مستني إيه؟
-رجالتنا اللي على أول طريق «نيخل» لسه متصلين بيا دلوقتي.
قالها الرجل مبتسمًا بخبث ودهاء قبل أن يتابع:
-الدبيحه جت برجليها، في عربية شرطه ركبت الطريق من الجنوب وركبنا الخطوط واتأكدنا من اللي فيها يا كبير.
أبتسم «دياب» الذي كان يعرف الكثير وقال:
-«عادل»؟!

***

«التاريخ في الوقت الحاضر ١٢ أكتوبر الساعة ١٢ ظهرًا»

(٢٣)

-يعني هو «خالد» حب «إيفا» فعلًا؟

تساءل «سامي» منزعجًا، ليجيبه القس «يوحنا»:

-في الأول كان متخيل إني ممكن أقبل أنه يعمل اللي «حبيب» صاحبه عمله عشان «كريستين»، بس أنا كنت فاهم كويس ورفضت.

-وهو إيه اللي «حبيب» عمله لـ«كريستين»، وهما مين دول أصلًا؟

***

-انت ازاي خبيت عني حاجه زي كده يا «حبيب»؟

قالتها «كريستين» في استياء مبتعدة عن حبيبها بعدما اكتشفت ما كانت تجهله طوال فترة علاقتهما في الأسابيع الماضية.

-ولًا انت كنت مستني إني أتعلق بيك؟

-«كريستين» انتي إزاى تفكري فيا كده؟

قالها غاضبًا هو الآخر، لأبدأ أنا في توسيع الفجوة شيئًا فشيئًا، فلقد كانت «كريستين» بالفعل قد تعلقت بـ«حبيب» الذي كان يمثل فتى أحلامها، بكل مقاييسها، وقد رفضت العديد من الزيجات نظرًا لخوفها من الفشل، فهي تعرف أنها لا تمتلك رفاهية الطلاق إذا لم تُوفَّق، وزواجها سيكون رابطا أبديًا في السماء، ولن تستطيع الهروب منه أبدًا، حتى تحققت دعواتها في إيجاد هذا الفنان المرهف، والرجل الاجتماعي الودود الذي يعرف قيمتها دون غيرها، من رفض أجمل جميلات إيطاليا فقط ليكون بجوارها، وعندما رأته تمنت أن يكون هو زوجها، وإن خشيت أن تكون حالمة، ليحدث ما تمنته، فيطلبها هذا الفارس، لتنسى الدنيا وما فيها، ولتتعجب، لمَ يعطيها خالقها كل هذه النعم؟! حتى صحت اليوم على هذا الكابوس، فلن يرضى ربها بهذه الزيجة، فلم يكن «حبيب» كما تظن، لم يكن يعتنق ملتها، وإن كان قبطيًا

عن حق.

-لازم أفكر كده، انت إزاي تخدعني كل الوقت ده!

-أخدعك إيه «كريستين»، هو أنا بقولك أنا مسلم؟!

-يا ريتك يا أخي كنت مسلم ماكنتش جيت جنبك قبل كده.

-لاﻻا ،ده انتي مش طبيعية خالص، يا «كريستين أنا مسيحي، مسيحييي.

-بس ماتجوزليش يا «حبيب».

قالتها وانصرفت تاركة «حبيب» لهمه وحيدًا يمشي في الشوارع مهمومًا، حتى ناديته أنا من عند هذا الخمار، ليدخل إليه ويتناسى همه بين أنواع الخمور الغنية الممتعة للعقل والفؤاد، فيشرب الكثير والكثير، قبل أن يغادر حاملًا حقيبة مليئة بالأنبذة الإضافية، ليبحث بعدها عن دراجته البخارية، جاهلًا أين صفها، فيشير إلى سيارة أجرة، أقلته إلى بيته وهو يستعيذ ربه منا.

وصل منزله القاطن فيه «خالد» منذ فترة والذي كان نائمًا في الحديقة يعد النجوم في السماء، حتى تنبَّه لوجود «حبيب» سكران يترنح في الحديقة، ليقف مذعورًا ويقترب من صديقه.

-«حبيب» مالك؟ انت سكران ولّا إيه؟

أسند «خالد» صديقه وتوجه به إلى حوض الحديقة، ليغسل وجهه، بينما أخذ منه حقيبة الخمور ليرمي بها بعيدًا.

-اغسل وشك يا بني آدم، هو مش انت مابتشربش يا بني؟

ظل «خالد» يحاول استرجاع صديقه لوقت طويل، حتى استلقى جانبه أرضًا على الحديقة ليحاول فهم ما حدث له في تلك الساعات الماضية، ليجيبه بما لا يفهمه «خالد».

-أنا «كاتوليك» يا «خالد» مش أورتوزوكس.

-مش فاهم يعني إيه، انت يهودي يالا؟!

-طايفه تانيه يا بني آدم.

-حنبلي يعني، مش شافعي.

قالها «خالد» ضاحكًا ليبتسم «حبيب» قائلًا:

-حاجه كده زي السنه والشيعه عندكم.

-والله يا بني أنا ما أعرف يعني إيه شيعه وسنه، المهم فهمني يعني إيه، ماتجوزلهاش؟

-يعني الكنيسه بتاعتها مش هاتعترف بيا.

في اندهاش استفسر «خالد»:

-مش هاتعترف بيك إزاي يعني؟

-مش هاتعترف بتعميدي أصلًا.

-يعني كأنك مش مسيحي؟

-بالظبط كده.

-والحل؟

-ملهاش حل، أمال أنا بشرب ليه؟

-يعني ما ينفعش تتجوزوا في كنيسه تانيه؟

قالها «خالد» مستفهمًا.

-«كريستين» متدينه جدًّا ومش هاتقبل غير لو...

قالها «حبيب» وسكت لحظة يفكر.

-غير لو إيه يا «حبيب»؟

***

-غير لو غير ملته.

قالتها «نور» متفهمة، ليندهش «خالد» من جهله!

-عرفتي إزاى؟

-يعني، كتير بتحصل في الجوازات اللي زي كده، بس بتكون محتاجه حد متفتح ومتفهم وجريء.

-«حبيب» يعني.

قالها مبتسمًا عندما تذكر صديقه.

-هو ده بالظبط «حبيب» متفتح، مثقف، اجتماعي، وجريء.

-يعني فعلًا غيَّر ملته عشان «كريستين»؟

***

من طريق «نيخل» كان دكتور «فهد» يسبق سيارة الشرطة ببضعة كيلومترات، ليمسك بهاتفه ويتصل بـالرائد «عادل» الذي أجابه من فوره:

-انت طياره ما شاء الله عليك يا دكتور «فهد».

-ما هو حضرتك اللي مارضيتش تركب معايا كان زمانا وصلنا، بس انت اللي مارضيتش تسيب عساكرك بقى.

-معلش يا دكتور «فهد» اللي في طبع بقى.

-طيب هاستأذنك أنا هاجري شويه وهاقابلك في القاهرة علطول.

-يا باشا براحتك.

أغلق الدكتور «فهد» الخط وبدأ في الانطلاق في هذا الطريق السريع، ليمر بجانب هذا الكمين المنصوب في وسط الطريق، بعدما غاب نهائيًا عن أنظار الرائد «عادل» الذي وصل نفس الكمين بعد عدة دقائق، وإن لم يمر بسلام، فلقد أسرعت سيارات «دياب» بغلق الطريق من أمامه، لتتوقف سيارة الرائد «عادل» بعدما استدارت في الطريق لتصبح موازية لسيارات «دياب» التي خرج منها بضعة رجال ببنادقهم الآلية، ليسرع هو وعساكره في الترجل من السيارة ليتخذ كل من الفريقين سياراته ساترًا، ليبدأ الاشتباك، حتى برز

«دياب» بنفسه وبعض رجاله الآخرين قادمين من خلف نفس الطريق، فيجد الرائد «عادل» نفسه مع رجاله محاصرين، قبل أن يترجل «دياب» من سيارته وسط رجاله المدججين بالسلاح ليتوقف إطلاق النيران، ليصرخ «دياب» إلى الرائد «عادل» قائلا:

-الرائد «عادل» لو سمحت.... خلي رجالتك يرجعوا بيوتهم لعيالهم.

لم يجب «عادل» الذي ظل ينظر إلى رجاله يمنة ويسرة، ليجد منهم من قُتل بالفعل، قبل أن يكمل «دياب»:

-إحنا مش عايزين غيرك، وهانخلي رجالتك تعيش.

دمع الرائد «عادل» متذكرًا وعده لأمه بالعودة سالمًا متذكرًا ما حدث لأخيه من قبله، ليتمسك بسلاحه.

-ذنب رجالتك هايكون في رقبتك.

قالها «دياب» ليترك الرائد «عادل» سلاحه جانبًا ماسحًا دمعه متذكرًا ما قاله لوالده، فلن يقابل ربه إلا مرفوع الرأس، فيبتسم لرجاله، ويتقدم برجولة أحرجت الشمس التي غابت عن المشهد حرجًا، ويسير ببطء إلى «دياب» رافعًا يديه إلى أعلى بينما كان قناصة «دياب» يترقبون قدومه، ممسكين بأسلحتهم، حتى أعطاهم «دياب» الأوامر.

-محدش يضرب نار.

قالها «دياب» فاقترب الرائد«عادل» منه، قبل أن يسرع إليه رجاله ليطرحوه أرضًا مقيدين إياه، فيعطي «دياب» إشارته الجديدة لباقي رجاله.

-فجروا العربيه.

صرخ الرائد «عادل» ـ متجرعًا مرارة الخديعة ـ وهو يشاهد أسلحة رجال «دياب» الفتاكة مُصوبةً إلى السيارة لتخرج منها قذيفة تنسف السيارة بمن فيها، لتهرب مني تلك الأرواح التي استقبلتها السماء.

***

-يعني ناوي تعمل إيه يا «حبيب»؟

سأل «خالد» صديقه الذي ما زال مستلقيًا على ظهره في حديقته وإن ارتفعت الشمس في السماء تحاول تدفئة الجو البارد، ليجيب «حبيب» صديقه الجالس إلى جواره:

-أنا مش هاسيب «كريستين» بعد ما لقيتها يا «خالد».

-يعني هاتغير إيمانك يا «حبيب»؟

-إطلاقًا يا صاحبي.

-أمال إيه؟

-هاغير البطاقه.

ضحك «خالد» قائلًا:

-أنا أعرف إن الواحد ممكن يغير بطاقته من مسيحي لمسلم أو العكس، لكن من كاتوليك لأورتوزوكس دي جديده!

-يا بني آدم إفهم، أنا هاغير الورق المطلوب في الكنيسه بس.

-بس انت كده هاتتعمد تاني زي ما قلتلي.

-ماظنش ولو كان إيه المشكله يعني؟

-لأ في مشكله.

-إيه هي؟

ابتسم «خالد» مشاكسًا صديقه وهو يقول:

-انت هاتقلع ملط، وأنا مش هاقدر أشوفك في الوضع ده وأمسك نفسي الصراحه.

قالها وضحكا سويًا قبل أن يسأل «خالد» صديقه سؤالًا جادًا.

-بس هو مش ده يبقى غش يا صاحبي؟

***

-خلاص أهو يا أبونا ده كل الورق إللي حضرتك طلبته.

قالها «حبيب» بذكاء إلى القس «يوحنا» الذي كان وقتها في أحد كنائس «شبرا» قبل أن ينتقل لكنيسة «شرم الشيخ» بأشهر قليلة، ولقد ظهر على القس «يوحنا» رفضه التام لما يفعل «حبيب».

-الموضوع عمره ما كان ورق يابني.

تغيير وجه «حبيب» الذي كان يعلم ما يرمي إليه القس «يوحنا».

-انت لازم تتعمد يابني.

-أتعمد!

-في إية يا أبونا هو انت شايفني مسلم.

-انت فاهمني كويس يا «حبيب»، وده شرطي الأساسي، عشان أقبل ورقك.

-يا أبونا ما أنا متعمد!!

لم تكن الكنيسة الأورثوذكسية تعترف بتعميد الكاثوليك، ليضع «يوحنا» شرطه العقائدي، ليطمئن من مدى مصداقية «حبيب» في اعتناق معتقداته، وأنه لم يغيِّر ـ مكرهًاـ فقط ـ على الورق ـ الأمر الذي كان يعتبره «حبيب» مهينًا بعض الشئ فعدم اعتراف الكنيسة الأرثوذوكسية بتعميده، يعني عدم اعترافها بمسيحيته، ليخرج «حبيب» من الكنيسة عائدًا إلى منزله في ضيق شديد، لا يعرف ما يفعل؟! قبل أن يستقبل اتصالاً من «كريستين» التي داعبته بذكاء.

-حبيبي وحشتني.
-انت أكتر.

-طمني خلاص أطمن ماما وبابا.

سكت «حبيب» لحظات وقال:

-آه طمنيها خلاص مابقاش في أي حاجة تمنعني عنك.

قالها «حبيب» وهو ينظر إلى العذراء التي تسكن ذراعه يشكو إليها عنصرية المكان والزمان، حتى وصل إلى بيته، الذي وجد فيه «خالدًا» يسأله عما يحدث، فطمأنه «حبيب» طالبًا منه ألا يغادر المكان، فسيصحبه معه إلى ميعاد هام، دخل «حبيب» واغتسل ثم توجه إلى غرفته ليبحث عن ملابس صيفية خفيفة، ثم وضع بعض الأغراض في حقيبته واتجة إلى «خالد» طالبًا منه اصطحابه إلى مكان ما.

***

-خدك وراح فين يا «خالد»؟

قالتها «نور» متساءلة في اندهاش ليجيبها «خالد» الذي لم يستطع طمس الصورة من ذهنه.

-الكنيسه.

-الكنيسه؟!

-تخيلي من وسط كل أصحابه، اختارني أنا.

-اختارك ليه؟

-إختارني عشان يتسند عليا في أكتر مشوار صعب قابله في حياته، أي حد غيره ممكن يشوفه مهين، أو كاسر إلا «حبيب» مكنش بيهمه المسميات، كان عارف إن ربنا رب قلوب.

-دي حقيقة.

-بس أنا مكنتش كده، مكنتش فاهم كده، غير اليوم ده فهمت لما شوفت بساطة فكر «حبيب»، فهمت إنِ الإنسان مابنفعش يخلي أي حاجة تتحكم فيه، فهمت الحرية، فهمت فعلا يعني إيه إنسان، فهمت ونضجت، بس لما «حبيب» اختارني أنا دون كل الناس عشان يتعرى قدامي.

***

كان المشهد جريئًا ومهيبًا، فلم يَرْتَدِ «حبيب» من الثياب إلا ما يستر عورته،

من داخل الكنيسة التي لم تحتو إلا على ثلاثتنا بجانب «يوحنا» وبعض الشمامسة، فكنت أنا أنظر إلى المَشهد من بعيد، وكان «حبيب» يقف عند المذبح، ومن خلفه يقف إشبينه «خالد» الذي جهل «يوحنا» أنه مسلم يشهد على تحول عقائدي خاص بل شديد الخصوصية، وإن لم يكن له الحق في منعه على أي حال فهي رغبة «حبيب» الذي جاء اليوم ليتم تعميده أمام الخالق وخلقه، ليرفع كل عائق بينه، بين حبيبته، لعل هذا الحب العظيم الذي ملأ قلبه هو رسالة الخالق للخليقة، فقد كان الحب هو دين «حبيب» الذي يؤمن به ويتبعه دون غيره، ولعل هذا هو دين الحق.

خطى «حبيب» بقدميه الحافيتين على سلم خشبي ليصعد خطوات مترددة إلى «جرن» المياه التي صُلي عليها صلوات التقديس لتتحلى بقوة الروح القدس التي تطهر المعمد ليولد ولادة جديدة من الماء والروح كما يعتقد القس «يوحنا» الذي ظل ينظر إلى «حبيب» وقد اعتلي المشهد ليزيد من رهبة «خالد» الذي ينظر إلى صديقه وسط الهيكل، ثم بدأ «حبيب» في ملامسة المياه أمام «يوحنا» الذي كان يحضر اللاهوت الطقسي، ليستقبل قلبه هذا القادم إليه حبًا في ربه، لامست المياه روح «حبيب» وتوغلت إليه حتى كادت تغطيه، ليمسك القس «يوحنا» برأس «حبيب» فيغطسها باسم الأب، لتغطي المياه الميرون رأسَ «حبيب» بالكامل قبل أن يخرجها القس «يوحنا» وَيستنشق «حبيب» نفسًا عميقًا ليغطس القس «يوحنا» رأسه مرة أخرى باسم الابن، قبل أن يقوم بها مرة أخيرة باسم الروح القدس، ثم أخرج القس «يوحنا» رأس «حبيب» الذي صار أرثوذكسيًا أخيرًا، ليرتل ومن بعده الشمامسة.

-آمين.

رتلوها بصوت منمق وغناء متقن لامس حس «خالد» الفني، بينما بدأ القس «يوحنا» في النفخ في «حبيب» ثلاثًا ليخرجني من بين ضلوعه، محاربًا شهوة الجسد والكبرياء وحب القنية، ليطردني القس «يوحنا» من المكان لأغيب عن مشهد دهان «حبيب» بالغاليلاون، ليغرس في شجرة الزيتون بالمعمودية أي جسد المسيح.

«أدهنك يا «حبيب» بدهن الفرح مضاد لكل أفعال المضاد لتغرس في شجرة الزيتون اللذيذة. في كنيسة الله المقدسة الجامعة الرسولية آمين.»

***

عاد القس «يوحنا» من خياله بمكتبه الحال في كنيسته ب»شرم الشيخ».

-كل ده عشان «حبيب» يقدر يتجوز «كريستين»؟

قالها الصحفي «سامي» قبل أن يكمل.

-وانت كده إتأكدت إنه بقى أورتوزكس؟

تساءل الصحفي «سامي»، ليسكت القس «يوحنا» قليلًا قبل أن يجيب بهدوء:

-مفيش حد في الدنيا يقدر يعرف اللي في القلوب إلا ربنا يا «سامي» يا بني، وعمومًا أنا عملت كل إللي يمليه عليا ضميري، وبعدين إحنا كان في محاولات من رئيس الكنيسه الكاثوليك في «إيطاليا» لما وصل لمصر وقابل رئيس الكنيسه عندنا إننا نشيل الصعوبات دي من الرعيه كلهم.

-طيب والكلام ده ماطبقش ليه؟

-يعني، مش كل القساوسه موافقين على الكلام ده، ودي تعتبر آليات مش أكتر، وبعدين ده مش موضعنا يا «سامي».

-طيب وهو «خالد» كان عايز يعمل زي «حبيب» في إيه؟

قالها «سامي» قبل أن ينتبه إلى رسالة نصية وصلت هاتفه، لتتغير ملامحه عند قراءته لها، فلقد أعلمه زملاؤه بخطاب السيد الرئيس ناعيًا ضحايا العمليات الإرهابية في الفترة الأخيرة، ليقف «سامي» مودعًا «يوحنا».

-طيب هاستأذنك أنا يا أبونا.

-مش هانخلص كلامنا يابني؟

-معلش، جالي مشوار شغل مهم جدًا، في خطاب للريس ولازم أغطيه، وبعدين أنا مش عايز أعطلك يا أبونا، عمومًا ماتخافش، أنا هاجيلك تاني

عشان نكمل كلامنا.

قالها «سامي» وانصرف ـ مسرعًا ـ قبل أن يخرج ليشاهد على جهازه اللوحي الخطاب الرئاسي.

***

بسم الله الرحمن الرحيم

اسمحولي أن أتقدم بالتعازي لكل الشعب المصري ولكل المصريين على الشهداء اللي سقطوا من أهل مصر ومن أبناء مصر، واسمحولي أن أقول لكل المصريين، من فضلكم، تنتبهوا لكل كلمه هاقولها دلوقتي، الهدف من كل اللي بيحصل دلوقتي هو إسقاط الدوله، دي إستراتيجيتهم، وهم عارفين إنه لابدّ من كسر تماسك المصريين وزرع الفتنه بين المسيحيين والمسلمين، عايزين يقولوا للمسيحيين في مصر إن إنتوا مش آمنين، وإن الدوله المصريه مش بتقوم بحمايتكم بالشكل الكافي، وكل الأعمال دي هو ده هدفها الرئيسي، عشان كسر تماسككم، بس أنا مش هاسمح إن ده يحصل، ولا الجيش هايسمح بده لآخر نقطة دم لعسكري مصري مسلم أو مسيحي، ومصر لن تتردد أبدًا في توجيه ضربات ضد معسكرات الإرهاب في أي مكان، مش على أرضنا بس، حفاظًا على الأمن القومي المصري، وأرجو إن الرساله دي تكون واضحه للجميع وللمجتمع الدولي كله.

***

«التاريخ في الوقت الحاضر ١٢ أكتوبر الساعة ٤ عصرًا
(٢٤)

- قضي الأمر الذي فيه تستفتيان.

قالها اللواء «فاروق» الذي بدا عليه الإرهاق والحزن، بعدما تم تبليغه بما حدث على طريق «نيخل» في الساعات الماضية.

-يعني الجيش هايتدخل معانا يا سيادة اللوا؟

قالها المقدم «سيف» الذي ظهرت عليه النشوة من سماعه للخبر.

-أيوه يا «سيف» هايتدخل معانا.

-يعني هاندك الجبل على الكلاب دول؟

سكت اللواء «فاروق» عن الكلام لحظة بينما ظل المقدم «سيف» منتشيًا، قبل أن يرد في تحفظ:

-مش قبل ما نخرج الرائد «عادل».

اندهش المقدم «سيف» الذي لم يستوعب الحديث.

-بس ده مستحيل يا فندم، الرائد «عادل» كان عارف المخاطر اللي حوليه، وممكن أي يحد يتعرض ليها.

-ولما أبوه سيادة اللوا سيألني عن ابنه زي ما أمه سألتني عن ابنها «فادي» أقولهم إيه؟

-قولهم إنه مات راجل يا فندم ونحتسبه عند الله شهيد.

قالها أحد مساعدي اللواء «فاروق» عن يمينه، ليعلق الأخير:

-مش كفايه.

-بس كده تبقى العمليه شبه مستحيله.

-بالظبط كده، شبه مستحيله، بس مش مستحيله، يبقى لازم نخطط للي هانعمله الساعات اللي جايه، في كل الاتجاهات، أنا عايز أتكلم مع «عاصي» و«وحيد» بنفسي.

ظهر استياء المقدم «سيف» الذي عقب:

-يا باشا ما تسيبلي العيال دي، وأنا هاعرف أنطقهملك.

-مش هانعيد ونزيد في اللي اتكلمنا عليه، بس ده مايمنعش إنك تشتغل على الولد اللي إسمه «طاهر» اللي «وحيد» قالك عليه.

ابتسم المقدم «سيف» في سعادة ـ شاكرًا ـ رئيسه الذي تابع:

-بس ملكش دعوه بـ«وحيد» و«عاصي» خالص.

-أوامر يا فندم.

قطع حديثهم أحد الرتب الصغيرة، الذي دخل ليعلم اللواء «فاروق» بوصول الدكتور «فهد» الشرنوبي، فيجيبه بالسماح له بالدخول، بينما ظهر الإعياء الشديد على اللواء «فاروق»، ليقول له المقدم «سيف» منافقًا:

-يا فندم حضرتك لازم ترجع تستريح، خضرتك ماروحتش بقالك أسبوع.

ابتسم له قبل أن يدخل الدكتور «فهد» متوترًا من هول المنظر، والرتب الرفيعة التي تجلس حول المائدة البيضاوية.

-تعالى يا «فهد» ماتخافش.

قالها اللواء «فاروق» الذي توقف ليحيي الدكتور «فهد» بحرارة قبل أن يضيف:

-انت ماتفتكرنيش، بس أبوك الله يرحمه كان صاحبي الروح بالروح.

-يا فندم الشرف كله ليا.

-اقعد يا «فهد» يابني.

مشيرًا إلى المقدم «سيف» ليتحرك بمقعده ويجلس الدكتور «فهد» بجانب

رئيسه.

-أنا كنت بحاول أوصل للرائد «عادل» زي ما اتفقت معاه، بس للأسف مش عارف أوصله.

أحرج الجميع، ليقول المقدم «سيف»:

-معلش إضطرينا نبعته مأموريه جديده، المهم إن حضرتك وصلت.

-لعله خير إن شاء الله.

-وهايجي منين الخير يا «فهد»؟ المهم، طبعًا انت شوفت خطاب سيادة الريس، وأكيد عرفت إن إحنا هانعلن عن نجاة «ملك» في الدقايق اللي جايه.

ابتلع دكتور «فهد» ريقه ليستمع لباقي الحديث.

-وده معناه إن المصحه عندك هاتبقى محط أنظار وصحافه وإعلام.

سكت اللواء «فاروق» لحظة ثم تابع:

-وإرهابيين كمان.

-ربنا يستر يا فندم.

-هايستر إن شاء الله، بس إحنا محتاجين نقوم بحبة تأمينات، عشان كده أنا هاسيبك مع المقدم «سيف» تفهم منه كل حاجه ويقوم معاك بحبة ترتيبات سريه.

-مفهوم يا فندم.

-خلاص، دلوقتي تقدر تتفضل مع المقدم «سيف».

قالها التفت إلى المقدم «سيف» مكملًا:

-تخلص مع الدكتور «فهد» وبعدين تروح مشوارك اللي اتفقنا عليه.

-«طاهر»؟

-أيوه (هو).

انصرف كلاهما إلى مكتب المقدم «سيف» بقيا فيه ساعة كاملة قبل أن يتجه كل منهما إلى وجهته.

***

من بين الآلاف الذين كانوا يتابعون الأخبار كانت «نهلة» والدة الفتاتين «مارينا» و«فبرونيا» تجلس تشاهد الأحداث مرتدية ملابس سوداء تبكي دموعًا حارقة، فهي لا تزال تجهل الكثير، وهي جالسة في غرفة المدرسات بمدرسة الراهبات التي تُدرس بها، حيث كان هناك العديد من المدرسات يجلسن يتابعن الأخبار، حتى سمعت «نهلة» خبر نجاة «ملك»، لتقف هي فجأة شاعرة برابط غريب، بينما حمد الجميع مسيحهم على نجاة ابنتهم، بينما دمع منهم من شعر بآلامها، لتتعالى صيحات الراهبات طلبًا لزيارة هذه الطفلة التي تحتاجهم الآن بالتأكيد، لتبتسم «نهلة» التي علمت وجهتها للمرة الأولى منذ أيام عديدة من الوحدة.

***

خرج الدكتور «فهد» من مبنى الداخلية قبل المقدم «سيف» الذي كان يبحث عن عنوان «طاهر إبراهيم»، بينما اتجه الدكتور «فهد» إلى هناك بحثًا عن أجوبة لتساؤلات «نور» وادعاءات «ملك» التي كانت الآن في المصحة تزعج «نور» بإصرارها.

-يعني ماروحتيش عشان تتأكدي.

قالتها «ملك» بعصبية، لتهدئ «نور» من روعها قائلة:

-صدقيني الدكتور «فهد» رايح بنفسه عشان يتأكد وزمانه على وصول.

-يعني راح بجد؟

قالتها «ملك» في سعادة مبالغة.

-أيوه يا «ملك» صدقيني، بس لو طلع كلامك غلط، هاتسمعي كلامي في العلاج ومش هاتتعبيني تاني.

ضحكت «ملك» قائلة:

-وليه واثقه كده إن كلامي غلط؟ طيب وإذا كان صح؟

سكتت «نور» ولم تستطع أن تعلق، لتتابع «ملك»:

-لما يطلع كلامي صح، هاتصدقي إن ماما لسه عايشه.

أسندت «نور» ظهرها إلى المقعد، والتفت به معطية ظهرها لـ«ملك» وهي تفكر فيما قصته عليها.

-بتفكري في إيه؟

قالها «خالد» مُفزعًا «نور» التي التفتت مسرعة لتجده أمامها بعدما اختفت «ملك»، لتقول فيِ توتر:

-«خالد»!

-في إيه يا دكتوره «نور»؟ اتخضيتي كده ليه؟

-ولا حاجه، ولا حاجه.

جلس «خالد» على الكرسي المقابل لها وقال:

-طيب ممكن نكمل كلامنا؟

-طبعًا طبعًا.

قالتها «نور» وهي تخرج قلمها والأوراق وَتبدأ في كتابة ملاحظاتها، بينما تابع «خالد» قص حكايته وأحلامه.

***

لم يكن «فهد» متحمسًا للفكرة التي اتبعها، فلقد كان يعتقد أن الفكرة مجرد «حبر على ورق»، ولكن الفضول هو ما دفعه حقًا، ليكمل قيادته متوجهًا إلى «مصر الجديدة»، محاولة منه للوصول إلى «ميدان الإسماعيلية»، متبعًا جهاز الـ«جي بي إس» ليصل أخيرًا إلى هذا المسجد، ويتفقد المكان بعينيه في فضول ناظرًا إلى العقارات القديمة، فيصف سيارته ويترجل منها، حتى اقترب من العنوان المكتوب، ليتنبَّه إلى سوره القصير الذي يخفي حديقة صغيرة لا

تمنع الرؤية. اقترب من الحديقة المبتغاة، ليجد هناك طفلة صغيرة تلعب مع سيدة سمراء تبدو مربيتها، فبدأ التوتر يظهر عليه، وَتوجه إلى داخل هذا العقار الغامض، بخطوات هادئة حتى وصل إلى باب الشقة الذي كتب عليه «طاهر إبراهيم»، فقرع الباب في هدوء، حتى فتحتٍ هي له الباب بحجابها الوقور، وجمالها الفاتن، ليتسمر «فهد» في مكانه قائلًا:

-فريدة؟!!!!!

***

-انت اتجوزت «فريدة» إزاي يا «خالد»؟

سكت «خالد» لحظة ثم قال إلى «نور»:

-أنا كنت بحبها، من أول يوم شفتها زي ما قولتلك.

-أيوه فاهمه، بس اتجوزتها إزاي؟

-زي ما قولتلك، خليت جدتي تكلمها، ما هو أنا...أنا كنت بتكسف أتكلم معاها، قعدت كتير جدًا بحاول أفتح معاها أي كلمه، بس مقدرتش.

تعجبت «نور» من تناقض كلام «خالد»، ولكنها لم تظهر ما تخفي.

-طيب هي مراتك وبنتك ماتوا إزاي يا «خالد»؟

سكت «خالد» لحظة قبل أن يقول في حزن:

-ماتوا من أكتر من سنه.

تعجبت «نور» من الإجابة ثم تابعت:

-أنا مش بسألك ماتوا إمتى، أنا بسألك ماتوا إزاي؟

-هو يعني إيه موت يا «نور»؟

-مش فاهمه!

-إيه هو الموت؟

تنهدت «نور» ثم أجابت:

-الموت هو إن حد يختفي من حياتنا.

-بالظبط كده.

***

بعدما قدم الدكتور «فهد» نفسه إلى «فريدة»، استقبلته بالداخل على استحياء، ليدخل صالون الجدة بعد «فريدة» التي سبقته إلى الداخل، بينما وقف «فهد» أمام صورة لها مع زوجها بجوار المدخل.

-تحت أمرك يا دكتور، خير؟

-أنا آسف إني جيت من غير ميعاد، بس ده لسبب مهم.

-خير؟

أشار «فهد» إلى الصورة الفوتوغرافية المعلقة لا يزال يقف أمامها وقال:

-أنا جاي بخصوص جوز حضرتك «خالد».

ابتسمت «فريدة وجلست ووضعت رجلًا على الأخرى قائلة:

-بس دي مش صورة «خالد».

-أفندم!

قالها «فهد» متوترًا، فَلا يزال يجهل الكثير.

***

-ماتت، زي ما كل الناس بتموت، ماتت لما اختارت ماتبقاش معايا، ماتت لما قررت تنسى كل السنين اللي كنت فيها تحت رجليها.

اندهشت «نور» مما تسمعه من «خالد» الذي أكمل:

-ماتت لما اكتشفت إني ضيعت عمري هدر.

سكت «خالد» لحظة ثم أكمل.

-ماتت لما رجعت واختارته، بعد ما عوضتها أنا عن كل الجراح والألم.
قالها «خالد» إلى «نور» التي حاولت الاستفهام:
-اختارت مين؟
-اختارته (هو).
***
-تشرب إيه الأول؟
قالتها «فريدة» بهدوء بعدما تعرفت على الدكتور «فهد» واطمأنت له في وجود الخادمة، ليرفض الدكتور «فهد» منفعلًا:
-يا فندم مش عايز حاجه، أنا عايز بس أفهم مين اللي في الصوره ده؟ ده مش «خالد».
-إمشي انتي وخليكي مع البنت برا.
قالتها «فريدة» لِخادمتها، لتقف وهي مستمتعة بفضول «فهد».
-ده «طاهر»، اللي في الصوره دي مش «خالد».
في اندهاش نظر «فهد» إلى الصورة التي حسب صاحبها «خالدًا»، ليقول:
-إزاي؟!
-ما هو «طاهر» يبقي توأم «خالد»، و(هو) اللي أنا اتجوزته.
قالتها ثم سكتت لحظة قبل أن ترمي بضربتها القاضية:
-«طاهر» (هو) اللي أنا اتجوزته الأول.
***

«التاريخ في الوقت الحاضر ١٢ أكتوبر الساعة ٦ مساءً»

(٢٥)

- يا «نشوى» أرجوكي ما تضغطيش عليا لو سمحتي.

قالها «طاهر» هاتفيًا لـ«نشوى» التي بدأت تتيقن فشلها في الإيقاع بـ«طاهر» في شباكها.

-وليه ما اضغطش عليك إن شاء الله؟

-«نشوى» أنا نازل أصلي، هاكلمك لما أفضى.

-يا «طاهر».

أغلق «طاهر» الخط وهو يترجل من العقار باتجاه المسجد، لتلفت «فريدة» أنظاره بعدما ترجلت من سيارة «عشق» التي أوصلتها لتوها، لتتقدم «فريدة» تجاه «طاهر» الذي توقف لها كالصنم.

-سلامو عليكم.

قالتها «فريدة» بصوت حرك وجدان «طاهر» الذي رد السلام وتوجه لأداء الصلاة، لألهيه عن الصلاة مجسدًا صورة «فريدة» في خياله، حتى أنه لم يعقل من صلاته شيئًا، حتى فرغ منها، ليجالس هذا العجوز «صالح» والد «فريدة».

-اؤمر يابني.. خير محتاج حاجه؟

-أيوه يا عمي.

-عمك؟!

ابتسم «طاهر» وقال:

-ما هو ده اللي أنا عايزك فيه.

***

سكت «خالد» عن الحديث وهلة، لتقاطعه «نور» التي كانت تستمتع بالقصة:

-يعني إنتوا الاتنين طلبتوا «فريدة».

-بالظبط كده.

قالها «خالد» في غرفته بالمصحة.

-طيب وإيه اللي جدتك عملته؟

ضحك «خالد» متذكرًا ما كان يحاول أن يتناساه.

***

ارتدت الجدة تاييرًا غاليًا لم تكن قد ارتدته مسبقًا، ووضعت القليل من الزينة لتشبه البلياتشو الحزين، ثم أخذت عكازها، وخرجت من عقارها، لتصعد بصعوبة شديدة سلمة تلو الأخرى، حتى وصلت في دقائق عديدة إلى طابق «صالح» وزوجته، ليستقبلاها في سعادة بالغة، وإن كانت الأم مندهشة من سبب الزيارة المفاجئة، لتدخل الجدة في حالة من الانزعاج.

-والله إحنا اللي المفروض ننزلك يا حاجه ولية مكلفة نفسك بس.

قالتها الأم إلى الجدة التي أجابت مقدمة بين يديها علبة من الحلوى الرخيصة.

-مفيش مشكله يا حبيبتي، خليني أحرك العضمه شويه، وبعدين اللي أنا جايالكوا فيه لازم يكون تحت سقفكم.

توترت الأم، عكس «صالح» الذي أدرك ما ترمي إليه الجدة، ليبتسم في سعادة:

-طيب تشربي إيه الأول؟

-ولا حاجه يا حبيبتي، أنا جايه أقولكم كلمتين.

-خير يا حاجه قلقتينا.

-خير، كل الخير يا حبيبتي، أنا جايه أطلب إيد بنتكم لحفيدي.

قالتها الجدة، لتبتسم الأم في فرحة عارمة، بينما ظل «صالح» يضحك، لتعلق

الجدة في استياء:

-في إيه يا «صالح»؟ هو أنا قلت حاجه تضحك؟

أحرجت الأم معاتبة زوجها:

-في إيه يا «صالح»؟

-يا جماعه أنا بضحك عليكم إنتوا الاتنين، أصل «طاهر» فاتحني في الموضوع النهارده في صلاة العصر.

-«طاهر»؟!!!

قالتها الجدة مصدومة، ليشحب لونها، بينما علقت الأم:

-وماتقوليش يا «صالح»؟

-هو أنا لحقت يا وليه.

قالها لزوجته قبل أن يلاحظ أعياء الجدة.

-مالك يا حاجه في حاجه ولّا إيه؟

كادت الجدة تفقد وعيها لتنزعج الأم وتذهب لتحضر لها الماء، لتبدأ الجدة في الاتزان، قبل أن تقول:

-معلش يا جماعه السن بس.

-ألف سلامه عليكي يا حاجه، وبعدين هو ده يوم تتعبي فيه؟ ده انتي هاتجوزي الحيله.

-انت اتفقت مع «طاهر» على إيه يا «صالح»؟

-يا حاجه أنا مش هلاقي في الدنيا أحسن من «طاهر»، ده دين ومال وجاه وأخلاق، أنا ما بشوفوش غير في الجامع.

قالها «صالح» وسكت لحظة ثم تابع:

-أنا كنت مستني بس إن الكبيره تفاتحني بنفسها وآهو حصل.

-يعني إيه يا «صالح»؟

-يعني مبروك علينا «طاهر» يا حاجه، زغرطي يا وليه.

قالها «صالح» واحتفلت الأم، بينما آثرت الجدة السكوت عن الحقيقة المرة التي لا يعرفها إلا هي.

***

-وحضرتك وافقتي على الجواز من «طاهر» فعلًا؟

قالها الدكتور «فهد» لِـ «فريدة» التي كانت لا تزال تقص عليه الحقيقة.

-حضرتك إيه بقى بعد كل اللي حكيتهولك ده؟

-يا فندم ماتتكسفيش، أنا دكتور نفسي ومتفهم.

-عارف يا دكتور «فهد» أنا ليه حكيتلك كل حاجه بدون تكليف؟

-ليه يا فندم؟

-طبعًا حضرتك غني عن التعريف، وأنا لسه شايفه في الأخبار إن البنت اللي اسمها «ملك» في مصحتك.

-الحمد لله يا فندم.

-بس مش ده اللي خلاني أحكيلك، ولا حتى عشان أطمن على «خالد».

سكتت «فريدة» لحظة ثم توقفت أمام مرآة موضوعة بجانب الباب.

-أنا بحكيلك عشان أنا محتاجه أحكي، أنا كنت بستخير ربنا امبارح إني أزور دكتور نفسي.

اقتربت من «فهد» وجلست مرة أخرى قائلة:

-تخيل بقى لما بعد الاستخاره ربنا يبعتلي لغاية عندي أشهر دكتور في مصر اللي الناس كلها بتتكلم عنه!

أرضت كلماتها غروره فشعر بفخر ومودة، كما استطعت أنا جذبه لجمالها

المستور، لأرسل خياله في منحنيات هذا الجسد المغطى، لتكمل «فريدة» حكايتها، بينما يستمع هو لصدرها الحنون.

***

-يعني إيه يا بابا أتجوز واحد مابحبوش!

قالتها «فريدة» لتصدم والدها «صالح» بفكرها، وَتخرج للمرة الأولى عن طوعه، فيتذكر ما كانت تفعل معه أختها «أشجان».

-انتي هاتعملي زي أختك وتنقي واحد جربوع زي «راغب»؟ أنا آسف يا «فريدة»، أنا مش هاكرر غلطتي مرتين.

-يا بابا.

-بلا بابا بلا زفت، هاتتجوزي «طاهر» ورجلك فوق رقبتك.

قالها «صالح» وترك غرفة «فريدة»، بينما دخلت «أشجان» لأختها بعد خروج والدها الذي لم يعطها أي اهتمام كالعادة، فتقترب «أشجان» إلى أختها التي أغلقت الغرفة، واتجهت إلى الخزانة لتخرج من أسفل الدرج لوحات عاشقها الذي تجهله، لتحتضنها «أشجان».

-عايز يكسرني يا «أشجان»، مش عايز يخليني أشوف سعادتي زيك، ماله جوازك؟ ما انتي سعيده ومتهنيه مع جوزك أهو ولّا يعني عشان مخلفتوش؟ ده مش ذنبك.

سكتت «أشجان» دامعة العين، فلم تكن «فريدة» تعلم أن «أشجان» هي من تستعمل موانع الحمل، فلم تكن تشعر بالأمان كما ظن الجميع.

***

من داخل شقة «عشق» وقف «راغب» غاضبًا ينهال عليها بالسباب واللعن، لتقف هي متحدية إياه قائلة:

-مش هانزله يا «راغب» وهاتعترف بالولد.

-انتي أكيد مجنونه، أنا لو كنت عايز أخلف كنت خلفت من مراتي يا هانم،

مش من واحده مومس زيك.

-آه يا كلب يا واطي.

-اخرسي.

قالها «راغب» صارخًا، صافعًا إياها على وجهها، كاسرًا من كرامتها لتظل هي تضرب فيه بكل ما أوتيت من قوة، ليلطم «راغب» وجهها بقبضة يده، لتقع «عشق» أرضًا قبل أن ينصرف هو تاركًا إياها مع ابني الذي زرعته من منيي في رحمها الزاني، لتزداد هي من طاعتي، منتقمة لكرامتها التي كسرها هذا الفنان الفارغ.

***

ظل «خالد» صامتًا أمام جدته التي باركت زيجة «فريدة» من «طاهر» لتكسر قلب «خالد» الذي وقف ـ منكسرًا ـ ليقول ـ:

-يعني إيه؟ يعني أسيب البيت كام يوم، أرجع ألاقي أخويا وارثني بالحياه! ده يبقى حرام، حرام، حراااام.

-كفايه يا بني بقى، كنت عايزني أعمل إيه وأنا عند الناس؟ كنت عايزني أقول الحقيقه؟ طيب والله لأقولهم السر.

-لا، لا يا جدتي مابقاش ينفع ولا يفيد في حاجه.

-لأ هاقولهم، وهما أصحاب القرار، وهي كمان من حقها تعرف وتختار، ده جواز مش لعب عيال.

-لا يا جدتي، السر ده سري أنا، خلاص مبروك على «طاهر» «فريدة»، بس لازم تفهمي إني كان عندي حق إني أسيب البيت، ومن النهارده ممكن تعتبروني ميت.

-«خاااالد» لو معقلتش والله لأقولهم السر.

-إبقي فكري تعمليها وأنا هابقى أصورلك قتيل هنا.

قالها «خالد» وانصرف، بينما ظلت الجدة تناديه في ضعف:

-يا ابني حرام عليك اللي بتعملوه فيا ده، حراام.

دمعت عينا «خالد» من غرفته في المصحة لتهدئ من روعه «نور» التي ربتت على كتفه في حنان معتاد تجاه مرضاها.

-عشان كده كنت عنيف مع «حنين».

نظر «خالد» أرضًا في خجل.

-فكرتني بجدتي اللي كانت عايزه تقولهم الحقيقه وتكشف السر.

-سر إيه يا «خالد»؟

-«سر الثالوث الأوحد».

***

كانت الجدة قد حسمت أمرها وقررت كشف السر لـ«فريدة» ووالديها، فلم تكن تتحمل فكرة الظلم التي زرعها «خالد» في عقلها، فإن اكتشفت «فريدة» الحقيقة لاحقًا ستتدمر الأسرة كلها، ولن تتحمل ظهور «خالد» لاحقًا في حياتها بعد الزواج من «طاهر»، وقد تأكدت الجدة من تفاقم الموقف بعد ظهور «خالد» معترفًا لها بحب «فريدة».

ارتدت الجدة ملابسها بعدما حددت موعدًا مع «صالح» وزوجته بخصوص شيء هام، لتمسك الجدة بهاتفها القديم مرة أخرى، وتخرج رقمًا مكتوبًا في أجندتها متصلة به مرة أخرى:

-أيوه يا حبيبتي «صالح» وصل، طيب أنا خلاص على السلم آهو طالعالكوا، تسلميلي يا حبيبتي مع السلامه.

قالتها الجدة وأوقفت الاتصال، لتلتفت إلى باب غرفتها فتجده واقفًا أمامها بشحمه ولحمه.

-«طاهر»؟!

لم يجب (هو) وظل واقفًا عند الباب سادًّا طريقها، ليزيد من ذعرها قائلة:

-«خالد»؟!

لم يجب (هو) وآثر الصمت، لتبدأ هي في الانهيار.

-أنا مكنتش هاقول حاجه، سرك في بير يا حبيبي، سرك في بير.

قالتها مبتعدة إلى سريرها.

-أنا جدتك يا حبيبي، انت ملكش غيري في الدنيا.

قالتها له بترجٍّ، ليقترب (هو) منها أكثر، لتدمع عيناها.

-يا بني ده أنا اللي ربيتك.

-ومين قال إنك عرفتي تربيني؟

قالها (هو) هاجمًا على جدته التي وقعت على السرير، ليمسك (هو) بوسادتها البالية، وَيضعها على رأسها مانعًا إياها من التنفس، لتظل والدة أبيه تصارع يد حفيدها الذي أمرته بدفن السر، لينسى دمه ورحمه، وأنا أذكره بكل مساوئ الجدة، ليزيد (هو) من إحكام قبضته عليها، فيزهق (هو) روحها التي استقبلها ابنها الوحيد معتذرًا لما بدا من خلفه الطالح، فمنذ بداية الخليقة والخلق يتحاربون «من أجل ذلك» منذ مقتل هابيل على يد أخيه قابيل.

***

-يعني انت قتلت جدتك؟

قالتها «نور» منزعجة بعدما كانت القصة ممتعة.

-لأ يا «نور» مش أنا، ده (هو).

-و(هو) ده اللي كان هايقتل «حنين» الصبح؟

أحرج «خالد» وتوتر متسائلًا:

-هو أنا كنت هأذي «حنين»؟!

-«حنين» كانت هاتموت في إيدك الصبح يا «خالد».

-لااااا.

قالها «خالد» وهو ينظر إلى نفسه بالمرآة ثم توجَّه إليها بقبضته صارخًا ليكسرها جارحًا كلتا يديه، بزجاجها الذي قشر طبقات جلد أنامله.

-حرام عليك، حرام عليك، سيبني...إعتقني، إعتنقي، إعتقني بقى حرام عليك.

قالها ووقع أرضًا ومن خلفه «نور» تحاول الإمساك به متوترة من جرح يديه.

-إهدى يا «خالد» إهدى يا «خالد»، يا أمن يا حرس.

قالتها «نور» صارخة، ليظهر الحراس الذين ساعدوها على ربط أطراف أصابعه المجروحة بالزجاج بعد تطهيرها، لتستطيع «نور» مداواة جراحه الخارجية التي استطاعوا الوصول إليها، بعدما فشلوا في الوصول إلى عمق جرحه الداخلية الذي لا يزال يخفيها.

***

«التاريخ في الوقت الحاضر ١٢ أكتوبر الساعة ٧ مساءً»

(٢٦)

دخل اللواء «فاروق» إلى غرفة مظلمة لا يستطيع دخولها غيري، لا تحتوي إلا على منضدة دائرية أسفل وحدة إضاءة خافتة، وكرسيين جلس على أحدهما بعدما تحرك بخطوات يعكس من صداها برودة الأرضية التي توغلت عظام «عاصي» الذي كان يجلس على الكرسي الأخر في تحدٍ ينتظر القادم دون خوف أو رهبة. ظل اللواء «فاروق» يتأمل ملامح «عاصي» الليبي باحثًا في عينيه عن مدخل له أو ثغرة يستطيع الولوج منها إلى خبايا عقله، بينما أوصد الحراس الباب ليصبحا معي ثلاثتنا دون رابع، ليبدأ اللواء «فاروق» بكسر الجليد قائلًا:

-سلام عليكم.

-وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته.

قالها «عاصي» في فخر.

-تحب أندهك «عاصي» ولا بإسمك الحركي؟

-«عاصي» مظبوط.

-في حد هنا ضايقك يا «عاصي»؟

ابتسم «عاصي» ساخرًا، ليكرر اللواء «فاروق» في حزم:

-أنا بسألك.

-لأ مفيش.

-ومفيش حد هايئذيك، وده مش هايغير حاجه في إنك قتلت من رجالتنا.

سكت اللواء «فاروق» لحظة وتابع:

-حسابك هايكون في المحكمه مش هنا، وأنا عارف إني مش هاعرف آخد

منك أي معلومات ولا بالقسوه ولا باللين، أنا جايلك بنفسي عشان حاجه تانيه خالص..... أنا عايز أفهم.

***

-بابا استغرب لما جدة «طاهر» اتأخرت.

قالتها «فريدة» لـ«فهد» الذي كان لا يزال يستمع لها في سعادة يجهل مصدرها، لتتابع هي من صالون منزل الجدة القتيلة، ومن نفس المكان الذي كانت دائمًا تسكنه.

-ونزل يطمن عليها، ولما نزل لقى الباب مفتوح، دخل بفضول كعادته ولقى جدة «طاهر» متوفيه في أوضتها و«طاهر» واقع جنبها مغمى عليه.

-مغمى عليه إزاي؟

-تقريبًا من الخضه أو الصدمه، والدكتور اللي جيه يتأكد من وفاة جدته، أكدلنا ساعتها إن «طاهر» جاتله كومة سكر.

في اندهاش تساءل «فهد»:

-هو «طاهر» كان مريض سكر؟

-آه فعلًا، إتأكدنا بعد كده إنه مريض سكر.

-ودي حاجه ما منعتش والدك من رفض الجوازه؟

-بالعكس، دي يمكن الحاجه اللي خليتنا نوافق.

قالتها «فريدة» ببراءة، ليبتسم الدكتور «فهد» لها بإعجاب شديد.

***

-أنا عايز أشوف «حنين».

قالها «خالد» ناظرًا إلى يديه المربوطتين بـ«الشاش» اللتين ضمدتهما «نور» أنفًا، لتنظر إليه في شك.

-أرجوكي يا «نور» أنا محتاج أعتذر لها.

سكتت «نور» لحظات وهي تنظر إلى رسومات الغرفة.

-أرجوكي يا «نور» وأنا فعلًا هاحكيلك كل اللي انتي عايزاه.

ابتسمت «نور» قائلة:

-النهارده؟

نظر «خالد» إلى السماء المظلمة قبل أن يومئ لها موافقًا، لتتحرك «نور» وتخرج من الغرفة فتلقي نظرة إلى الطرقة قبل أن تعود إليه مشيرة له ليصطحبها، يتحرك «خالد» متألمًا بيديه المربوطتان في «الشاش»، ليخرج معها متكئًا عليها ببطء، ويبدأ رحلة قصيرة من حولنا في هذه الطرقة الخبيثة، طرقة الطابق الثالث ذاتها، التي تضم بين جنباتها «سر الثالوث الأوحد»

***

كان اللواء «فاروق» قد استطاع كسب أرضية هائلة في قلب «عاصي» الذي بدأ يتقبل الحوار.

-أنا الليبي «عاصي عبد الله» من «درنة»، مواليد ١٩٩٥/٧/٦، حاصل على ليسانس في اللغة العربية.

-انت سلفي يا «عاصي»؟

-لا، أنا معتنق الفكر الجهادي.

نظر له اللواء «فاروق» مبتسمًا ليوضح «عاصي»:

-تيار سلفي جهادي.

-اشتركت في عمليات في ليبيا قبل كده؟

-نعم.. شاركت في عمليات ضد قوات «القذافي».

-يعني اتدربت على حمل السلاح؟

-هو الشعب الليبي بطبيعته مدرب، من طبيعته يضرب على سلاح يعني.

-طيب يا «عاصي» شاب زيك من مدينة «درنة» وعنده إيمان بالفكر الجهادي وبيعرف يحمل سلاح، فيه أي تنظيم معين حاول يستقطبك؟

-نعم، مجلس شورى مجاهدي «درنة».

-يعني عملت اشتباكات في ليبيا قبل ما تيجي مصر؟

-نعم.

-وقتلت فيها؟

-نعم، في «سرت».

-طيب يا «عاصي» ضميرك ماأنبكش إنك قتلت حد من بلدك ومن دينك؟

-لو هانتكلم عن بلدي، ما الرسول عليه الصلاة والسلام قاتل أعمامه.

-بس دول كانوا كفار يا «عاصي».

-بالظبط.

-يعني الرجال اللي قاتلتهم في ليبيا، عندك زي كفار قريش؟

-لا، في اختلاف، كفار قريش كانوا كفار أصليين.

قالها بسطحية ليبتسم اللواء «فاروق».

***

-يعني وافقتي على «طاهر» فعلًا؟

قالها الدكتور «فهد» لـ«فريدة» متسائلًا، فأجابته بما حدث في غرفتها، عندما كانت تجالس «عشق» وأختها «أشجان».

-إوعي تخلي حد يفرض عليكي حاجه انتي مش حاباها يا «فريدة».

قالتها «عشق» لـ«فريدة» التي كانت منهكة تبكي بغزارة قبل أن تتدخل

«أشجان» بهدوء وانكسار:

-بس ماما وبابا مش أي حد يا «عشق».

في اندهاش علقت «فريدة»:

-انتي اللي بتقولي كده يا «أشجان»؟!

-أيوه أنا يا «فريدة»، زي ما أنا أكتر واحده وقفت في وش بابا، إلا إني فعلًا ندمانه.

-ندمانه!

قالتها «عشق» بسعادة ودهاء.

-أيوه ندمانه، بابا كان عنده حق، كان لازم أعرف إن زي ما الحب مهم، الأخلاق والدين الأهم.

قالتها «أشجان» مغضبة إياي، وهي تدمع هي الأخرى، قبل أن يسمع الجميع طرقًا على الباب، لتذهب «أشجان» وتفتحه.

-خليكي يا «أشجان».

قالتها «عشق» وأسرعت إلى الباب لتفتحه، لتجد عشيقها والد جنينها واقفًا أمامها في ذهول!

-مش قلتلك هاترجع؟

قالتها «عشق» بصوت منخفض، قبل أن تكررها «أشجان» بصوت واضح.

-انت جيت يا «راغب»؟

كان «راغب» بالفعل قد شعر بعجزه أمام هذه الداهية الذي كان يجهل معرفتها بأخت زوجته، ليردخ لها بعد ذلك ملبيًا طلباتها، فقط لتستر سرهما.

***

من داخل غرفة «حنين» كانت تجلس على سريرها مبتسمة للأختين اللتين عبرتا مع «ملك» أمام بابها في الطرقة الخارجية، طرقة الطابق الثالث، لترد

الثلاث الابتسامة إليها، قبل أن يختفين بين طيات الطرقة، التي شردت «حنين» فيها لتناديها «نور» قائلة:

-يا ماما «حنين»!

-ها.. معلش.
-أنا آسف يا فندم.

قالها «خالد» الذي توقف بجانبها في انكسار ينظر أرضًا كالتلميذ المشاغب، لتجيبه «حنين» بابتسامة لاحظتها «نور» بحكم مهنتها.

-قولي يا ماما.

علق «خالد» دامع العين:

-ماما! أنا نسيت الكلمه دي من زمان.

-أنا كمان نسيتها بس مش من زمان أوي.

قالتها وابتسمت متابعة:

-على فكره أنا ناسيه اللي حصل أصلًا.

استغلت «نور» الموقف بطبيعة عملها لتحاول معرفة ما تخفيه هذه السيدة العجوز التي قصت عليهم قصتها، فلقد طلقت «حنين» من حب عمرها الذي عاشت معه أسعد أيام حياتها، الأيام التي تعيش من أجل ذكراها إلى الآن، قبل أن يفرض والداها عليهما الطلاق، نظرًا لتأخر إنجابهما، ليتزوج كل منهما من آخر، ليكرم الخالق «حنين» بطفلين، وطليقها بطفل وحيد، ومن ثَمَّ تبدأ المأساة، فقد كان زوج «حنين» الثاني رجلا من ذوي النفوذ في الدولة، أفقدها كل حقوقها معذبًا إياها صباحًا ومساءً بجبروته وتحكمه، لتفقد «حنين» كل اهتمامها بالحياة، وَتعيش خادمة لأبنائها وزوجها الذي توفي قبيل سنوات عديدة بهذا المرض الخبيث الذي لا يرحم عزيزًا أو غاليًا.

-وهو انتي حبتيه يا «حنين»؟

-العِشره مابتهنش، وتلاتين سنه من شبابي أكيد مش شويه.

قالتها «حنين» قبل أن يطرق «نبيل» الباب المُوارب في هدوء.

-أهلًا يا أستاذ «نبيل»، اتفضل.

قالتها «نور» ليدخل «نبيل» المكان حاملًا وردة بيضاء، وضعها بجانب «حنين» التي ابتسمت قائلة:

-الله!! أنا بموت في الورد.

-عارف.

قالها «نبيل» قبل أن يتوجه بكلامه لـ«نور»، معطيًا إياها هاتفه الخلوي.

-الدكتور «فهد» كان بيحاول يتصل بحضرتك وهو معايا على التليفون.

أخذت «نور» الهاتف وخرجت إلى الطرقة الخارجية لتجيب الدكتور «فهد» الذي حادثها من شقة الجدة بجوار «فريدة» قائلا:

-«نور» مش هاتصدقي اللي أنا عرفته.

-انت اللي مش هاتصدق اللي أنا عرفته.

-هو اتكلم معاكي؟

-آه.. وهي اتكلمت معاك؟

ضحك الدكتور «فهد» الذي كان بعيدًا عن «فريدة» من أمام غرفة «خالد» القديمة ليقول:

-واضح إنه اتكلم معاكي بجد.

-هه.. عشان تعرف بتوع علم النفس ممكن يعملوا إيه.

-خلاص بلاش يبقى قلبك أسود أوي كده، بقولك إيه، أنا شكلي هاتأخر شويه، الوليه ما صدقت حد تكلمه مابطلتش كلام.

-وطبعًا صعبت على قلبك الكبير.

قالتها «نور» بدهاء المرأة، ليسكت الدكتور «فهد» وهو ينظر إلى «فريدة» التي دخلت تطمئن على ابنتها لتتركه بضع دقائق، شعر فيها الدكتور «فهد» بوحدة غريبة جهل سببها.

-«فهد»!

-ها معلش يا حبيبتي.

-حبيبتك! مالك يا دكتور «فهد»؟!

-معلش معلش أنا آسف يا «نور» انتي عارفه أنا صاحي من بدري جدًّا وجيت لغاية مصر سايق ولغاية دلوقتي مانمتش ولا ريحت دقيقه.

-واضح.

-عشان كده أنا أكيد هابات وهاقابل «فريدة» تاني الصبح قبل ما أرجع لو مخلصتش كلامي معاها النهارده.

-ماشي يا دنجوان.

-انتي في إيه ولَّا إيه؟ خلي بالك الداخلية أعلنت عن مكان «ملك» والمكان بقى متلغم عساكر، مش عايز مخلوق يعرف حاجه عن «خالد» لغاية لما أرجع وأفهمك كل حاجه.

-مفهوم يا دكتور.

-وبقولك إيه صحيح.. خلي بالك من «حنين» انتي فاهمه هي أد إيه تهم «نبيل» وأنا محتاجه مركز اليومين دول.

-تهم «نبيل»؟!

قالتها متسائلة قبل أن ترجع «فريدة» ليغلق العاشق الخط، لتدخل «نور» مندهشة إلى الداخل معطية «نبيل» هاتفه ليسألها في اهتمام.

-طمنيني يا دكتوره، أخبار مدام «حنين» إيه؟

نظرت «نور» إليه باندهاش.

-تمام تمام.

-البركة فيكي بقى.

قالها وهو ينظر إلى «حنين» التي قالت:

-حضرتك دكتور؟

-أنا!

-الأستاذ «نبيل» مدير المصحه.

قالتها «نور» لتعلق «حنين» مندهشة:

-مصحه؟!

ليرد «نبيل» مطمئنًا إياها.

-ماتخفيش يا «حنين» انتي مش لوحدك هنا.

لتتفهم «نور» ما يحدث للتو.

***

«التاريخ في الوقت الحاضر ١٢ أكتوبر الساعة ٨ مساءً»

(٢٧)

تابع «عاصي» شرح عقيدته للواء «فاروق» الذي كان يستقبل هذا الفكر بهدوء وحرفية شديدة.

-ما هو زي ما في نواقض وضوء، الإسلام كذلك ليه نواقض، زي ما شرح «ابن تيمية».

-يعني انت يا «عاصي» لما تحط قنبله في عربيه ويموت فيها ست سبع أشخاص، ضميرك مش بيأنبك إن أولاد ضحاياك اتيتموا وأرزاقهم اتقطعت؟

-انت بتتكلم من ناحيه عاطفيه؟ أنا أمشي معاك من الناحيه العاطفيه.

-لا أنا بتكلم بإنسانيه، يعني ربنا كرم الإنسان بعقله وبضميره.

-لا.. الإكرام بالتقوى زي ما جاء في القرآن.

-لا «إن وحيدكم عند الله أتقاكم»، دي حاجه تانيه يا «عاصي» أنا بتكلم إن الله كرم الإنسان بزينة العقل والضمير.

-ما هو أنا لو قتلت حد بالمنظور ده، نجد إني مش هابقى قاتل، لكن أنا قتلته بمنظور عقدي.

-عقدي!

كررها اللواء «فاروق» مستغفرًا ربه، ليبدأ في الانزعاج قائلًا:

-انت شايف إن عندك رخصه عقديه بالقتل؟

-طبعًا، وده كله جاء عن علم مش عن جهل، أسئلة والعلماء جاوبونا بأدله وأسانيد.

-المشكله مش في العلماء يا «عاصي»، المشكله في مفهومك انت؟ طيب انت ماسألتش نفسك ليه انت بس اللي فهمت كلام ربنا كده؟

في ثقة وفخر أجاب «عاصي»:

-مش ربنا قال «ولكن أكثرهم لا يعلمون»، يعني أكتر الناس مايعرفوش الحق، لكن أنا الحمد لله بستند على أقوال العلماء والفقهاء في توضيح أحاديث الرسول عليه الصلاة والسلام.

-عليه الصلاة والسلام، يعني انت معتقد إن الناس اللي انت قتلتهم في ليبيا، دمهم حلال؟

-حلال بأدله شرعية، زي الدفاع عن العرض.

-وتعتقد إن مثواك الجنة؟

-الله أعلم، لكن نحتسب على الله إنه يدخلنا الجنه إن شاء الله.

-يعني شايف إنك هاتجازى خير على قتلك مسلمين من أهل بلدك؟

-إن شاء الله، بإذن الرحمن.

***

من داخل غرفة «خالد» بالمصحة عادت «نور» لتستمع إلى باقي قصته في فضول فاق أيامها السابقة.

-كمل يا «خالد».. إيه اللي حصل يوم عزا جدتك؟

قالتها لتتركه لخياله ليقص عليها ما حدث فيَ هذا اليوم المشؤوم الذي حدده «طاهر» في شقة العجوز، فلقد ظهر «خالد» في هذا اليوم قبيل العزاء بساعات قليلة وهو في حالة من الحزن الشديد والأسى، دامع العينين حزين القلب، ليستقبله «طاهر» الذي كان يجلس مكان الفقيدة.

-أخيرًا ظهرت؟!

-وتفرق بإيه يا ابن أمي وأبويا؟

وقف «طاهر» واقترب من «خالد» قائلًا:

-كويس إنك لسه فاكر.

-قول لنفسك.

-وهو أنا إيه اللي نساني؟

-انت عارف كويس، بطل بقى تسرق مني كل حاجه لنفسك، بطل أنانيه وافترا بقى.

-بطل انت يا أخي تخليني شماعه تعلق عليها فشلك وضعفك.

-هابطل يا «طاهر» أنا مش جاي عشانك.

سكت «خالد» ونظر إلى صورة معلقة لجدته قبل أن يتابع:

-ولا عشانها يا «طاهر»، أنا جاي آخد بقيت حاجتي وأسيبهالك وأمشي.

قالها «خالد» ودخل غرفته بالفعل ليأخذ أغراضه داخل حقيبة سفر كبيرة، بعدما قرر طي هذه الصفحة من حياته، ليبدأ من جديد بعيدًا عن نصفه الآخر الذي ظلمه مستغلًا ضعفه وحسه المرهف، لأذكره أنا بما فعل به «طاهر» من جديد وهو يبحث عن باقي متعلقاته الثمينة، لينتهي سريعًا مغلقًا الحقيبة ليخرج في غضب وسط ذهول «طاهر» الذي لم يعهد عليه مثل هذه الجرأة، ليصرخ في «خالد»:

-«خالد».. النهارده عزا جدتك.

-جدتك انت يا «طاهر»، أنا مليش وجود، ودي آخر مره هاتشوفني فيها.

قالها «خالد»، ليصمت ثلاثتنا لحظات متسمرين دون حراك، راهبين الموقف قبل أن أقول على لسان «خالد»:

-آخر حاجه كانت بتربطني بيكوا خلاص... ماتت.

قالها غاضبًا وخرج بحقيبته ليغلق الباب بعده بقوة غاشمة، كسرت زجاج الشراعة، مُحدثًا دويًا أرهبِ «فريدة» التي كانت على السلم تتنصتٍ على حديثهما، لتنزل السلالم بحثًا عن إجابات لفضولها، لتجد «طاهر» واقفًا عند الباب ينظر إلى الزجاج المكسور في استياء، قبل أن ينتبه إلى «فريدة».

-آنسة «فريدة»!

-سلامو عليكو يا «طاهر» خير كنت بتتخانق مع مين؟ صوتك جايب آخر الشارع.

-ولا حاجه ده كان «خالد» أخويا.

-أخوك؟!

-آه أخويا التوأم.

قالها وهو ينظر إلى جمالها باستحياء، لتبدأ «فريدة» تغير من نظرتها للأمور متخلية عن هذا الرسام العاشق الذي تجهل من يكون.

***

-يعني دي كانت أول مره تشوفي فيها «خالد» يا «فريدة»؟

سألها الدكتور «فهد» باحثًا عن ثغرة ما، قبل أن تهدم «فريدة» كل أحلامه وآماله.

-أيوه بس مش آخر مره.

-يعني فعلًا «خالد» ليه وجود؟

ضحكت «فريدة» قائلة:

-طبعًا ليه وجود، مش بتقول عندك في المصحه؟

-أصل...

قاطعته متفهمة:

-أنا عارفه قصدك كويس، وفكرت زيك كتير، «طاهر» و«خالد» اتنين، واتنين مختلفين في كل حاجه، إلا حاجه واحده بس.

في فضول رهيب بحث «فهد» عن إجابة:

-إيه يا «فريدة» هانم؟

ابتسمت لتقول ما يزعجني:

-شيطانهم.... شيطانهم كان واحد!!

***

أخرج اللواء «فاروق» سيجارة من علبته ليشعلها مستنشقًا هواء تبغها، ثم أخرج أخرى معطيًا إياها «عاصي» الذي رفض قائلًا:

-أستغفر الله العظيم.

أحرج اللواء «فاروق» موافقًا إياه قائلًا:

-عندك حق والله يابني، بس هي شغلتنا اللي بتوترنا وبتعودنا على الهباب ده.

قالها مُطفئًا سيجارته، ليبتسم له «عاصي».

-طيب إيه بقى يا «عاصي» كانت نقطة التحول ودخولك في تنظيم بيحمل السلاح؟

-ما انتوا عارفين، الشيخ «دياب».

قالها «عاصي» موترًا من اللواء «فاروق».

-شيخ؟!

-نعم.. هو كان في الوقت ده في ليبيا وكان بيساعد في المجلس.

-انت عارف إيه أصول «دياب» الفكريه؟

-هو تبع تنظيم الدوله.

-تبع «داعش» يعني؟

-نعم.

-وبعدين؟

-بايعناه على السمع والطاعه.

-السمع والطاعه!!

***

من صحراء «ليبيا»، وبالتحديد في عام ٢٠١٥ وتحت أشعة الشمس الناقمة والحر الشديد الذي ترسله إلى الأرض غضبًا، تحركت سيارة «دياب» ظهرًا إلى الغرب متوجهًا إلى «سرت»، هذه المدينة المسالمة التي تطل على البحر المتوسط. كان قد خطط مسبقًا لهذه العملية، إلا أنه كان ينتظر يد العون الملوثة لتطبيق ما أمليه عليه، حتى جاءه هذا السند الذي أرسلته له أخيرًا، مسخرًا إياه لخدمة عبدي المطيع، ليقوى «دياب» به، بمساعدته (هو) الذي كان يقود السيارة في صمت، متبعًا جهاز ال»جي بي إس»، باحثًا عن منزل ما، منزل يؤمن أهله بالصليب وبالثالوث الأوحد، ليحدده (هو) أخيرًا، متوجهًا إليه مع «دياب» ومن خلفهما سيارات تابعيهم، على طرق أسفلتية غطتها رمال الصحراء التي كانت تعبث في المكان لعجز نسيم البحر عن طردها، حال أهل المدينة الذين هرعوا إلى بيوتهم هاربين من سخط القادمين في الظهيرة ليعيثوا في الأرض خرابًا. فلقد كان جميع رجال «دياب» يشهرون أسلحتهم من داخل سياراتهم نظرًا لافتقار الدولة لأي رادع أو نظام، فيعرفهم الجميع من فورهم وهم ينشرون فسادهم، فلقد كان رجال «دياب» يعجزون عن السيطرة على ظلمهم وتوجيهاتي. فيُخْرِجُ هذا الطفل ذو الاثني عشر عامًا بندقيته من النافذة، وينظر إلى جميعِ الفارين بسعادة نصر ونشوة ممتعة، مستمتعًا بقوة زائفة، ليبدأ هذا الطفل في تحديد هدف أكثر صعوبةً من هدف الأمس الذي أصابه بسرعة فائقة، فقد كانت ضحية أمس سيدةً عجوزًا تعجز عن الحركة، أما الآن فقد صارت تلك السيدة التي تحمل رضيعها هدفه الأصعب، ليطلق طلقة محذرة إياها، فتتنبَّه السيدة وتبدأ في الهرولة ليستمتع الطفل بلعبته التي كان يحب أن يلعبها على حاسوبه بالمنزل قبل أن يُقتل والداه، فتتبناه تلك الجماعة التي يجهل أنهم قتلة والديه. رغم تحرك السيارة وهرولة السيدة المفزوعة، إلا أن دقة تصويب الطفل وحسن تدريبه مكنت طلقته من الوصول لهدفها، هذا الرأس الصغير الذي تحتضنه هذه السيدة التي شعرت بأنفاس رضيعها الأخير بين يديها دون أن يصيبها الطفل

بخدش، فلقد تعلم على يديَّ دروسه، مدركًا سوء هذا العالم الذي صرت أحكمه، ليختار لهذا الرضيع منزلًا أفضل، ومع تعالي صرخات الأم الثكلى، تعالت أصوات التهليل لمهارة هذا الطفل الذي صار قاتلًا بارعًا.

بعد عدة شوارع، دخل (هو) إلى دروب المدينة، إلى حي فقير لا يرى البحر، ليتوقف (هو) عند منزل من طابقين مغطى بحلاية من الحجر والجبس المتهالك، ليخرج «دياب» ومن بعده (هو) يتعلم من قائده وإن كان العكس صحيحًا أيضًا، ليتبعهما الجميع إلى الداخل، حيث كان للمبنى فناءٌ سماوي ربَّى فيه السكان بعض الطيور التي شعرت بما يحدث، فلم يكن «دياب» يحتاج لكثير من الوقت ليتعرف على هؤلاء المصريين الثلاثة الذين لجأوا لـ«سرت» باحثين عن رزق وستر، وإن كان ذنبهم صليبهم الموشوم على أيديهم، ليخرج «دياب» بثلاثتهم مع مساعده الجديد الذي كان لا يزال يشاهد ويتعلم، فيجثو كل من آمن بالثالوث الأوحد على ركبتيه في هذا الصحن الذي غربت منه الشمس حزنًا، ليظلم الفناء وحده دون غيره، وينظر (هو) إلى عيني «دياب» الذي أخرج سكينه مستمتعًا بصرخات الجميع، فيبدأ عملية الذبح بترتيب ممنهج، لتستقبل السماء روحًا تلو الأخرى من هذا الفناء المظلم، قبل أن يخرج الجميع من المكان، تاركين المجال للسكان ليتشاركوا نظرات أخيرة للأجساد الواهية بجانب رؤوس ظلت عيونها مندهشة من ظلم قاتليها، ليتوقف أمام الجثث الثلاث «عاصي» الذي لم يستوعب ما يراه! فلقد كنت أنا في هذا الفناء أملأ المكان مرحًا متراقصًا، حتى سمع «عاصي» كلمات «دياب» من الخارج يردد آيات القرآن بصوت جهير.

-«كُتب عليكم القتال وهو كره لكم».

***

دارى اللواء «فاروق» دمعة فرَّت من عينيه، فلم يكن يتمتع بمثل تلك الرهافة نظرًا لمنصبه الرفيع، ليحاول استعادة نبرة صوته تكرارًا ومرارًا دون أن ينجح، فقد كان إنسانًا قبل أي منصب. تعجب من ثبات «عاصي» الذي كان يقص حكايته بهدوء غريب نظرًا للأحداث، متأملًا إياه لحظة قبل أن يقول:

-يعني انت بايعت «دياب» على السمع والطاعه، عشان قتال قتلة؟

في تعجب نفى «عاصي» التهمة بدافعه العقائدي:

-دول كانوا نصارى يا رجل.

-نصارى؟!

-نعم نصارى لم يدفعوا الجزيه، وكانوا يشاركونا أرزاقنا في خير بلادنا.

-دلوقتي بقت بلدكم يا «عاصي»؟ مش كانت كلها أرض مسلمين؟!

سكت «عاصي» مفكرًا، بينما ظل اللواء «فاروق» ينظر إليه نظرة المريض العقلي الذي تسلبه صحته من إدراك الصواب والخطأ، نظرة الطفل الذي يستقبل ببراءة كل ما نكتب في أذهانهم، متذكرًا حفيده الصغير الذي كان يلهيه اللواء «فاروق» بهاتفه الذكي، ليلعب الطفل بتلك الألعاب الدموية التي كان ينتصر بها كل من زاد قتلاه، ليقول الحفيد لجده في فخر: «جدو.. جدو أنا كسبت، أنا موت كل الأشرار، ضربتهم كلهم بالنار واحد واحد». قبل أن يكسر «عاصي» الصمت قائلًا:

بس «دياب» كان قوي الحجه، وكان عنده أفكار جيده في التيار الجهادي، وهو أقرب للقاعده. بس الشيخ «دياب» كان مختلف، ومنظم.

-منظم إزاي؟

قالها اللواء «فاروق» الذي فقد تركيزه للحظات وهو يخرج هاتفه ليزيل كل ألعاب حفيده من عليه.

***

«التاريخ في الوقت الحاضر ١٢ أكتوبر الساعة ٩ مساءً»

(٢٨)

- وفعلًا «طاهر» أخوك اتجوز «فريدة»؟

قالتها «نور» جارحة كبرياء «خالد» الذي وقف ناحية المرآة ينظر إليها متحيرًا ليعود بالزمان إلى صديقه «حبيب» الذي ظل يضغط عليه، ليشهد على زواج «طاهر» من «فريدة»، بينما ظل «خالد» يرسم في البلكون خطوطا ثائرة لهذا الحيوان ذي الرءوس الثلاثة، ويكمل «خالد» رسم ذيلٍ يمثل وجه الحية الذي أعشقه.

-يا «خالد» ده كتب كتاب توأمك الوحيد.

-بس دي «فريدة» يا «حبيب».

قالها «خالد» صارخًا، فشعر «حبيب» بالحزن الذي ملأ قلب صديقه.

-خلاص زي ما تحب، المهم تحضر فرحي أنا و«كريستين».
ابتسم لصديقه الذي تابع:

-وساعتها يا بطل هاسيبلك الشقه دي تبرطع فيها لوحدك.

-هو انت مش هاتتجوز هنا؟

سكت «حبيب» لحظة ليحاول مواجهة صديقه بما اتفق عليه مع «كريستين».

-احنا هانكتب كتابنا في «شرم الشيخ».

قالها «حبيب» ساخرًا ليقلص من صعوبة ما هو آتٍ.

-تكتب كتابك، انت عبيط يالا، انت مسيحي يا غبي.

قالها «خالد» ساخرًا قبل أن يتسائل.

-واشمعنى «شرم»؟

-أبونا «يوحنا» راح هناك وكمان أنا أهلي وأصحابي هايجوا من «إيطاليا»

مخصوص، عايزهم يجيوا يتفسحوا بالمرة.

سكت لحظة قبل أن يتابع.

-وبعدين هانسكن في «دهب».

-«دهب»؟!

كررها «خالد» مهمومًا، ليشرد مرة أخرى في زواج «طاهر» الذي احتفل بعقد قرانه من «فريدة» في أحد مساجد القاهرة، بعد مرور أسابيع قليلة من وفاة جدته، ليقتصر حضور أصدقائه على «وحيد» الذي أخفق في تحقيق مراد «دياب» وخطته في تجنيد «طاهر» عن طريق «نشوى» التي عجزت عن جذب «طاهر» كما فعلت «فريدة»، المرتدية هذا الفستان الطاهر، الذي لم يخفِ جمالها وإن ستر جسدها، وهي تجلس بجانب والدها؛ ليزوجها، بينما شهدَ على القران من طرف «طاهر» صديقه المنافق «وحيد»، كما شهد من طرف العروس «راغب» زوج «أشجان» التي كانت قد تيقنت من خيانة زوجها لها في تلك الأسابيع الماضية، بينما حضر من أقارب العروس وصديقاتها الكثير وعلى رأسهم «عشق» التي حضرت قبل أن يظهر على بطنها الحمل، ليتوتر «راغب» هاربًا من الموقف بين أدخنة سجائره خارج المسجد، بعدما أنهى المأذون مراسمه، لتخرج له «عشق» في تحدٍ قائلة:

-خدت بطاقتك من المأذون؟

هرب «راغب» من سؤالها، لتكرر في حزم.

-سامعني؟!

-أيوه سامعك، معايا بطاقتي.

-طيب تمام عشان مش عايزة أتأخر على الكوافير.

قالتها ساخرة قبل أن تتابع في إثارة.

-أصل دخلتي على جوزي النهاردة.

ابتسم «راغب» ناسيًا همه ليذوب بها عشقًا، متعجلًا عقد قرانهما بعدما كان كارهه، ليظل يرمقها - مستثارًا - من خارج باب المسجد، قبل أن تظهر

«نشوى» التي جاءت لتبارك للرجل الوحيد الذي رفض جمالها وأكاذيبها، لينظر «طاهر» هو الآخر إلى «نشوى» التي لم تستح بظهورها، لتحفظ في ذهنها صورته حتى لا تنسى ثأرها، قبل أن يغادر العَروسان إلى منزل جدة «طاهر» الذي كان هو محل زواجهما.

***

-يعني اتجوزتي «طاهر» هنا في الشقه دي فعلًا؟

قالها الدكتور «فهد» لـ«فريدة» متسائلًا من صالون شقة الجدة، لتجيب هي بالإيجاب:

-أيوه هنا.

قالتها «فريدة» ووقفت مُتحركةً ناحية باب الشقة لترسل نظرها إلى الطرقة الداخلية المؤدية إلى غرفتهما فتتذكرني.

-وهنا أول مرة شوفته فيها.

-شوفتي مين؟؟

قالها الدكتور «فهد» الذي وقف ليقترب من نظرات «فريدة» إلى الطرقة الداخلية، لتجيبه:

-(هو).

-(هو) مين يا مدام «فريدة»؟!

-الوحش اللي كان محبوس جواهم!

وصفتني «فريدة» كما ترى متناسية ما كان بيننا من أيام وخلوة، فلم يكن يمتعها غيري أنا.

فعندما دخل العروسان إلى شقة الزوجية، وسط تهليل الأهالي الذين صعدوا إلى شقتهما تاركين ابنتهم معي أنا، الراوي والكاتب، لتندهش «فريدة» من حضوري، فلم أصبر حتى أصل بها إلى الغرفة، لأبدأ أنا في خلع طرحتها ونزع ملابسها فور انغلاق الباب علينا، لتصيح هي مندهشة:

-مالك يا «طاهر» في إيه مش كده.

لم أعرف لمَ تناديني «فريدة» باسم «طاهر»، فلست طاهرًا وإن خلقت من نار وليس من طين! ظلت «فريدة» تناديه دون أن يسمعها فلقد كان «طاهر» قد سلمني اللجام لأبدأ أنا رحلتي في اغتصاب هذه المرأة المثيرة وأختراق بكارتها فلقد زرعت حبها في قلب الأول وعقل الآخر، غير مدركين أنه أنا من عشقها، وهام بحبها، أنا من أردتها لإمتاعي، أنا من أدركت منحنيات جسدها، بعد أن عانيت صعوبة نيلها، أنا من استأثرت بعذريتها، فها أنا قد اعتليتها -مقتحمًا خدرها- متمكنًا منها كفارس شديد البأسي يمتطي صهوة فرسه، ممسكًا رأسها بإحكام، وإن كانت فرسًا جامحة لم تُروض بعد؛ لأنطلق بها في بحور متتالية من اللذة والمتعة أزالت كل آلام الفض، لأتبع عمق هذا الرحم الذي اخترقته زارعًا فيه بذوري التي أنتجتها بخصوبة، قبل أن أصل بها إلى غرفتنا، لأظل أنا طارحًا إياها أرضًا بعد افتضاضها، بجانب هذا الحوض، لأطمئن على ثبات ما وضعته بها من مني، ليستقبل هذا العالم وريثًا من صلبي وإن لم يكمل الخالق خلقي منذ البداية، لأنظر له متحديًا قوانين الطبيعة، التي سخرتها أنا لخلق طفل يمثلني بعدما انتزعوا مني أنا الحق في الحياة على هذه الأرض الفاسدة، منتقمًا من قاتليّ، اللذين جهلا «سر الثالوث الأوحد».

***

من مكان أخر في نفس الزمان كان «راغب» يرتوي من «عشق» غرامًا، ساكرًا بمضاجعتها حتى الثمالة بعدما عقد عليها، لينهل من معين لذتها باستمتاع ذائقًا كل تفاصيل جسمها الفاتن للمرة الأولى حلالًا، بعدما ذاق حرامها الذي كنت أزينه لكليهما، لأذكر «عشق» بما فعل هذا الراغب معها، ورفضه الانصياع لمخططها، بل وأستحضر في ذهنها هذه الصفعة التي صفعها إياها، لأبدأ في جني نبتة الثأر وكنت قد غرستها في صدرها ورويتها منذ أمد ليس بالبعيد، مستعينًا بكل مكروه في هذا الرابط الأبدى، لتبدأ هي فيَّ كسر فؤاد الراغب الواقع بين فخذيها يتبع عشقه، بينما هي قد فقدت المتعة الجنسية، وصار في عينيها كذبيحة تنتظر جزارها، ليندهش «راغب» الذي

كان يبادرها عشقًا كالأسير، بينما هي كالجماد تنتظر رعشته الأخيرة، مراقبة ضعفه وهشاشته أمام رغباته وعشقها، لتلقي عنها هذا الجاثم على بطنها وبين فخذيها دافعة إياه أرضًا بقدميها بازدراء، حال المنديل الذي تناولته متتبعة به أثر مائه المتساكب من رحمها، قائلة له بقوة وقسوة.

-طلقني.

***

كان الحوار قد صار ناضجًا رغم عدم تكافئه، فلقد أدلى «عاصي» بالكثير وإن كان كل ما قاله معروفًا من قِبَل اللواء «فاروق» الذي فشل بمعرفة أي معلومات إضافية حتى الآن مكتفيًا بالتحاور، الذي آمن بأهميته.

-مين المجموعه اللي كانت مع «دياب»؟

ابتسم «عاصي» وقال بهدوء:

-إحنا في الجماعات الجهاديه كل شخص له وظيفه ومحدش بيسأل التاني، أنا شخصيًّا معرفش غير اسم «دياب» عشان شهرته، غير كده كل أسماءنا كانت حركيه، أنا شخصيًّا محدش كان يعرف إن اسمي «عاصي»، وده عشان «دياب» كان عارف إننا هاننزل كلنا «مصر» قريب.

-وهو أقنعكم إزاى بالنزول ل»مصر».

-هو أقنعنا إن القصد والهدف هو إقامة الجهاد في «مصر»، وإعلان دولة الخلافه الإسلاميه.

-إقامة الجهاد وإعلان دولة الخلافه الإسلاميه في «مصر»!

كررها اللواء «فاروق» مبتسمًا.

-طبعًا.

-بس ده مصري وانت ليبي بتحارب «حفتر» في ليبيا، إيه علاقتك؟ دي مش معركتك أصلًا يا راجل.

-القضيه إسلام ومسلمين وأرض واحده، مفيش فرق بين مصري وليبي إلا

بالتقوى.

اندهش اللواء «فاروق» قائلًا:

-انت عندك «ليبيا» فيها مشاكل، «درنة» فيها مشاكل، تقوم سايب مدينتك وبلدك اللي فيهم مشاكل وتروح بلد تانيه تحارب فيها؟!

-المشكله مش مشكلة بقعه، المشكله مشكلة أرض الإسلام كلها، ويمكن عندنا مشاكل، لكن عندنا في «ليبيا» من يصدها ويقاوم الظلم، لكن مصر مفيش فيها حد يقاومه.

-يعني انت قررت تقاوم الظلم في مصر عشان هما مش عايزين يقاوموه من وجهة نظرك.

-بالظبط، بس كمان كان في شيء تاني، اللي هي الهجره، الهجره في سبيل الله لها أجر كبير في الإسلام عند الله.

-طيب مش أولى كنت تهاجر من مدينتك ل»بني غازي» ولَّا «طرابلس»، وتحاول تنقذ شعبك؟

-بالعكس.. أنا دخلت في مكان أشد من اللي كنت فيه.

-أشد!

قالها اللواء «فاروق» في تعجب محاولًا فهم ما يرمي إليه «عاصي».

-عشان «مصر» فيها حكومه ودوله.

***

في مدينة درنة بشرق «ليبيا» جمع «دياب» بعضًا من رجاله بعد نجاحهم في عمليات غرب «ليبيا»، ليبث فيهم سمومي، من هذا المكان الصحراوي، تحت السماء المظلمة التي كان يشهد رافعها ما أفعل من عبث، ليشاهد قبيح صنعي كما وعدت وتحديت منذ آلاف السنين.

-قُضي الأمر إن شاء الله.

قالها «دياب» الذي كان يجلس وسط رجاله الذين تعدى عددهم العشرة، عن يمينه جلس (هو) ينظف سلاحه بمهارة فائقة، في حين كان «عاصي» من وسط الرجال ينظر إليه في إعجاب شديد لقوته ورباطة جأشه، وإن كان (هو) قليل الكلام زائدًا من هيبته وغموضه.

-إحنا لازم ننزل «مصر».

توقف (هو) عما كان يفعله، لينظر إلى رئيسه، حال الجميع، ومن بينهم «عاصي» الذي تساءل، فلم يكن يرغب في ترك بلاده:

-ليه «مصر»؟

-عشان مفيهاش حد يرفع الظلم عن أهلها، فيها حكومه كافره ولا يوجد من يردعهم، عكس الحال هنا في ليبيا» ما شاء الله! أصبح الوضع جيدًا وصار من أهل البلاد من يقاوم الظلم ويحاول ردعه، والآن جاء وقت «مصر» لتصير حرة حال «ليبيا» إن شاء الله.

-إن شاء الله.

قالها الجميع، بينما كنت أنا أتراقص من حولهم فرحًا بأبنائي، وأنا أنظر لخالقهم الذي فضلهم على بني جنسي.

-وزي ما إحنا جينا من «مصر» عشان نصرتكم، حان الوقت لهجرتكم لنصرتنا كما فعل الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام

-عليه الصلاة والسلام.

قالها عبيدي سويًّا، فرحين بأجر عظيم لن يناله إلا من رَحِمَ ربُ العالمين.

- أجر الهجرة لهو أجر عظيم، وهذا ما جعلنا نهاجر لأراضيكم من قبل.

سكت لحظة مشيرًا إليه قبل أن يتابع:

-أنا و(هو).

-ومن (هو)؟

قالها «عاصي» مستغلًّا اللحظة ليجيبه «دياب» بحزم:

-نحن جنود الله في الأرض، ولن نتشارك أسماءنا كما تعاهدنا، فكل منا جندي له ما له وعليه ما عليه من واجبات وحقوق، فلا تسأل ولا تجادل يا أخي الكريم، وهذا صديق من «مصر» ولقد اتخذ لنفسه اسمًا وصفة لا يتشاركها إلا القليل.

ابتسم «دياب» مشيرًا إليه في فخر، قبل أن يقول أخيرًا:

-إنه أخوكم في الله، إنه «الكمير».

-«الكمير»!

كررها الجميع في اندهاش، كما فعل اللواء «فاروق» الآن متسائلًا وهو يتابع حديثه مع هذا الأسير الذي كلما أعطاه مساحة للكلام، استغلها «عاصي» بشفافية عقائدية غريبة:

-«الكمير»؟!

-صحيح.

-مين «الكمير» ده؟

-(هو) رجل من أقوى الرجال، (هو) يد الله الباطشة في الأرض، وذراع الشيخ «دياب» في نصرة دين الله.

-مصري؟

-نعم من أهل مصر البارين.

شرد اللواء «فاروق» في وصفه متذكرًا اسم «طاهر» الذي ذكره «وحيد» عند تحقيق المقدم «سيف» معه، قبل أن يسأل سؤاله:

-شكله إيه «الكمير» ده يعني؟

تذكر «عاصي» شكل صديقه ورسمه في خياله، فلقد كان (هو) ملفتًا للنظر، فـ(هو) في منتصف الثلاثينيات، وسيم الملامح وإن بدا مخيفًا، كث اللحية،

أشعث الشعر ذي اللون الأسود حال عينيه، أسمر البشرة، يمتلك أنفًا مدببًا وملامح حادة، كما كان طويلًا قوي البنية، يبعث الرهبة في نفوس ضحاياه، ليظهر الذعر على «عاصي» الذي رفض الحديث وظل صامتًا للحظات حتى تفهم اللواء «فاروق» سكوت «عاصي» ليقول:

-مش قاصد توصفلي شكله إوصفلي سلوكه يعني.

***

-شيطان، شيطان رجيم.

قالتها «فريدة» وهي تصفني لهذا الطبيب المغرور الذي أخذ يواسيها قائلًا:

-محاولتيش تتكلمي مع أهلك وتشرحلهم اللي كان بيُعمله؟

ضحكت «فريدة» دامعة.

-كنت هاقول لأهلي إن جوزي بيغتصبني، ولّا كنت هاقولهم إنه ملبوس ولّا بيتحول؟! «طاهر» ده كان أبويا بيعتبره من أولياء الله الصالحين.

كانت «فريدة» تحاول بالفعل فتح باب الحديث مع والديها، وإن لم يكونا قريبين لهذه الدرجة من ابنتهما رغم تواجدهم سويًا، فقد عاش كل منهم في واد مختلف عن الآخر، لتهرب «فريدة» إلى أحضان صديقتها «عشق» خاصة لتقّص عليها ما حدث من جديد، فقد صار ابني جنينًا في رحمها، ليضعف من فرصة هروبها مني، لأحكم أنا سيطرتي على من أحب.

***

-ده انتي حامل يا «فريدة»!

قالتها «عشق» من داخل غرفة «فريدة» و«طاهر» وهي جالسةٌ على سريرهما تحمل نتيجة اختبار المعمل الذي أكد حملها رغم امتناعها عني منذ الأسبوع الأول لزواجها الذي مر عليه شهران.

-الحمل ده هايجبرني أعيش عمري كله مع الراجل ده، أنا لازم أنزله.

-لا يا «فريدة».

قالتها «عشق» التي أمسكت ببطنها متابعة:

-ماتموتيش حته منك، العيل ده ممكن يكون سندك لما الدنيا كلها تنهش فيكي، خلفي إبنك واطلقي منه لو عايزه، زي ما أنا عملت!

أندهشت «فريدة» من كلام صديقتها وهي تنظر إليها في تعجب شديد مستفهمة:

-زي ما عملتي إية يا «عشق»؟

-أصلي اتجوزت.

-أفندم؟!

-وأتطلقت.

-أفندم؟!

-وأحتمال أرجع لجوزي الأولاني.

-أفندم؟!

قاطع حديثها طرق الباب الذي أفزع «فريدة»، لتفتح خزانتها وتخرج درجًا سفليًا واضعة نتيجة تحليلها أسفله في هذا المكان الذي تفضل إخفاء أسرارها فيه، وإن دخل «طاهر» الغرفة قبل أن تكمل هي وضع تحليلها، ليلمح (هو) بدهاء ما حاولت أن تخفيه، قبل أن يحيي «عشق»:

-سلامو عليكوا.

-عليكم السلام.

قالتها «عشق» باشمئزاز، وقد فضحت «فريدة» أفعالي أمام صديقتها المثيرة التي لم أستطع منع عينيه من تفحص ما تخفيه بين فتحات هذا الجينز الممزق، لأدخل أنا بين طياته ملامسًا ليونة جلدها في خياله الذي تعمقت فيه أنا صائلا وجائلا لأوقظ ما كان خاملا.

-أنا آسف.. مكنتش عارف إن معاكي حد.

قالها بأدب أدهش «عشق» ثم أضاف ـ مستعيدًا ـ أنفاسه:

-أنا بس حبيت أقولك إن أختك برا.

-حاضر هاخرجلها حالًا.

قالتها «فريدة» لتخرج من الشقة، تلتها «عشق» ليضيف «طاهر»:

-طيب بعد إذنك لازم يتغدوا معانا، ماتخليش حد يمشي أنا بس هاغير هدومي وهاجي أضايفهم.

قالها ثم توجه إلى «عشق» قائلًا:

-وحضرتك كمان يا مدام «عشق» طبعًا أولنا.

قالها مجاملًا متصنعًا غضّ بصره، ليزيد من دهشة «عشق» التي أومأت برأسها قبل أن تخرج، فيغلق الباب خلفها، ويتوجه إلى درج «فريدة» باحثًا عما كانت تخفيه، فنطلع سويًّا على هذه الأوراق ليبتسم كلانا وإن كان «طاهر» يجهل أن هذا الطفل لي أنا دون غيري، ليحمد ربه ساجدًا له، متناسيًا معروفي وفضلي وما فعلت له أنا.

خرج «طاهر» وَلم يغير ملابسه، فوجد «عشق» مستمتعة بمشاهدة «راغب» الجالس بجانب زوجته التي باتت متأكدة من خيانته فتبدأ ببعض التلميحات:

-حقيقي يا «طاهر» أنا نفسي أشوف أخوك التوأم.

تنبَّه «راغب» لهذه المعلومة التي كان يجهلها.

-هو انت ليك أخ توأم بجد؟

-حقيقي.. اسمه «خالد»، ربنا يهديه إن شاء الله.

سْخر «راغب» رغم عدم راحته لوجود «عشق».

-مش بيصلي في المسجد ولَّا إيه؟

ظهر الارتباك على «طاهر» وامتنع عن الجواب، لتتابع «أشجان» قصفها:

-والله أنا نفسي أشوف شخصين مختلفين زيكم كده، بس بنفس الوش، متخيل يا «راغب» لمَّا نفس الوش يكون مره بصفة ملاك ومرة بصفة شيطان؟

قاطع «طاهر» الحديث:

-بس أنا مش ملاك.

تنبَّهت «عشق» لحديث «طاهر» وهي تحاول فك شفرته ـ معلقةً ـ:

-يبقى أكيد أخوك مش شيطان.

-ممكن كفايه كلام بقى وتساعدوني أشوف هاغديكم إيه؟

قالتها «فريدة» لتنهي الحديث في وجود «طاهر» الذي بقي مع «راغب» وحيدين في الصالون الذي كان يشهد مكان جلوس الجدة المفضل.

-شكلك مبسوط يا «طاهر».

-فضل من الله ونعمه، لازم الواحد يكون مبسوط وشايف نعم ربنا عليه.

-نعم ربنا!

قالها «راغب» ساخرًا فتابع «طاهر» نصائحه:

-طبعًا نعم ربنا، هو فيه أكتر ولا أعظم من نعم ربنا علينا؟

ظهرت عجرفة «راغب» ورفضه ليتابع «طاهر»:

-الشيطان دايمًا بيضحك علينا وقت الكرب، بينسينا حكمة ربنا أو اختباراته، عشان كده بنسقط فيها، بيخلينا ننسى في لحظه كل الخير اللي احنا فيه، اللي بيفقد والده على سبيل المثال بينسى نعمة أمه وبيهملها، واللي بيفقد الاتنين بينسى نعمة ولاده، واللي معندوش نعمة الخلف، بينسى نعمة الصحه والعافيه، واللي ربنا بياخد منه كل ده بينسى اللي ربنا هيعوضه بيه، بينسى ربنا نفسه يا «راغب»، تخيل ممكن ننسى إيه؟ ممكن ننسى اللي خلقنا، ننسى نحمده، ننسى نصليه، شفت يا صاحبي الشيطان ممكن يوصلنا لإيه؟

اندهشت أنا من هذا الصلح النفسي الذي هرب إليه «طاهر» مني، لأشعر بغضب شديد، لأذكره بما تناسى، فلوهلة نسى «طاهر» ما قمت أنا به من ترهيب، في لحظة حمده لربه، ليرغب «طاهر» بما كان يفعل من صلاة وعبادة، لأحاول أنا هدم هذا الترغيب مرهبًا إياه بما ذكر في كتابه، ذكرته بهذه النيران التي ستلتهم جسده عند الخطيئة، ذكرته بالجحيم، ذكرته بما يهاب، ذكرته ببأس الخالق وانتقامه الظالم من ضحاياه من عبيده، ذكرته حتى بموت والديه، لتدمع عيناه وأشعر أنا بنصري قبل أن يستعيذ مني، محجمًا من صلاحياتي بإذن من الرحمن فأبكي أنا ألمًا.

-أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، ربنا مخلص أوي يا «راغب» زي ما أخد مني حاجات كتير، إداني حاجات أكتر، أنا بس اللي نسيتها، أنا النهارده مثلا سمعت خبر كنت مستنيه من سنين، بس نسيت إني كنت أحب إن «خالد» أخويا يكون معايا هنا النهارده، بس أرجع وأقول إنه كان شيطان ودخل بينا، أعوذ بالله من الشيطان الرجيم.

قالها ليقتلني، فأشعر بعجزي وأنا أشاهد دموع «راغب» حيث لامست كلمات «طاهر» قلبه، هازًا عرشي.

-أعوذ بالله من الشيطان الرجيم.

قالها «راغب» لأشعر بصفعاتهما المتكررة، ويزداد ضعفي هوانًا بينما ظهر الكثير من النسيم الذي أجبرني على الانسحاب من المكان الذي كنت سيده، لأغادر أنا هذا المكان، ليهد «طاهر» هذا الجدار الذي كنت أبنيه بينه وبين «خالد» ويزداد اشتياقه إليه، لأختفي أنا محاولًا استعادة رباطة جأشي، وستر عجزي قبل أن يكررها قائلي:

-أعوذ بالله من الشيطان الرجيم..........

***

«التاريخ في الوقت الحاضر ١٢ أكتوبر الساعة ١٠ مساءً»

(٢٩)

ذهبت أنا إلى «خالد» بعدما فشلت في رد «طاهر» إليَّ ردًا جميلًا، ولقد كان «خالد» في بيت من البيوت التي يُعبد فيها خالق العباد، من داخل كنيسة مهيبة بمدينة «شرم الشيخ»، وقد ظهر على «خالد» الاندهاش من كم الرسومات الفنية التي زينت السقف ليزداد تعلقه بالمكان وفنه. كانت الكنيسة مزينة لهذا الحفل المهيب، وقد امتلأت الأرائك الخشبية عن بكرة أبيها يمينًا ويسارًا رغم بعد المكان الذي اختاره «حبيب» و«كريستين» لإقامة زفافهما، ليستقبلا فيه ضيوف «حبيب» القادمين من الخارج، وإصرارًا على ملاحقة صديقهما الطيب القس «يوحنا» في كنيسته الجديدة.

كان «خالد» بجانب صديقه يضبط له الوردة البيضاء الموضوعة في بذلته وهو يقف عند الباب في انتظار وصول عروسه التي وصلت أخيرًا في سيارة كاديلاك فارهة، تخرج منها، مرتدية فستانًا أبيض قصيرًا زاد من أنوثتها ورشاقتها، وطرحة قصيرة هي الأخرى لم تخفِ جمالها الفاتن، كما تحلت ببعضٍ الألوان، لتثير من «حبيب» الذي كاد يهرع إليها، ليوقفه «خالد» ممسكًا بذراعه لينبهه لوجود والدها.

أدرك «حبيب» ما رمى إليه صديقه، فقد صعدت «كريستين» السلالم في حضن والدها دامع العين حتى وصلا إلى باب الكنيسة فاستقبلها «حبيب» مُقبِّلًا جبينها وسط زغاريد وتهليل كل الضيوف، ليدخلا سويًا على هذا الموكيت الأحمر، خلف الأطفال الذين تقدموهما مرتدين البذل والفساتين، ليسيرا بين صفوف المتراصين يمينًا ويسارًا، حيث كانت صديقات العروس يرتدين الفساتين الزهرية الموحدة. ظهرت على الجميع السعادة، إلا والدي «حبيب» اللذين جاءا رغمًا عنهما ليحضرا زواج ابنهما من داخل تلك الكنيسة التي لا تعترف بمعموديتهم، بينما كان الشمامسة يرتلون أناشيدهم، والسيدات يواصلن زغاريدهن، إلى أن وصل العروسان إلى المذبح ليحييا القس «يوحنا»، ويلتفتوا إلى ضيوفهما في خجل، في حين أعطى القس «يوحنا» الجميع ظهره متوجهًا إلى المذياع معلنًا في هذا المحفل

الأورثوذكسي المبارك طقوس عقد زواجهما ومن بعده استمر الشمامسة في تراتيلهم وعزفهم.

«نصلي جميعًا أبانا الذي في السموات، ليتقدس اسمك. ليأت ملكوتك. لتكن مشيئتك كما في السماء كذلك على الأرض. خبزنا كفافنا أعطنا اليوم. واغفر لنا ذنوبنا كما نغفر نحن أيضًا للمذنبين إلينا. ولا تدخلنا في تجربة، لكن نجنا من الشرير، بالمسيح يسوع ربنا لأن لك الملك والمجد إلى الأبد، آمين»

رسم العروسان كل منهما الصليب، بينما تابع القس «يوحنا» صلاته لمخلصه، في هذا الحفل للبكر «كريستين» من «حبيب» مع متابعة عزف الشمامسة، ليبدأ في تجهيز البخور المبارك، ثم توجه إلى «حبيب» مع أحد الشمامسة الذي كان يحمل عباءات فاخرة مطرزة بالصلبان الذهبية. أخذ من بينهما القس «يوحنا» شريطين أحمرين ووضعهما حول عنق «حبيب» و»كريستين» كل على حدة قبل أن يرتديا هذه العباءات البيضاء بينما وعظ أحد الشمامسة في المذياع مذكرًا الجميع بتعاليمهم.

-فصل من رسالة معلمنا «بولس» الرسول، بركاته تكون معنا آمين، النساء فليطعن رجالهن كما للرب، فإن الرجل هو رأس المرأة، كما أن المسيح أيضًا رأس الكنيسة وهو مخلص الجسد، فليخضعن، ولكن كما تخضع الكنيسة للمسيح كذلك النساء لرجالهم في كل شيء، وأيها الرجال أحبوا النساء كما أحب المسيح أيضًا الكنيسة وأسلم نفسه لأجلها.

وضع «حبيب» خاتم رباطه بيد «كريستين» ليسلم لها نفسه في هذا السر العظيم، في حين وقع الوالدان والشهود ومن بعدهما العروسان، لتدمع عينا «خالد» الذي شرد في المكان حتى تنبَّه لهذين التاجين اللذين أحضرهما القس «يوحنا» ليضعهما على رأس العروسين، وقد باتا واحدًا منذ هذه اللحظة، فيكمل «يوحنا» وضع صليبه على رأس كل منهما وهما راكعان في سعادة، وتدمع الأعين وسط ابتسامات الجميع، بينما يعظ القس «يوحنا» بخطبة للجميع، ليظل «خالد» شاردًا في كلام القس، حتى تنبَّه لدخولها المكان، ليتوقف الزمان للحظات طويلة وهو ينظر إليها، مشيرةً إلى العروس معتذرة عن تأخرها، فتبتسم لها «كريستين»، لتكمل هذه المرأة الجذابة

بحثها عن مكان قريب في المقدمة، مقتربةً من «خالد» الذي بات ينظر إليها كالنداهة، لتجلس «إيفا» أخيرًا بجانبه، ويظل «خالد» ينظر إلى حسنها وجاذبيتها التي كانت تأسر قلوب أعتى الرجال، فقد كانت «إيفا» بيضاء البشرة، خضراء العين، لها شعر كستنائي خلاب، تتمتع بطول فريد، وجاذبية ساحرة، ليكون هذا لقاءهما الأول وإن لم يكن الأخير.

***

-هو أنا لسه خلصت من «فريدة» لما تقولي «إيفا»؟ تطلع مين دي بقى رخرى يا سي «خالد»؟

قالتها «نور» التي تستمتع بقص «خالد» عليها، ليجيبها صوت آخر تعرفه هي جيدًا:

-دي تبقى ماما.

التفتت «نور» مصدومة إلى مصدر الصوت من خلفها، لتجد «ملك» واقفة عند باب الغرفة تحدق فيهما في هدوء مخيف، فيتذكر «خالد» ما كان يحاول أن يتجاهله.

«أنا ملك....بنت حواء وآدم»

»إيفا» هي «حواء» باللغة الإنجليزية، فليست «ملك» ملاكًا كما ظن، بل هي إنسٍ وليست جنًّا، اقتربت «نور» من «ملك» مندهشة مما يجري، مكتشفة رابطا جديدًا يكشف لها الكثير، بينما اقتربت «ملك» من «خالد» صارخة:

-قولها إن ماما عايشه، قولها إنها هنا، قولها كل حاجه يا أنكل «خالد» حرام عليك...حرام عليك.

قالتها وهي تضرب فيه بكلتا يديها، ليصارع «خالد» دموعه، وتتمسك «نور» بالطفلة التي كادت تفقد قواها بكاءً وصراخًا، فتخرجها عائدة بها إلى غرفتها، محتضنة إياها لتشعر بدفء عجيب، دفء افتقدته وهي تتحرك بين طيات ممر الطابق الثالث، متذكرةً حديث ابنتها في صباح يوم ما.

***

من صالون منزل «نور» بالقاهرة، جلست طفلتها بجانب «مخلص» باكية وهي تتحدث إليها عبر الهاتف تطلب منها العودة إلى المنزل.

-مامي انتي واحشاني أوي، هو الشغل يعني أهم مني؟

-يا حبيبتي إحنا اتفقنا إن انتي كبرتي.

-بس أنا لسه مكبرتش يا مامي، انتي بقالك كتير أوي مسافره.

-طيب هو بابي مقصر في حاجه؟

نظرت الطفلة إلى والدها الذي ربت على كتفها بحنان، لتبتسم وهي تمسح دموعها:

-لا يا مامي.

-طيب خلاص هاوعدك في العيد هاكون معاكوا.

-انتي كل مره بتقولي كده أنا مابقتش أصدقك.

قالتها الطفلة ببراءة وتركت الهاتف لوالدها فهدأ من روع «نور» ثم ابنته التي نامت بين أحضانه، بينما ظل «مخلص» يفكر في طريقة يسعد بها ابنته، ليتحرك فجرًا في هدوء متجهًا إلى غرفة مكتبه، ممسكا ببعض الأوراق باحثًا عن كلمات لأغنية ولحن يسعد بهما ابنته، فيؤلف «مخلص» مقطوعة غنائية مرحة، استطاع بعدها أن يغنيها بصوته الهادئ، لتستمد شهرة واسعة بين أطفال المجتمع المصري، فقد أصبحت هذه الأغنية من أشهر الأغاني التي يحتفل بها الأطفال في مختلف المناسبات، وتبتسم ابنتهما وهي تسمع صوت أبيها الذي وضع اسمها بين سطور المقطوعة التي خلدتها حال والدها.

***

استعادت «نور» نفسها بعدما شردت في ابنتها وزوجها لحظات، فتنظر إلى «ملك» التي كانت قد نامت على سريرها بين أحضانها وهي سعيدة بتمسك «ملك» بها، فلم تتردد في إعطائها كل الحنان الذي تحتاجه، وبعدما اطمأنت «نور» على هذه الطفلة المسكينة، طبعت على جبينها قبلة أخيرة،

ووقفت مخرجة هاتفها المحمول لتجري هذا الاتصال الذي يصبرها على برودة المكان.

-آلو.. أيوه يا «مخلص» وحشتني أوي يا حبيبي.

-بجد؟!

-ربنا مايحرمنيش منك يا حبيبي، طيب هاتهالي عشان وحشاني جدًّا الإرده الصغيره دي.

قالتها «نور» وهي تخرج من غرفة «ملك» في اتجاه غرفة «خالد» وتكمل كلامها في طرقة الطابق الثالث.

-أيوه يا حبيبة قلبي، انتي وحشتيني أوي يا روحي، مش هاتأخر بجد صدقيني، حاضر... خلاص كملي نومك وبوسيلي بابا، تصبحي على خير يا قلب مامي.

قالتها من أمام باب غرفة «خالد» قبل أن تمسح دمعة هاربة من إحدى عينيها، لتدخل مرة أخرى إلى عالمه، هذا الرجل الغامض الذي كان يجلس على كرسيه ضاحكًا، فتسأله «نور» في اندهاش.

-إيه اللي بيضحكك يا «خالد»؟!

متابعًا لضحكاته قال (هو) بأسلوب مريض:

-ولا حاجه مبسوط شويه.

-طيب ممكن يا «خالد» تحكيلي حكاية «إيفا»؟

في اندهاش أجاب (هو):

-«إيفا» مين؟!

في إيه يا «خالد»؟ «إيفا» البنت اللي كانت عاجباك؟

لم يستجب (هو) لما ترمي إليه «نور» أو يفهمه ليؤكد لها:

-أنا عمري ماعجبتني واحده غير «فريدة».

قالها صادقًا، فلم يكن يغريني غيرها، أنا من أتحكم بالجميع.

***

لم يمل اللواء «فاروق» من حديثه مع «عاصي»، بل شعر بتواصل غريب ظل يمده بكل ما أوتي من قوة، رغم اندهاشه من كلامه واختلافهما في كل جوانب الحديث، وإن كان الحديث نفسه بمثابة نقطة تلاقٍ.

-طيب مين من «مصر» فوضك إنك تيجي تحارب عنهم؟

بثقة وإيمان أجاب «عاصي»:

-زي ما قولتلك، ده تكليف، الجهاد فرض عين في الدين، سواء كان لاحتلال مباشر أو غير مباشر.

-طب لو هو تكليف في الدين، مفكرتش للحظه في وجود الأزهر اللي ماندااش بالجهاد، أوالمتدينين اللي في «مصر» اللي محدش منهم متضايق أو حاسس بظلم؟

-بالعكس، أنا بدافع عن الناس دي، لكن أنا ضد الظلم.

-إيه الظلم؟

قالها بعصبية نسبيًا، ليجيبه «عاصي» بهدوء مستفز:

-أكبر ظلم هو تحكيم غير شريعة الرحمن، وده في كل بقاع الأرض مش «مصر» بس.

-وهي أني دوله في العالم بتطبق شرع الله من وجهة نظرك؟

سكت «عاصي» لحظات ونظر للسماء، ثم قال:

-في فترات زمنية بعض البقاع طبقته، زي الدولة العثمانية.

-الدوله العثمانيه؟! اللي كان كل سلطان بيقتل اخواته أول ما يوصل الحكم؟!

-مش مهم يكونوا خاطيين، المهم مايكنوش كفار.

شعر اللواء «فاروق» بعدم جدوى من مناقشته في هذا الجانب، ليغير مجرى الحديث:

-طيب، بلاش نتكلم في النقطه دي، ممكن تقولي إيه مصدر تمويلكم؟

بسرعة تجاوب «عاصي» وبفخر شديد:

-كل الجماعات الجهاديه مصدر المال بتاعها بيكون من التبرعات والغنايم، وزي حديث الرسول عليه الصلاة والسلام: «جُعل رزقي تحت ظل رمحي».

-بس ده كان في ظرف تاني يا «عاصي».

-ما هو لما ترجع الدول تحكم بشرع الله، الظروف هاتتوحد.

-طيب إزاي «دياب» أقنعكم تروحوا «مصر»؟

شرد للحظات ليتذكر الزمان والمكان، فيجيب وهو ينظر لسقف الغرفة:

-في شهر أغسطس ٢٠١٦ قرر الشيخ «دياب» الرجوع بينا إلى «مصر»، وكان الهدف من الرجوع هو إقامة معسكرات في صحراء «مصر»، وبعديها تنفيذ عمليات ضد المسيحيين، ثم ضد الجيش والشرطه، عشان ممتنعين عن تطبيق شرع الله، ثم إقامة حكم إسلامي، ثم خلافة إسلامية في «مصر».

-خلافه إسلاميه؟!

-بالظبط.

-طيب وده كان تفسير كافي يخليك تسيب أهلك وبلدك بالنسبه ليك؟

-ما هو زي ماتكلمنا، كان في أجر الهجره والجهاد.

-طيب يا «عاصي» دخلتوا «مصر» إزاي؟

-خرجنا من درنة في سيارات دفع رباعي، تحت إشراف الشيخ «دياب».

-عربيات بس؟

-لا، ما السيارات دي كانت مجهزة بأشياء كتيره.

-زي إيه؟

-يعني السلاح على سبيل المثال، كان معانا أربعتاشر ونص مضاد للطائرات، و»آر بي جي»، وصواريخ سام، ومتعدد، وكمان كان معنا تليفونات ثريا للاتصالات بالقمر الصناعي.

-طيب ومين اللي جاب الأسلحه دي يا «عاصي»؟

-طبعًا الشيخ «دياب» وعلاقاته بقيادات الجماعات الجهادية، وكنا بناخدها صدقة جاريه في سبيل الله.

-صدقه جاريه؟!

قالها اللواء «فاروق» ساخرًا، فلم يعد يندهش كالبداية.

-طيب وصلتوا إزاى؟

-فضلنا ماشيين موازيين للحدود المصرية لغاية لما اشتبكنا مع قبيلة التبو، عشان كانوا مكلفين من حفتر بحماية الحدود مع «مصر»، قتلنا منهم من قتلنا وأخذنا السلاح ثم تسللنا إلى «مصر»، وكانت عبارة عن دروب، وكان الشيخ «دياب» يقولنا إن دي مهلكة الجيوش في العالم.

***

«التاريخ في الوقت الحاضر ١٢ أكتوبر الساعة ١١ مساءً»

(٣٠)

في نهار صيفي حار، ومن تبة عالية وسط الصحراء التي تفصل بين «مصر» و«ليبيا» هرع «عاصي» وأحد زملائه بسيارة المراقبة حتى وصلا إلى مخيمهما، ليترجل «عاصي» وصولًا إلى الشيخ «دياب» الذي كان في إحدى خيام المعسكر الذي تحميه السيارات رباعية الدفع.

-يا كبير.. قبيلة «التبو» رصدتنا.

-التبو؟!

قالها «دياب» في ذعر، فقد كانت تلك القبيلة مكلفة من قبل «حفتر» بحماية الحدود، ليتغير وجهه ويهرع إلى سلاحه، قبل أن يمسكه (هو) الذي ظهر فجأة في ثقة وبرود قائلًا:

-عددهم كام؟

قالها (هو)، ليجيب «عاصي» في توتر:

-في حوالي خمس سيارات في كل منها أربعة مسلحين.

-تعالى معايا.

قالها (هو) تاركًا سلاحه وأخذ إحدى قاذفات الصواريخ، ثم توجه إلى سيارته وركب من الباب المجاور للسائق، بينما توقف «عاصي» مترددًا لحظات، قبل أن يصرخ (هو) فيه ليعجزه عن التفكير، فيركب «عاصي» السيارة ليقودها من جانبه، بينما صرخ «دياب» في باقي الجماعة ليتأهبوا للمعركة، ليصحو الجميع من نومهم مهرولين ناحية أسلحتهم، ثم يركب الجميع سياراتهم، وإن طلب (هو) منهم الحفاظ على مسافة لا يتعدونها، ليتجه (هو) إلى «عاصي» بالحديث:

-قربني منهم بس ماتنزلش من على التبه.

-كده هايرصدونا إحنا في النهار.

لم يجبه (هو) ليستسلم «عاصي» الذي واصل تقهقر سيارته حتى شعر باقتراب الممر المؤدي إلى أسفل.

-ما بعرف أنزل بعد هذا الممر.

قالها «عاصي» وتوقف، ليترجل (هو) من السيارة، ليقترب من الحافة، ثم انبطح أرضًا و(هو) يحضر سلاحه بحرفية شديدة أذهلت «عاصي» الذي جلس بجواره، متمسكًا بقدوته، بينما ظل «دياب» وجماعته في السيارات في انتظار إشارته (هو) الذي ظل يراقب الطريق. لحظات مرت عليهم كالدهر قبل أن تظهر سيارات رباعية الدفع تخترق الطريق بسرعة وغضب، في اتجاة الممر من بعيد، ليبتسم (هو) فلم يكن يحتاج إلى أكثر من بضعة أمتار قليلة تقربه من تلك المركبات الواقعة في شباكه، ليضيق (هو) من فتحة عينيه، قبل أن يطلق قذيفته الأولى التي استقرت في الشاحنة الوسطى لتنفجر عن بكرة أبيها في لحظة، فيرتفع هيكلها في السماء محملًا بجثث ضحاياه، ليكبر «دياب» ومن معه، بينما توقفت السيارات الأخيرة للقبيلة لتعود من حيث أتت، وتعثرت سيارات المقدمة، ليطلق (هو) قذيفته الثانية في المركبة الأمامية لتلاقي نفس المصير، فيترجل من كانوا في المركبة الثانية هاربين زحفًا، ليعطي «دياب» إشارته بالهجوم، متقدمهم ومن بعده (هو) الذي تولى قيادة سيارة «عاصي» وواصل تقدمه خلف «دياب» لينزلا ويشتعل الاشتباك بعزيمة عالية وجرأة شجعت الجميع، لتبدأ معركة شرسة، وكانت الغلبة لجماعة «دياب» الذين استغلوا مركباتهم في الاستتار والهجوم. في دقائق معدودة كانت الجماعة قد صفت الجميع، عدا هذا الرجلَ الذي افتعل الموت، قبل أن يصوب سلاحه إلى «دياب» بعدما ترجل من سيارته ليحتفل بنصره، ومع إطلاق الرجل طلقته، يلاحظها أحد رجال «دياب» المقربين راميًا بنفسه في طريق الهلاك حبًا في ربه، فيقع أرضًا بين يدي «دياب» بينما أخرج (هو) سكين سلاحه، وأخذ يقترب من الرجل الذي أطلق النيران، ليحاول الأخير التصويب عليه (هو) الآخر، لتمنعه ثقة «الكمير» الذي أخذ يقترب في هدوء قاتل، لينسحب الرجل متقهقرًا، فيسير (هو) بجواره بهدوء ليسبقه، حتى صار خلفه، فيحاول الرجل النظر خلفه بحثًا عنه، وإن كان

(هو) قد اختفى كالسراب، قبل أن يظهر من جديد في سماء الرجل ليشق صدره بعنف قبل أن يكمل سلاحه طريقه إلى رأس الرجل الذي صار كالذبيحة، بينما كانت روحه تصارع الجسد لتخرج من بين أرجله التي باتت ترتعش بقوة، ليتوقف (هو) قبل أن يرمي بسلاحه ويدخل يده إلى أحشاء الرجل مخرجًا كبده ليرفعها (هو) قبل أن يقضم منها بشفتيه التي باتت متعطشة للدماء مثلي، بينما ظل الجميع ينظر إليه في اندهاش ورهبة، قبل أن يبدأوا في دفن رجلهم الذي صلوا عليه وحده دون غيره.

***

-صليتوا عليه إزاي وإنتوا حتى مكنتوش تعرفوا إسمه؟

قالها اللواء «فاروق» متسائلًا، بعد حديث «عاصي» الدموي الذي أجابه:

-ما الشيخ «دياب» كان يعرف وهو كان الإمام.

-طيب ومين (هو)؟

-قلتلك «الكمير».

-وهو في حد طبيعي ياكل كبد بني آدم؟

-«هند بنت عتبة» كلت كبد «حمزة» رضي الله عنه.

-بس ده لما كانت كافره يا «عاصي».

-«وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس والعين بالعين والأنف بالأنف والأذن بالأذن والسن بالسن والجروح قصاص».

-كمل الآية يا «عاصي».. «فمن تصدق به فهو كفارة له».

سكت «عاصي» متعجبًا من حفظ اللواء «فاروق» لآيات من القرآن، ليكمل الأخير:

-وبعدين إيه علاقة ده باللي قتلوا سيدنا حمزة؟!

لم ينطق «عاصي» ليتابع اللواء «فاروق»:

-طيب مين (هو) ده يا «عاصي»؟

-قلتلك معرفش.

-يعني شهور يا «عاصي» واكلين شاربين نايمين سوا وماتعرفوش حاجه عن بعض؟

-قلتلك دي كانت أوامر الشيخ «دياب» عشان لو حد أُسر.

***

-و«طاهر» عرف فعلًا إنك كنتي حامل؟

قالها «فهد» لـ«فريدة» التي بدأ يظهر عليها الإرهاق، لتجيب في هم:

-عرف..عرف قبل ما يسافر علطول.

وتذكرت «فريدة» كثرة أسفار «طاهر» في ذلك الوقت إلى «ليبيا» لشراء قطع غيار السيارات التي ادّعى المتاجرة فيها، لتستغل «فريدة» هذه الأسفار خاصة في الابتعاد.

-طيب طالما مسافر، لو سمحت أن هاعد فوق عند ماما.

في انزعاج أجاب «طاهر»:

-ليه يعني تسيبي بيتك؟

-عشان الحمل يا «طاهر»!

قالتها «فريدة» بحزم ليتراجع «طاهر» مبتسمًا حفاظًا على ابني الذي زرعته في رحم من عشقت أنا.

***

عاد «خالد» من «شرم الشيخ» وحيدًا بعدما ترك «حبيب» الذي ذهب ليستقر مع زوجته في «دهب» بعيدًا عن العاصمة، أقنعتهما بذلك «إيفا» صديقة زوجته المستقرة في «دهب» منذ سنين طويلة، وقت ازدهار السياحة في بداية الألفية الثالثة، عندما وصلتها كسائحة مع بعض الأصدقاء ومنهم «كريستين»، ولقد كانت «إيفا» أجرأهم نظرًا لفقدانها لوالديها، لتقابل هناك هذا الرجل الأوروبي «آدم» الذي أحبها حبًّا جمًّا ليطلبها للزواج، لتوافق «إيفا» بشرط الاستقرار في

«مصر»، ليوافقها «آدم» الذي كان يعشق الغطس، ومياه الخليج الساحرة، فيقبل المكوث في «مصر» بشرط الاستقرار بـ«دهب» لكي يعمل في الغطس، حال الكثيرين، فلم يكن «آدم» ناجحًا في بلاده على أي حال، لتتعلم «إيفا» منه سحر الغطس، ليستقلا بمشروع صغير ظلا يسترزقان من خيره، ومن ثم يمتلكان فيلا صغيرة على البحر مباشرة، ليعيشا حياة رغد، مستقبلين هذه الطفلة الملائكية «ملك» التي ترعرعت وسطهما سنة وحيدة قبل قيام ثورة يناير التي ثار فيها الشعب المصري ضد ظلم التوريث وتجاوزات الشرطة الظالمة، لتواجه الأراضي المصرية مرحلة من عدم الاستقرار، فتنادي الدول الأجنبية رعاياها من الجاليات بالرحيل، ومن بينهم «آدم» الذي كان قد بدأ يمل المسؤولية والالتزامات، فيهجرها هاربًا عائدًا إلى بلاده تاركا إياها وحيدة مع «ملك» التي لم تتعرف عليه، بعدما انقطعت كل اتصالاته، لتعيش «إيفا» فترة الخلل الأمني في «دهب» خائفة، ليتغير مفهومها مع مرور الوقت، فلقد كانت «دهب» من أكثر المناطق أمنًا حين ذاك، لتواصل «إيفا» حياتها هناك متمسكة بتلك الأرض التي ارتبطت بها، وإن تأثرت ماديًا نظرًا لارتباك حركة السياحة في هذه الفترة، وقد ساعدها على الاستمرار، رخص الحياة المعيشية في «دهب»، وإن اضطرت «إيفا» لتأجير فيلتها التي كانت تسكنها بعائد مُجز، لتنتقل إلى شقة أصغر بعيدة عن البحر، الفكرة التي جعلتها تعمل لاحقًا في مجال العقارات، لتفتح «إيفا» مكتبًا صغيرًا للإيجارات، ساعدها على تكاليف الحياة، لتصبح «إيفا» مثالًا للمرأة العاملة التي تعيش من أجل ابنتها «ملك».

والآن استطاعت «إيفا» إغراء «كريستين» وزوجها «حبيب» الذي كان يعشق الشرق وسحره، بالاستقرار في «دهب» حال الكثير من المصريين الذين فروا إليها هربًا من غلو المعيشة، وبحثًا عن الهدوء والجمال، ليصبح «خالد» وحيدًا بعدما فقد «طاهر» ثم «حبيب» الذي يسكن «خالد» حاليًا في شقته بـ«شبرا»، وإن بات شريدًا لا يستطيع الانتهاء من لوحة وحيدة، حتى جاءت اللحظة التي انشغلت فيها عنه، ليتذكر «طاهرًا» مقررًا إنهاء الحرب والنزوح إليه، ليخرج عن طوعي، ويخرج «خالد» من حديقة «حبيب» متجهًا إلى شقة جدته التي باتت شقة «طاهر» وزوجته «فريدة» معشوقتي أنا، المقيمة

الآن في شقة والدها «صالح» تختبئ فيها بعد سفر زوجها «طاهر»، لتظل «فريدة» ماكثة بالأيام في غرفتها بمنزل والديها، تبحث في رسومات «خالد» القديمة التي خبأتها أسفل درج غرفتها، تبحث عن نفسها، تبحث عن قلبها، ليطرق بابها أختها «أشجان» التي كانت في هذه الأيام مستقرة عند والدها هي الأخرى، وإن جهل الجميع السبب، فلقد أيقنت «أشجان» خيانة زوجها لتثور عليه صمتًا وتبدأ في الفرار بحثًا عني، بحثًا عن طريقة لأخذ حقها، بحثًا عن طريق للثأر، بحثًا عما يعوضها سنين شبابها التي هربت منها دون فائدة.

-أيوه اتفضلي.

قالتها «فريدة» مخبئة الرسومات في مكانها، وإن لاحظتها «أشجان».

-تاني يا «فريدة»؟

-ماتخديش في بالك.

-صدقيني انتي اخترتي صح، جوزك راجل محترم، يا ريت «راغب» كان زيه.

-هه.. إتفضليه!

ساخرة أجابتها «فريدة»، قبل أن تشعر بألم خفيف.

-مالك يا حبيبتي؟

-ولا حاجه، بس عايزه أبقى أنزل تحت، أجيب المخده السفنج اللي جبتها أول ما حملت.

-يا سلام.. خليكي انتي وأنا هانزل أجيبهالك.

-يا حبيبتي ملوش لزوم مفيش استعجال، أنا عايزه أجيبها قبل ما أنام بالليل.

-طيب هاتيلي مفتاح شقتك وأنا هاجيبهالك وأنا راجعه، أنا رايحه مشوار شغل ومش هاتأخر، ريحي انتي عشان البيبي يطلع حلو لخالته.

قالتها ضاحكة، لتأخذ مفتاح شقتي، ومدخل جنتي، فلقد كنت أنا هناك أنتظرها خلف الجدران، ليتابع «خالد» ما كان يقص عني إلى «نور» التي كانت لا تزال تستمع إلى هذا العبث.

-ورحت قابلت «طاهر» فعلاً؟

قالتها «نور» متسائلة من غرفة «خالد» بالمصحة، ليجيب (هو) بابتسامة خبيثة مذكرًا إياى بهذه اللحظات التي أمتعته فيها.

***

-طيب يا «عاصي» الرحله لمصر خدت وقت أد إيه؟

قالها اللواء «فاروق» متسائلًا، ليجيبه «عاصي» بهدوء كعادته منذ بداية الحوار:

-شهر تقريبًا، وبعديها اتمركزنا في عدة أماكن في مصر، من ضمنها محافظة قنا وسوهاج وأسيوط، بس في الظهير الصحراوي، وكان معانا مؤن وأكل، واللي كان بينزل يجيب أكل مكنش بيرجع، لغاية ما اتمركز منا جزء في الواحات والباقي اتفرع.

-في الوقت ده كان «دياب» فين؟

-كان بيتركنا هو ومعاه صاحبه، وبيرجعولنا عند الحاجه.

-صاحبه إللي (هو)؟

-«الكمير».

-طيب مفكرتش إن أسلوب «دياب» مبني على التحطيم النفسي وسلب الإرادة؟

-لا.. الشيخ «دياب» بيعطي وياخد معانا كتير.

-إزاي؟

-يعني مثلًا في موضوع المياه، كان بيشوف كل واحد عايز مياه أد إيه ويديله.

-حقيقي ديموقراطي!

قالها اللواء «فاروق» ساخرًا، ليفهم «عاصي» الرسالة:

-وإنتوا بايعتوه على السمع والطاعه.

-صحيح، هو أمير الجماعه.

-طيب انت كنت عايز إيه من ورا الشيخ «دياب»؟

-الشهاده في سبيل الله، على هذا الطريق.

-وفين الشهاده يا «عاصي»؟ انت على كلامك مقتلتش لغاية دلوقتي غير مسلمين؟

-زي ما قلتلك ده تفكير عقدي، عندنا عقيده ومنهج ماشيين بيها يعني.

-وهو العقدي دي مش مبني على الفطره؟

-مش فاهم!

-انت مش عارف إن الإسلام دين الفطره؟

-إزاي يعني دين الفطره مش فاهم!

قالها «عاصي» مندهشًا، ليزداد اللواء «فاروق» اندهاشًا.

-مش فاهم؟ هي دي المشكله يا «عاصي».

سكت اللواء «فاروق» لحظة، مدخنًا سيجارة أخيرة، قبل أن يتابع:

- أنا حقيقي عايز أفهم، انت إزاي لسه بتبيح لنفسك استمرارية القتل؟

-زي ما قلتلك عقيده ومنهجيه، أقرب لتنظيم القاعدة يعني.

-يعني اللي قتلتهم من رجال الشرطه المصريه وانت بيتقبض عليك مش مسلمين؟ ضميرك ماأنبكش على دمهم؟

-لا.

***

«التاريخ في الوقت الحاضر ١٣ أكتوبر منتصف الليل»

(٣١)

خرجت «أشجان» من منزل والدها ذاهبة إلى عملها، مستخدمة تلك السلالم التي تفصلها عن شقة أختها، لتستمع إلى صوت طرق عالٍ يصدر من داخل شقة «طاهر» و«فريدة»، ليعمرها الفضول وتقترب من بأب الشقة واضعة أذنها لأهمس إليها، زائدًا من فضولها، لتخرج «أشجان» مفاتيحها وتفتح باب الشقة، لتجد الأنوار قد أضيئت، لأزيد من دقات قلبها قبل أن تجده واقفا عن يمينها في غرفة «خالد» القديمة، لتهدأ أخيرًا قائلة.

-«طاهر»؟!

لم يجب (هو) للحظات، قبل أن يتزحزح بضع خطوات في اتجاه «أشجان» التي هدأت، حتى أغلق (هو) الباب.

-أنا مش «طاهر».

مع ازدياد توترها سألت «أشجان» في تحفظ:

-يبقى انت «خالد» أخوه، صح؟......صح؟

قالتها «أشجان» قبل أن يغلق (هو) فمها مطبقًا عليه بكل ما أوتي من قوة، لتنهار قواها و(هو) يسحبها إلى غرفة «خالد»، ليبدأ (هو) في مداعبتها، بينما كنت أنا أهمس إليها مهدئًا إياها، مذكرها بخيانات «راغب» لها على علم ومسمع من الجميع، لتلين «أشجان» من الداخل قبل أن تستسلم لهذه القوة التي أشعرتها بأنوثتها، التي لا تزال يشتهيها الرجال، عكس «راغب» الذي لم يكن يبالي لها ويتركها بالأسابيع دون أن يعطيها ما تستحق من حقوق، تلك الحقوق التي أحست بها الآن، وأنا لا أزال أهمس إليها، و(هو) يمسك بيده نهديها بشهوة حارقة حتى خارت قواها، لتتابع هي التهام شفتيه، في إعلان منها لقبول استعماري لمملكة جسدها المتوهج، التي بدأت هي في تجريده له شيئًا فشيئًا، مشعلة إثاراتي، قبل أن تحضنني بكلتا رجليها، لأبدأ أنا في نشر قواتي، لأزرع أنا بها طفلًا ثانيًا من صلبي في هذا البدن الآخر ابن الصالح.

***

-يعني إيه يا «خالد» نمت مع أخت مرات أخوك؟

قالتها «نور» وهي تقف في رفض تام لما يقص «خالد» من غرفته بالمصحة.

-لا، لا ده مكنش أنا.

في سخرية مخلوطة بعصبية تابعت «نور»:

-طبعًا هاتقولي (هو).

في لحظة حقيقية ظهرت أنا من بين أحشائه قائلًا:

-لا مش أنا، أنا معملتش حاجه، دي هي اللي كانت عايزه كده، هي اللي كانت محتاجاني، هي اللي كانت عايزه تعيش، كانت عايزه الدنيا، وأنا بقى الدنيا.....أنا الدنيااااا.

قالها (هو) وظل يضحك بشكل مرضي، ليزداد شك «نور» في مرض «خالد» بالفصام، فهي تجهلني، تجهل «الكمير»، لأعود أنا أدراجي تاركا «خالد» يعود إليها، قبل أن تحاول «نور» استغلال الموقف محاولة الإيقاع بي.

-طيب براحه كده، قوللي بقى، انت مين؟

ببراءة شديدة أجاب «خالد»:

-أنا «خالد» يا «نور» مالك في إيه؟

***

-طيب مافكرتش أمهات وأسر الشهداء والمصابين من ضحاياك وضحايا فكرك شايفينك إيه؟

قالها اللواء «فاروق» لـ«عاصي» الذي بدا تائهًا بعض الشيء.

-إحنا مكناش عايزين نقتل، إحنا مش هواة قتل، إحنا كنا عايزين شرع الله.

-بس إنتوا قتلتوا.

بإيجابية رد «عاصي»:

-بالظبط، عشان نعلن الخلافه الإسلاميه، على منهاج النبوة حقًّا.

-وهو النبي عليه الصلاة والسلام، اللي بعث رحمة للعالمين واللي ربنا قاله «وإنك لعلى خلق عظيم» كان كده ماشي يقتل في خلق الله ويدبح فيهم؟

-لأ طبعًا، الرسول عليه الصلاة والسلام له صفات عدة، من صفاته أنه الضحوك القتال، وأنه نبي الرحمة، ونبي الملحمة، هو الماحي الذي يمحو الكفر.

قالها مدعيًا ليعلق الفاروق:

-يمحو به الكفر! مين بقى اللي يحكم إن ده كفر ولا مش كفر؟ يعني ملايين المصريين دول اللي بيقولوا لا إله إلا الله محمد رسول الله، وبيصلوا وبيصوموا، دول فئه مرتده وكفره ويحق قتلهم؟

-لا أنا مقولتش كده، بالعكس دول مسلمين، إحنا بنتكلم عن الحكومه اللي ماسكه «مصر»، جيش وشرطه يعني.

-طيب وهما الجيش والشرطه دول جايين منين؟ ما هو كل مجند من دول بيأدي الخدمه هو جزء من هذا الشعب، ولا انت شايفني بعبد «هُبَل» قدامك عشان ظابط!

-ما هي القضيه مش قضية الشعب.

تنهد اللواء «فاروق» الذى بدأ في كسب أرضية في عقل «عاصي».

-انت ماسمعتش «ولا تزر وازرة وزر أخرى»؟

بتردد قال «عاصي» مدافعًا:

-دي تقع على أمهاتكوا وزوجاتكم.

-يعني الأم والزوجه اللي اترملوا، دول مش تعبينك خالص؟ إلا تعلم أن المصريين شايفينك قاتل؟

-ما هو بالتفكير ده، النظام المصري قتل منا يعني، وفي زوجات اترملت.

-في كل قوانين العالم، الشرطه والجيش، هي الجهات الوحيده اللي ليها

الحق تستخدم السلاح تحت مظلة القانون، هنا مش «ليبيا»، كل واحد معاه سلاح.

-القانون ده مين وضعه؟ دي قوانين وضعيه وضعها إنسان يعني، إحنا عايزين حكم الله.

***

-طيب لو إنتوا اتنين، ليه بتعرف كل حاجه عن «طاهر»؟

تساءلت «نور»، محاولة الوصول لإجابة شافية، ليجيبها «خالد» بثقة:

-عمرك ما سمعتي عن توارد الخواطر؟

لم تشبع الإجابة «نور» ليضيف «خالد»:

-أنا و«طاهر» مش بس توأم، رغم اختلافنا، كتير بحس إن في حاجه مني جواه والعكس.

حاول «خالد» البحث عني، لتجيبه «نور»:

-يمكن أخوكوا اللي كلتوا زي ما حكيتلي.

قالتها «نور» ضاحكة، ليشاركها «خالد» الابتسام مضيفًا:

-يمكن فعلًا زي ما الدكتور قال لبابا.

-عارف إيه إسم الدكتور ده يا «خالد»؟

ضحك «خالد» ساخرًا.

-مش فاكر، أصلي كنت صغير.

-هٌهه.. طيب كمل، إيه اللي حصل بعد كده؟

-«طاهر» عرف.

-عرف إيه؟!

-عرف السر.

-السر؟!

فلقد بات «طاهر» قريبًا من أكتشاف «سر الثالوث الأوحد».

***

عاد «طاهر» من سفره بعد غياب، ليتجه إلى شقته ليضع فيها أغراضه، ثم أخرج هاتفه ليتصل بـ«فريدة»، قبل أن يغير رأيه، ليصعد بنفسه إلى شقة حميه، ليصل إليها ويطرق الباب باندفاع، لتفتحه «أشجان» التي شعرت بإثارة على الفور عند رؤيته، ليخفق قلبها وهي تضغط على شفتيها - عفويًا - بطريقة جنسية متذكرة ما باتت تفعله معه بانتظام في الأسابيع الماضية، لتخرج «أشجان» مندفعة:

-«خالد»! إيه اللي جابك هنا؟ كنت قولي هانزلك.

اندهش «طاهر» من رد فعل «أشجان» قائلًا:

-«خالد» إيه يا «أشجان»؟ أنا «طاهر»، هو «خالد» جالكم هنا؟

توترت «أشجان» ثم ضحكت بافتعال وهي تعود للداخل لتقول:

-ههه دخلت عليك، صح؟

ابتسم «طاهر» وقال:

-الصراحه آه، طيب هاتسيبيني واقف كده؟

-آه آسفه إتفضل يا «طاهر» مش محتاج عزومه يعني ده بيتك.

دخل «طاهر» ليجد حماه في الصالون، ليستقبله استقبالًا حميميًا أسعد قلبه، قبل أن تغادر «أشجان» لتتركهما وحيدين في الشقة.

-ألف حمد لله على السلامه يا بني، جيت إمتى؟

-لسه حالًا يا عمي، الله يسلم حضرتك، أمال فين «فريدة»؟

ابتسم «صالح» قائلًا:

-عند الدكتور.

-خير يا عمي في إيه؟

بسعادة بالغة أجاب «صالح»:

-هيه، الحمل بقى يا بابا «طاهر».

-آه! خضتني يا عمي.

-لا ماتتخضش كده، لسه بدري عليكوا، عمومًا ماتخافش هي مع والدتها، و«أشجان» رايحه تاخدهم أهو.

-والله لو كانت قالتلي، كنت رحت أنا، مايصحش كده.

-يا بني استنى بس، انت لسه راجع من السفر، خش أوضة «فريدة» ريح شويه، لغاية لما ييجوا، أنا عايز أكمل قراية الجزء ده.

قالها «صالح» وهو يشير إلى «طاهر» بتباهٍ للمصحف الذي بيده.

-طيب يا عمي ماعطلكش، أنا هاتوضا واخش أصلي واستناهم في أوضة «فريدة».

-تصلي إيه يا «طاهر» يابني؟ انت عمرك ما فوت فرض في الجامع!

أحرج «طاهر» مجيبًا:

-معلش يا عمي كنت على سفر.

-آه صحيح فاتتني دي، طيب خش يا بني إتوضى وصلي، وحرمًا مقدمًا.

-جمعًا إن شاء الله يا عمي.

قالها «طاهر» وتوجه إلى الحمام ليتوضأ، ثم دخل غرفة «فريدة» ليصلي المغرب والعشاء جمع تأخير، وبعدما أنهى صلاته عدت أنا إليه، لأشير له ليغلق هذا الباب، ليصول في الغرفة فسادًا، لأشير أنا له إلى هذا الدرج السفلي داخل دولاب «فريدة»، الذي كان يعلم أنه مخبأها المفضل، ليخرجه «طاهر» بحثًا عما تخفيه «فريدة» في هذا المكان المخصص لحفظ أسرارها، ليهتك «طاهر» جدار خصوصية زوجته، لأشير أنا له إلى ما يكره، ليصعق من

اللوحات التي وجدها أسفل هذا الدرج!

الرسومات التي عرف من فوره أنها من عمل «خالد» الذي كان يعلم جيدًا خطوطه الرصاصية، ليصدم «طاهر» وهو يشاهد رسمة تلو الأخرى، حتى وصل لتلك اللوحة التي رسمها «خالد» لـ«فريدة» عارية الجسد من خياله، وإن كان «طاهر» يعلم جيدًا أن «خالدًا» كان يجلب النساء ليرسمهن رسمًا حيًّا، فلم يكن من هواة التخيل، لتتسارع الشكوك في عقله، لأزيده أنا همسًا وظنًّا، ليقع أخيرًا فريستي، ويخرج من الغرفة ساخطًا، متجهًا إلى باب الشقة فاتحًا إياه، ليغادر تاركا الباب مفتوحًا حتى وصلت «فريدة» بعدها بدقائق، مندهشة من انفتاح الباب على مصراعيه، فتدخل باحثة عن والدها، قبل أن تلمح إضاءة غرفتها فتهرع إليها، واجدة لوحات «خالد» مقطعة وملقاة على السرير، لتفهم جيدًا ما حاولت الهروب منه، لتدمع عيناها الآن وهي تتحدث مع الدكتور «فهد» من منزل «طاهر».

-وهو «خالد» اللي كان راسملك اللوحات دي بجد يا «فريدة» هانم؟

-أيوه يا دكتور «فهد»، كان «خالد»، بس أنا في الوقت ده مكنتش أعرف.

قالتها «فريدة» لتجيب فضول دكتور «فهد» المتعاطف معها بقوة.

***

-طيب مش حاسس إنك عايش في عالم خاص بيك في عقلك، أو في واقع افتراضي، ومش مصدق إنك قاتل؟

تساءل اللواء «فاروق»، ليجيبه «عاصي» بوضوح:

-أنا أرفض إن حد يقول عليا قاتل، لازم تعرف ليه قتلت.

تهكم «فاروق» مكملًا:

-طيب تقول إيه لأهالي شهداء مصر؟ تخيل لو سيبتك في ميدان التحرير وقلت للناس اللي انت عملتو!

-إحنا الحمد لله مش عايزين الدنيا خالص، ويعلم الله أنا مكنش قصدي أكون

قاتل معاذ الله، أنا أتمنى يهدي الناس أجمعين إن شاء الله.

-ويهديك.

قالها اللواء «فاروق» بتنهيدة أخيرة قبل أن يعلق «عاصي»:

-آمين إن شاء الله.

-يعني مش ندمان يا «عاصي»؟

-لأ مش ندمان.

قالها «عاصي» بوضوح، ليتوقف اللواء «فاروق» عن الحديث، ويأخذ متعلقاته ويقف مصافحًا «عاصي» الذي اندهش من مد «فاروق» يده إليه قائلًا:

-عمومًا أنا استفدت كتير من الكلام معاك.

سكت «عاصي» لحظة قبل أن يقول كلمته الأخيرة:

-أنا أكتر، حقيقي يا ريتنا اتكلمنا من زمان.

***

«التاريخ في الوقت الحاضر ١٣ أكتوبر الساعة ١ صباحًا»

(٣٢)

من صحراء شمال سيناء، كان الرائد «عادل» أسيرًا، مكبلًا بالقيود، حبيس أحد الأقفاص الحديدية كالتي تستخدم لنقل الحيوانات، مرتديًا زيًّا برتقالي اللون، داخل خيمة واسعة لا يدخلها أي ضوء خارجي ليجهل «عادل» ليله من نهاره، حتى دخل «دياب» المكان ممسكًا بكشاف كهربائي بشماله وتفاحة بيمينه يقضم منها، ليتقدم المكان مزعجًا عيني الرائد «عادل» بإضاءة كشافه، يجثو «دياب» عند وصوله إلى قفص الرائد «عادل» قائلًا:

-مش ناوي تريحنا وتريح نفسك؟

-والله لو حرقتوني بالحياه مش هاصورلكم اللي إنتوا عايزينه.

ابتسم «دياب» قائلًا:

-لأ قديمه فكرة الحرق دي، عملناها كتير، هانشوف حاجه جديده.

قالها بسادية أعجبتني، قبل أن يقف متابعًا:

-هاتصور الفيديو اللي إحنا عايزينه يعني هاتصوره، محدش بيستحمل، صدقني.

غادر «دياب» تاركًا الرائد «عادل» في حبسه بعدما رفض الأخير تصوير مقطع الفيديو الذي طلبه منه «دياب»، الذي كان يريد استعراض قوة جماعته، لينشر فيديو لـه يتوسل فيه لنيل حريته، لأنشر أنا بعدها الخوف في صدور كل من يحاربني، وإن كان الرائد «عادل» صامدًا حتى هذه اللحظة دون طعام أو شراب ولكن قوته قد بدأت في الانهيار، خاصة مع كل الأفكار التي ظللت أبثها في عقله في هذا الظلام الذي ساد المكان.

***

خرج اللواء «فاروق» من غرفة التحقيقات في حالة من الهم والانزعاج، طالبًا من الحرس إعادته إلى غرفته، قبل أن يتوجه بسؤال أخير إلى أحد قادته:

-هو «سيف» فين؟

-ماشي على تعليمات سيادتك، يا فندم.

-أني تعليمات؟

قالها وقد أنساه تحقيقه مع «عاصي» ما حدث منذ ساعات.

-مشوار «طاهر».

-آه.. لقيتوا العنوان؟

-أيوه يا باشا وزمانه على وصول.

***

-طيب وعمل إيه بعد ما شاف الرسومات دي يا مدام «فريدة»؟

تساءل الدكتور «فهد» لتشرد «فريدة» بعيدًا، فلم تكن تدري ما حدث بالفعل، عكس «خالد» الذي كان يعلم ما تجهله، فلقد غادر «طاهر» وظل يبحث بين أوراقه لمن يتكلم معه، فلم يعد يمتلك الكثير من العلاقات مثل «خالد»، فلقد ابتعد عن الجميع بعد زواجه لأدله أنا عما يبحث، فيخرج هاتفه الخلوي ويقوم باتصال لهالكته.

-آلو أيوه يا «نشوى»، أنا «طاهر».

ابتسمت «نشوى» التي كانت تنتظر هذه المكالمة بفارغ الصبر، تنتظر هذا اليوم الذي سيحضر إليها شاكيًا من حياته الزوجية حال الجميع، وإن جهزت «نشوى» أجندة مسبقة لمثل هذا اليوم، لتنتقم من هذا الرجل الذي فضل عليها أخرى، لتهيئ الطريق الذي ستأخذ «طاهر» إليه انتقامًا لقلب المرأة الذي يملأه الجحود.

قابلت «نشوى» «طاهر» بالفعل بعد ساعة واحدة من مكالمته، حيث تفهمت صعوبة الموقف من صوته واستسلامه، لتبدأ الحية في بث سمومها بانتظام وتلقائية.

-انت فاكر لما تموتها وتموته، كده ربنا هايرضى عنك يا «طاهر»؟

-ربنا؟!

-سبحان الله يا أخي! يعني انت بتمشي ورا ربنا في كل حاجه وتيجي في المهم وتمشي على مزاجك؟

سكتت «نشوى» لحظات ليهضم «طاهر» كلامها قبل أن تتابع:

-طلقها يا «طاهر»، طلقها وابعد خالص، وتعالى معايا.

-آجي معاكي فين؟

-الجهاد يا «طاهر».

-جهاد إيه؟!

بابتسامة هادئة تابعت «نشوى»:

-انت راضي عن اللي حصل في البلد، بعد اللي حصل؟

لم يكن «طاهر» ممن يهتم بالمصالح السياسية منذ الصغر، لتتابع «نشوى»:

-الشيخ «دياب» أعلن الجهاد، عارف يعني إيه الجهاد يا «طاهر»؟

يعني الهروب من الدنيا وهمها، فرصه نشوف ربنا، فرصه للخلاص يا «طاهر»، فرصه للشهاده.

كان «طاهر» بالفعل يريد الهروب من الدنيا، فلم يحيَ إلا قديسًا محرومًا من متع الحياة وجمالها، ليجد في ملاقاة ربه الخلاص، وإن كان هذا قراره، فماذا يا ترى أكرم له من الشهادة طريقًا لملاقاة ربه؟

بالفعل سافر «طاهر» مع «نشوى» إلى «دياب» الذي استقبلهما استقبال الفاتحين في إحدى بقاع «سيناء» ليتابع ما بدأت خادمته، فلقد كان «طاهر» رافضًا لما حدث معه، كان يشعر بفشله في إسعاد «فريدة» قبل أن يزداد همًّا بشكه في علاقتها بـ«خالد» الذي رسمها عارية، ليشعر بظلم الدنيا، وامتحان خالقه، ليحاول اجتياز الاختبار، مقررًا الهروب إلى ربه أخيرًا بعدما تكررت خسارته بعد والديه؛ إذ خسر زوجته و«خالد» أيضًا ليتقبل أخيرًا الشهادة، وإن كان يحتاج بعض المجهود الإضافي الذي لم يضنِ «دياب» صاحب العقل

الرزين والحبكة المقنعة، ليتوغل فترة من الوقت في عقل ضحيته، محاولاً نزع ثوب القديس الذي كان يرتديه، زارعًا مكانه نبتة الجهاد، ليحاول «دياب» إنجاح أهم استثمار له في هذه اللحظة، وهي خلق العناصر الانتحارية، التي يستطيع بها خلخلة استقرار أي مكان يذهب إليه، فما هو السلاح الذي يستطيع أن يردع من قرر الموت مسبقًا! ليصبح العنصر الانتحاري هو أهم سلاح يمتلكه «دياب» وجماعته التي سيدته عرش هذا السلاح الفتاك، بقوته على غسيل العقول، ليستعمل «دياب» هذه القوة الآن، ليعيد خطته التي خططها منذ أقل من سنوات ثلاث عندما أمر «وحيد» بالتنازل لـ«طاهر» عن «نشوى» لتوقعه في شباكها، ليجد «طاهر» ما يحتاج إليه من دعم واحتضان، ليصبح متلقيًا للسموم التي تبثها «نشوى» التي عادت الآن لتنتقم من «طاهر» الذي تزوجها بالفعل على قانون البادية، دون أوراق أو عقد، فقط شهادة الشهود الذين احتفلوا بميلاد فانٍ جديد سلم نفسه إليَّ عن طريق هذه الأنثى الرخيصة التي كانت تمتع كلَّ رجال قبيلة «دياب» دون أن يدرك «طاهر» ذلك، وإن انتقمت أنا له، فلم تكن «نشوى» تعلم من ستقابل في ظلام الليل، فلم يكن «طاهر» بل كان (هو) خادمي أنا، الذي يبحث عن المتعة بين أفخاذ النساء، ليتبع (هو) تعليماتي الدقيقة، لتدفع «نشوى» ثمن كذبها وأنا أغتصب كرامتها طوال الليل والنهار لأزرع طفلي الثالث في هذا العرض المهتوك.

***

انزعجت «فريدة» من علو صوت الطارق وطرقاته العصبية على الباب، لينظر الدكتور «فهد» إلى ساعته التي تجاوزت الواحدة صباحًا، فيشعر بالإحراج الشديد، ليزداد ذعره مع ازدياد تواتر الطرقات على الباب، ليظنه «طاهر» ويستعد الدكتور «فهد» لمعركة خاسرة، لتهدئ «فريدة» من روعه وتقترب منّ الباب لتفتحه، ليصيب «فهد» الذهول عند دخول المقدم «سيف» الذي اندهش هو الآخر عندما وجد الدكتور «فهد» بالداخل، ليتجاهل «فريدة» ويوجه حديثه للدكتور «فهد» بشك وريبة:

-دكتور «فهد»! بتعمل إيه هنا؟

سكت الدكتور «فهد» مترددًا في الإجابة، ليكرر سؤاله بعصبية:

-بقولك لحضرتك، بتعمل إيه هنا!!!؟

-قاطعت «فريدة» المقدم «سيف» في حدة:

-انت اللي مين؟ وداخل فينا شمال كده ليه؟

نظر المقدم « سيف» إلى مخبرين كانا معه لا يزالان واقفين عند الباب، ثم إلى «فريدة» قائلا:

-مقدم «سيف» أمن وطني.

***

من داخل أحد مخيمات شمال سيناء استيقظ «طاهر» من جانب زوجته الثانية «نشوى» التي كانت نائمة كالقتيلة تحاول نسيان ما فعلت أنا بها أثناء الليل، ليخرج من خيمته متوجهًا إلى خيمة «دياب» الذي كان ينتظر قدومه.

-سلام عليكم.

-وعليكم السلام يا أخ «طاهر»، نمت كويس؟

-الحمد لله.

-بقولك إيه يا شيخنا، أنا بقالي فتره بستخير ربنا وخلاص ناويتها.

اقترب «دياب» من ضحيته في سعادة ليتأكد:

-نويت على إيه؟

-الشهاده إن شاء الله.

-اللهم صلي على حبيبك النبي، بسم الله ما شاء الله.

ابتسم «طاهر» بفخر قبل أن يضيف:

-بس أنا مش عايز أهلي يضروا.

-أكيد يا «طاهر» يابني، عين العقل، الحكومه عندنا كافره وممكن تأذيهم لو

شكت في حاجه.

-عشان كده أنا هاطلق مراتي.

-«نشوى»؟!

-و«فريدة» كمان.

-مفهوم يا «طاهر» عندك حق، أأمن برضه.

-وهاكتب جواب لأخويا هاوصيه عليها لو سمحتوا توصلوه ليه.

-حاضر يا «طاهر»، المهم انت تصفي ذهنك عشان في مهمه محدده الفتره اللي جايه، لازم يكون ليك نصيب فيها، عشان أجرها إن شاء الله هايكون عظيم.

***

بدأ الدكتور «فهد» في شرح موقفه للمقدم «سيف» الذي كان يشك به بوضوح، فلقد كانت الصدفة غريبة، أن يقابله في بيت زوجة إرهابي هارب بعد منتصف الليل عقب زيارته لمكتب الأمن الوطني.

-يعني انت عندك في المصحه أخو «طاهر» التوأم؟

-أيوه يا فندم مظبوط كده.

-طيب وإيه يضمن إن اللي عندك مايكنش «طاهر» نفسه ومتنكر في صورة أخوه؟

سكت الدكتور «فهد» مصدومًا من فكر المقدم «سيف» كثير الشك وإن لم يستطع نفي الفكرة تمامًا.

-وانتي تبقى طليقته؟

-طليقة مين؟

في عصبية أجاب المقدم «سيف»:

-متركزي معايا يا وليه أنا مش فايقلك!

-ماتتكلم كويس، انت فاكر نفسك مين؟

وقف المقدم «سيف» بأسلوب مخيف واقترب من «فريدة»، ليوقفه الدكتور «فهد» بهدوء:

-معلش يا «سيف» بيه الموضوع بس صعب على مدام «فريدة» أنا دكتور وفاهم.

-طيب يا سيدي خليك فاهم وفهمني، هي دي مرات البيه؟

-بيه مين؟

-يووه بقى... ماتعصبونيش منك ليها، بتكلم عن الزفت «طاهر».

هدأت «فريدة» من روع المقدم «سيف» مجيبة إياه:

-أيوه يا فندم أنا طليقته.

قالتها وسكتت لحظة لتكمل:

-أو أرملته.

***

-وهو انت إيه اللي فهمك إن «طاهر» مات يا «خالد»؟

قالتها «نور» في تحفظ من غرفته بالمصحة، ليتوقف عن الكلام ويترجل من سريره، ذهابًا وإيابًا.

-نفس اللي خلاني أعرف كل حاجه عن «طاهر» قبل كده، شفته بيكتب الجواب اللي سابهولي، شوفته وحاسيته كمان، فهمت الكلام اللي مكنش ينفع حد غيري يفهمه، وبعد ما قريت الرساله شوفته وهو بينفذ الحادثه، شفته زي ما أنا شايفك قدامي دلوقتي كده.

-توارد الخواطر؟

-معرفش المعنى، أحيانًا كنت بحس إننا ملبوسين، ويمكن اللي لابسنا واحد بسمعه بيهمسله وبيوشوشني.

-ده يبقى الشيطان بقى.

قالتها باستهتار لي وعدم تقدير، ليجيبها (هو) قائلًا:

-أو الكمير!

***

«أنا الكمير....

أنا ابن الوكيل، قتلاني هما قبل ميلادي سنة ١٩٧٩، لأظل أنا شاهدًا على نشأتهما في عائلة والداي فاحشة الثراء، ليعيشا بضع سنوات، حياة مليئة بالترف والرفاهية خالية من الألم، حتى لحقني والداي لملاقاة ربهما وهما في الثامنة، لأصبح أنا سعيدًا في تلك الحياة البائسة، فلم يؤنس وحدتهما غيري (أنا). سنوات مرت عليَّ وأنا ساكن، لا أستطيع التمكن منهما، أو مما أريد، أطيع الجميع رغمًا عني، فلقد خُلقت من النار ملحدًا، فقط أتبع هويتي، فهكذا طبعت، فلِمَ تقاتلون فطرتي؟! دعوني أنفذ ما عارضت من أجله خالقي، وإن تفهمتَ الآن حمكته، فالعمر لحظة، لحظة لو أدركها بنو آدم، ما أهدروها إلا في تعبد الخالق أو إعمارًا للأرض، فالجنة والجحيم ليستا ها هنا، فالمتعة والألم ليسا وسط هذا الخلق، فلِمَ تخسر يا ابن آدم الوقت؟! لأغدر (أنا) بك كالحية، في اليوم الذي منك (أنا) تمكنت، لأقتل فيك كل ما خلقه الله طاهرًا ليخلد، فمن حقًا (أنا) ومن أنت؟».

***

«التاريخ في الوقت الحاضر ١٣ أكتوبر الساعة ٢ صباحًا»

(٣٣)

أنهى «طاهر» كتابة خطابه الذي أعده لأخيه وزوجته، طالبًا منهما إكمال رحلتهما سويًا من بعده، فلقد رأى أن تذكرته كانت ذهابًا فقط دون عودة، لعل الله يدخله جناته، بعدما ترك لهما الدنيا وما فيها من مشقة وعذاب، وإن كان «خالد» يقرأ ما يكتب «طاهر» في لحظته، فلقد كانا متلاحمين روحيًا بصورة فائقة، ليبكي «خالد» الذي فهم ما يرمي «طاهر» إليه، ليجول في مكانه محطمًا كل ما أمامه، محاولًا توصيل ما يشعر لـ«طاهر» الذي أكمل كتابته، مع تساقط دموع «خالد»، الذي ظل يقرأ ويستمع لكل كلمة يخطها «طاهر» بيمينه، موصيًا إياه على ابنته التي عرف لتوه نوعها، طالبًا منه أن يسميها على اسم جدتهما، التي ربتهما وقتلها (هو) في لحظة ضعف، لتخلد هذه الطفلة اسم الجدة.

ترك «طاهر» أوراقه والقلم، ونظر إلى تاريخ اليوم والسنة التي كانت تشير إلى عام ٢٠١٤، ليبتسم قبل أن يقف متحركًا أمام عين «خالد» المشلول، ليضع على ظهره تلك الحقيبة التي تركها له «دياب» بمجموعة قوية من المتفجرات، دون أن يعلم «طاهر» غايته التي وجهه إليها «دياب» للتو، ليُصدم «طاهر» الذي اكتشف أنه ذاهب ليفجر إحدى كنائس القاهرة احتفالًا بعيد القيامة، ليتسمر رافضًا لطلب «دياب» الذي لم يكن يتصور اعتراض «طاهر» في البداية، ليتابع شرحه وحجته الضعيفة التي لم تقنع «طاهر» وإن كانت كافية لإقناعي أنا، ليوافق (هو) أخيرًا على الذهاب في طريقه إلى تلك الكنيسة التي اختارها «دياب» سلفًا.

ساعات من السفر قضاها (هو) حتى وصل إلى «القاهرة» في الوقت المحدد، لينظر (هو) إلى الكنيسة كرهًا من الخارج قبل أن يعبر الطريق في عدم وعي للمركبات المارة، حتى كادت سيارة ملاكي حمراء تصطدم به، لتخرج منها سيدة ثلاثينية صاخبة، رغم ملامحها الهادئة وشعرها الذهبي المعقود، وجعلت تسبه، ليظل (هو) يتأمل عينيها الزرقاوين مندهشًا، فلقد كانت هذه هي المرة الأولى التي يقابل فيها «نور» جاهلًا أن هذا اللقاء سيتكرر بعد

سنوات عدة!

صفت الدكتورة «نور» سيارتها عند كنيستها، بعد أن عكر (هو) مزاجها، لتترجل من سيارتها، التي ظلت تقودها من «دهب» رجوعًا إلى «القاهرة» لتلحق بالعيد مع زوجها «مخلص» وابنتها كما وعدتها. لم يكن الجميع يعلم هوية «نور» ويجهلون مسيحيتها، حيث إنها أصرت هي على ذلك لكسب مودة مرضاها؛ خوفًا من العنصرية، خاصة لحساسية تخصصها.

رن جرس هاتف «نور» لتخرجه من حقيبتها وهي تمشي في اتجاه الكنيسة، لتجيب ابنتها التي كانت تلح عليها.

-أيوه يا حبيبتي أنا وصلت خلاص، صدقيني.

قالتها «نور» بعد أن عبرت باب سور الكنيسة الخارجي، لتقف ابنتها من داخل المبنى لتشير إليها، فتراها «نور» أخيرًا بعينيها وسط صفوف المصلين بجانب زوجها «مخلص» الذي وقف هو الآخر ليحيي زوجته التي افتقدها، لتقترب «نور» منهما شيئًا فشيئًا، ويبتسم ثلاثتهم بسعادة بالغة، قبل أن تدرك «نور» نيران الانفجار التي ابتلعتهما من أمامها في مشهد مروع لسقوط الكنيسة في مكيدة الإرهاب الذي زرعه (هو)، ليدفع الانفجار بـ«نور» حارمًا إياها من الالتحاق بأحبائها الذين باتوا في طريقهم إلى السماء، حال كل من كان يصلي للصليب من البيت الذي كان يعبد فيه الخالق.

***

أنهى «خالد» حكيه على «نور» التي كانت صامتة كالأموات، قبل أن يدرك أنه يجلس أمام سيدة ثلاثينية صاحبة ملامح هادئة وشعر ذهبي معقود، ليغوص داخل عينيها الزرقاوين، ليجد فيهما ما حدث في تلك الكنيسة منذ سنوات عديدة، فتبدأ هي في الهذيان.

-انت بتضحك عليا.. صح؟

لم يجب «خالد» وفضل السكوت بعدما تذكر السبب الذي جعله يتكلم معها دون غيرها، فلقد تذكرها (هو) في وقت ما.

-قولي إنك بتضحك عليا.

قالتها «نور» صارخة في المكان لتصحي النيام.

-قولي إنك كداااب....قولي إنهم عايشيين.....بقولك قولي إنهم عايشين... انت ساكت ليه؟ انت ساااكت ليه؟

اقتحم المكان حارسا الطابق الثالث في توتر، كما ظهرت «ملك» و«حنين» ليشهدا ما يحدث.

-كلمني يا «خالد»....انت مش بتكلمني ليه؟ أنا لسه متصله بيهم، قلتلهم إني جايه في العيد اللي جاي، ولّا ده كان في العيد اللي فات؟! كلمني يا «خالد»... كلمني عشان خاطر ربنا، كلمني.... انت سااااكت ليهه؟

أمسك الحارسان بـ«نور» بينما اتصل أحدهما بـ«نبيل» معلمًا إياه بما يحدث، ليسمع في الهاتف صراخها.

-يا «خاااالد»... انت الحاله رجعتلك ولّا إيه؟ أنا بقولك كلمني، ده أمر، ده أمر يا «خالد» أنا الدكتوره «نور»، أنا اللي بعالج كل الناس، اسمعني وجاوبني، فين «مخلص» جوزي؟ فين بنتي؟ أنا كنت رايحالهاااا، هي فين؟ إنطق يا «خالد» عملت فيهم إيه.

قالتها «نور» صارخة، لتنهمر دموع «خالد» الذي شعرت بكرهه لي فجأة، شعرت برفضه لأفعالي، ليلوم عليَّ ما همست إليهما ليفعلاه، متناسيين أني وإن كنت المخطط، فهما من كانا دائمًا ينفذان، ويمتثلان لأوامري، وكنت أنا السراب ولست الحقيقة.

سحب الحارسان «نور» التي أخذت تقاومهما وهي تبحث في جيبها عن هاتفها المحمول لتقوم باتصالها المعتاد لزوجها «مخلص» لتجيبها تلك الرسالة الصوتية كالعادة:

«هذا الرقم غير موجود بالخدمة برجاء التأكد من الرقم المطلوب وإعادة المحاولة»

جرها الحارسان إلى ممر الطابق الثالث أمام عيني «ملك» و«حنين»، بينما وصل «نبيل» هو الآخر إليهم ليشاهد مشهد سحب «نور» إلى غرفتها الحالية، الغرفة التي تجاور غرفتها القديمة، غرفتها التي تسكن فيها منذ أصبحت مريضة بالمصحة بعدما كانت استشاريتها الأولى ومساعدة «الشربيني» الذي أمر بوضعها تحت العلاج دون أي مصاريف إلى المدى الذي تحتاجه؛ عرفانًا منه لجميلها وعلمها، ليخصص لها الغرفة المجاورة لغرفتها الطبية التي كانت تعمل منها، لتصبح الدكتورة «نور» مريضة نفسية بعدما فشلت في علاج نفسها، وعدم استطاعتها اجتياز مرحلة الصدمة التي واجهتها عند مشاهدتها لتفجير كنيستها وموت زوجها وابنتها أمام عينيها على بعد خطوات قليلة منها، بعدما فجر (هو) الكنيسة بتوجيهاتي.

وضع الحارسان «نور» في سريرها بغرفتها المرضية، لتظل هي تنظر إلى حوائطها وتدرك ما كانت ترفضه، قبل أن يتوجه «نبيل» بإنهاء الموقف بهذه الحقنة التي غرسها في وريدها، لتهدأ «نور» تمامًا وتذهب إلى عالمها الافتراضي لتقابل «مخلص» وابنتها، لتغرد معهما أغنية «مخلص» الذي غناها لابنتهما والتي اشتهرت في ربوع «مصر».

خرج الجميع مع «نبيل» الذي وجه كلامه إلى «حنين»:

-إتفضلي على أوضتك يا «حنين».

-انت مين؟

ضحك «نبيل» قائلًا:

-أنا «نبيل» مدير المصحة.

قالها «نبيل» مصطحبًا إياها إلى غرفتها ثم اتجه مع «ملك» إلى غرفتها هي الأخرى، ليطمئن عليها، قبل أن تحضر لها صديقتاها «مارينا» و«فبرونيا» ليكملن سهرتهن، تحرك «نبيل» إلى غرفة «خالد» الذي أطفأ الأنوار، وعاد هاربًا إلى سريره، فارًّا من المسؤولية التي يجهل سببها، ليهرب (هو) الآخر إلى عالم الأحلام.

أغلق «نبيل» الغرفة وعاد لطرقة الطابق الثالث، ليسير فيها بخطوات مهمومة ليعود إلى طابقه قبل أن يلفت نظره ضوء غرفة «حنين» ليجذبه الحنين إليها، لتدخله قدماه إلى الداخل.

-صاحيه ليه يا «حنين»؟

من على سريرها أجابت شاردة:

-افتكرت أولادي.

-تعيشي وتفتكري.

-أنا عندي اتنين.

-عارف.

قالها «نبيل» وهو يجلس بجوارها.

-ولد وبنت.

ظل «نبيل» صامتًا يستمع إليها.

-الولد كان دكتور.... دكتور باطنه.... كنت لما بحتاج حاجه كان بيعالجني علطول.... بس يا كبد أمه ماعرفش يعالج نفسه.... أصله جاله المرض الوحش، طلع لأبوه.... بس الحمد لله ماتعبش زي أبوه، راح بسرعه.

لم يستطع «نبيل» النطق والحديث وظل صامتًا.

-بنتي بقى اتجوزت من دكتور برضه، وبرضه مقدرش يعالجها، عارف ليه؟ عشان ربنا مابيتعاندش، أنا لو رجعت بالزمن مكنتش هاختار أخلفهم.

قالتها «حنين» باكية، ليحتويها «نبيل» مستعيذًا مني.

-أستغفر الله العظيم.. يا «حنين» زي ما ربنا حرمك من الخلفه فتره لحكمه، رزقك بيهم لحكمه وأخدهم منك برضه لحكمه، زمانهم دلوقتي زينة شباب الجنه.

قالها «نبيل» مع مرور «مارينا» و«فبرونيا» اللتين دخلتا إلى غرفة «حنين»

بعدما سمعتا بكاءها، لتضع كل منهما يدها على رأسها الموضوع على صدر «نبيل» لتنام «حنين» بحثًا عن أبنائها في الأحلام، قبل أن يستفيق «نبيل» الذي غفل هو الآخر، فيريح ظهر «حنين» على سريرها، مغادرًا وهو يخرج هاتفه الخلوي ليتصل برئيسه الذى أكد على ضرورة إبلاغ «نبيل» له بأي تطورات.

-آلو.. أيوه يا دكتور، أن آسف بتصل بحضرتك متأخر، أنا عارفك بتسهر، أصل الدكتوره «نور» جاتلها الحاله تاني من نص ساعه.

من شقة «فريدة» استقبل الدكتور «فهد» الخبر في استياء، ليكمل «نبيل» قص ما حدث بين «نور» و«خالد» حسب رواية الحراس، ليبدأ الدكتور «فهد» في ربط الأمور قبل أن يغلق الخط ليستمع إلى حديث «فريدة» والمقدم «سيف».

-و«خالد» هو اللي أكدلي إن «طاهر» مات في حادثة الكنيسه.

-مش يمكن كان بيقول كده عشان يقنعك بالجواز منه زي مابتقولي؟

-أنا برضه قلت كده، بس فعلًا «طاهر» كان مطلقني، وكان سايبلنا جواب بخط إيده، اتأكدت منه إن «طاهر» مات.

-مش ممكن يكون «خالد» هو اللي كتب الجواب؟

قالها المقدم «سيف» مشككًا كعادته.

-لأ، أنا عارفه خط «طاهر»، مختلف عن خط «خالد» خالص.

-الجواب ده عندك؟

-موجود فوق عند بابا.

-طيب كملي.

-«خالد» فعلًا إتقدملي رسمي.

***

في نهاية ٢٠١٤ وبعد أيام من فقدان «خالد» لنصفه الآخر «طاهر» كان «خالد» كعادته يصارع الأرق وهو ينظر إلى مروحة السقف التي أدارها رغم برودة الجو، فقط لينظر إلى حركتها البطيئة وهو مستلق على سريره بمنزل «حبيب» صديقه الوحيد في هذا العالم، والذي عاد إليه تاركًا زوجته في «دهب» ليمكث معه بضعة أيام بعد خسارته لـ«طاهر»، الذي اخترق (هو) المكان، من الباب المطل على الحديقة، مصارعًا الستار الأبيض الشفاف الذي حاول منعه، ليجد «خالد» نفسه أمامه، و(هو) في كامل هندامه. تملك الذعر منه وفقد السيطرة على أطرافه، كما لُجم لسانه فزعًا، ليبتسم (هو) في برود، مقتربًا من «خالد»، ليحرر هذا الستار الذي عاود أدراجه في هدوء، ليقف (هو) بين سرير «خالد» والمرآة الموضوعة على يساره بجوار الباب.

-ماتخافش يا «خالد».

ظل «خالد» ساكنًا وكأن على رأسه الطير، ليكرر (هو) كلامه:

-بقولك ماتخافش.

حاول «خالد» استعادة رباطة جأشه، مستعينًا بإضاءة القمر الذي حد من عتمة الغرفة، فرفع الغطاء ببطء شديد، ثم أنزل قدميه من على السرير، منتعلًا نعليه ليقف في تردد، محاولًا النظر إلى هذا الوافد كالطيف، بينما عكست تلك المرآة المتهالكة صورة «خالد».

-انت إنس ولّا جن؟!

قالها «خالد» مستفهمًا، ليجيبه (هو) في برود:

-صدقني مش مهم يا «خالد»، المهم إن رحلتي خلصت، وتذكرتي كانت رايح بس.

-مش فاهم!

أخرج (هو) صورة فوتوغرافية يعرفها «خالد» جيدًا لامست قلبه الطيب، ليكمل (هو) طلبه:

-يعني مشواري خلص، بس تذكرة العوده معاك إنت، لازم ترجع بيهم

يا «خالد»، أنا سايبهملك أمانه، ورغم اختلافنا الكبير، إلا إني عارف إنك هاتحميهم كويس من بعدي.

استطاع «خالد» أن يدرك ما كان يرمي إليه شبيهه في المرآة، ليؤثر الصمت.

-إوعدني إنك تحافظ على الأمانه وترجع بيها.

سكت «خالد» ليصيح (هو) مرة أخيرة:

-إوعدنيي.

-حاااضر....حاضر.

قالها «خالد» بصوت قوي رغم ذعره، لينتبه «حبيب» الذي كان لا يزال مستيقظًا يتناول عشاءه كعادته في تلك الساعة من الليل، ليتجه إلى غرفة «خالد» مقتحمًا إياها مفزوعًا دون استئذان، عاجزًا عن فك طلاسم المشهد في الظلام، ويضغط بيمينه مفتاح الإضاءة، فيضيء المكان هذا الكشاف الذي يتوسط المروحة بإضاءته الصفراء البائسة، كاشفة «خالد» وحيدًا في الغرفة وهو لا يزال واقفًا يتحدث إلى نفسه بالمرآة، ليتسمر «حبيب» في مكانه ناظرًا إلى «خالد» الذي ظل يرمق نفسه في المرآة باحثًا عن شبيهه الذي اختفى، بينما كان الستار لا يزال يتحرك بعنف محاولًا ردع الرياح الشتوية التي باتت تتوغل الغرفة، فتوجه «حبيب» إلى النافذة وأغلقها في صمت، قبل أن يعطف على صديقه بتلك النظرة المشفقة التي لامس بها كبرياءه.

-«خالد» إحنا محتاجين نتكلم.

-نتكلم في إيه يا «حبيب»؟!

قالها «خالد» مستنكرًا، وظل يتابع حديثه مع «حبيب» مطمئنًا إياه بأنه سيتوجه إلى طبيب نفسي، ليتحدث إليه عن رؤيته لشبيهه الذي مات، ليغادر «حبيب» ويظل «خالد» ينظر إلى نفسه في عمق المرآة، يبحث عن سلامة عقله، حتى تيقن من جنونه قبل أن ترشده حركة الستائر إلى تلك الصورة الفوتوغرافية الواقعة على الأرض، ليقترب إليها مسرعًا، ليمسكها بسعادة، متيقنًا من سلامة عقله، ويبتسم عندما تعرف على صاحبة الصورة،

فهي فريدة من نوعها. نعم كانت هي «فريدة»، ليدرك «خالد» أنه مجبر على حمل تلك الأمانة، قبل أن تنطفئ الأنوار ويعاود الظلام.

***

-مستحيل طبعًا توافقي على المسخره دي.

قالتها «أشجان» بعصبية شديدة، من داخل منزل «صالح» الذي أوقفها بانفعال.

-مالك يا «أشجان» طايحه فينا كده ليه؟ أختك بقت مطلقه وفي بطنها عيله، وأبوها كمان شكله مات، يعني مش هاتلاقي حد يعبرها، ولا يعبر البت اليتيمه دي، نحمد ربنا إن «طاهر» بقى ليه أخ مستعد يستر على أختك.

-لا يا بابا حرام عليك تعمل فيها كده.

-أعمل إيه يا مجنونه إنتي؟ مالك في إيه، انتي اتهبلتي ولّا إيه؟!

قالها «صالح» ناظرًا إلى «فريدة» التي جلست بصمت مريب، ليقول:

-انتي ساكته ليه يا «فريدة»؟

-هو أنا ليا رأي في حاجه؟ زي ما إنتوا كنتوا مقررين تجوزوني «طاهر» شوفوا ناويين تجوزوني «خالد» ولا لأ.

-إيه هو ده! ما تتكلمي يا وليه.

قالها «صالح» لزوجته التي كانت تحضر الطعام على السفرة دون أي اهتمام.

-لا حول ولا قوة إلا بالله، ليه يا رب ما رزقتنيش براجل يشيل عني البلاوي التلاته دول!

-بابا.. «فريدة» مش هاتتجوز «خالد» يعني مش هاتتجوز «خالد».

قالتها «أشجان» بعصبية قبل أن تسقط وسط الجمع غائبة عن الوعي، ليهرع إليها الجميع، طالبين لها الطبيب الذي حضر في دقائق معدوده، ليكشف لهم عن شكوكه بحملها، فتتصل «فريدة» بـ«راغب» الذي استقبل خبر حمل

زوجته باندهاش وهو يجلس مع «عشق» في بيتها، فيغلق «راغب» الهاتف في صمت.

-مالك يا «راغب» في إيه؟

لم يجب «راغب» لتتابع «عشق»:

-بص يا «راغب» جوازنا كان غلطه، وانت مكنتش عايز تعترف باللي في بطني، خلاص متضايق ليه دلوقتي؟ أنا رجعت لجوزي، وأنا وانت هانفضل مع بعض، بس لو في يوم عملت حاجه كده ولا كده هافضحك بورقة جوازنا.

-بس أنا بقيت عايزك يا «عشق».

-وأنا كمان أحيانًا بعوزك، ولما هاعوزك هاندهلك.

-يعني إيه؟

-يعني دلوقتي تسيني عشان ورايا سهره مهمه، وبكره هاستنك نكمل اللي كنا بنعمله.

-بكره؟!

نظرت «عشق» داخل «راغب» مستمتعة بضعفه.

-بحب فيك النظره، دي أوي يا «راغب»، نظرة المشتاق، نظرة المكسور.

-طيب خلاص خلينا مع بعض النهارده.

-لأ أنا قولت بكره، النهارده أنا خارجه مع جوزي وأهلي.

قالتها «عشق» وهي تطرد «راغب» الصامت الذي عاد إلى منزل حميه في ضعف وعدم استقرار، ليستقبله الجميع بالتهاني، ليقترب هو من «أشجان» التي كانت تبكي في استياء، وسط دهشة الجميع الذين ظنوها تبكي فرحًا، بينما كانت تبكي هلعًا، فهي تظن أن «خالد» الوالد الحقيقي لهذا الجنين، وإن كانت خاطئة، فأنا (هو) والد هذا الجنين الحقيقي.

***

-طيب يعني اتجوزتي «خالد» ده في الآخر؟

سأل المقدم «سيف» «فريدة» التي أجابت بهدوء وهي تنظر إلى الدكتور «فهد».

-في الأول رفضت طبعًا، عشان مكنتش مقتنعه، وطبعًا اتأثرت بكلام أختي ورفضها اللي أنا معرفتش سببه لحد دلوقتي، بس بعد ما رفضت «خالد» وبعد ما «أشجان» راحت مع جوزها على بيتها، جالي «خالد» في يوم وفاجئني.

***

في فجر أحدِ الأيام، تحرك «خالد» من بيت «حبيب» بـ«شبرا» بعدما ذهب صديقه تاركًا إياه وحيدًا عندما رفض الالتحاق به في «دهب» فلقد قرر «خالد» الخروج عن صمته، وتوجه في هذه الساعة المتأخرة إلى منزل جدته، ليصعد إلى شقة «صالح» بهدوء وثقة ويصل إلى البسطة التي تحتوي على أبواب شقة «صالح» الثلاثة، ليخرج اللوحة التي سهر على رسمها أمس، واضعًا إياها في شراعة باب «فريدة» عن يمينه، ثم أخرج هاتفه السري الذي لم يستخدمه منذ سنوات، ليتصل بـ«فريدة»، لتستقبل هذا الرقم بإثارة غريبة، فلقد اختفى هذا المتصل منذ سنين، لتسرع إلى باب غرفتها لتفتحه، فتجد هذه اللوحة الجديدة، لتفتح رسمتها، فيتراقص قلبها فرحًا قبل أن تبدأ في إغلاق الباب، فتمنعها يد «خالد» الذي لم تتنبه لوجوده، لتفزع لحظة، فيمسك برسمته بين يديها، واستعادها وسط ذهولها، مخرجًا قلمه الرصاصي لينهي شيئًا ناقصًا في اللوحة تركه «خالد» للنهاية، وهو توقيعه الذي وقعه وسط اندهاش «فريدة» التي استوعبت الإمضاء لتوها الرامز «خالد» الذي أعاد إليها اللوحة بعدما داعب قلبها وأنوثتها، لترضخ «فريدة» مبتسمة، قبل أن يفتح «صالح» باب الشقة الآخر فجأة، ليجدهما واقفين مبتسمين، ليبتسم هو الآخر قائلًا:

- «خالد»؟!

-أيوه يا عمي «خالد».

-طيب مالك يابني؟ إيه اللي مطلعك؟ أنا كنت نازل أصلي.

ابتسم «خالد» ليقول:

-ما أنا قلت أفوت على حضرتك، نروح نصلي سوا، أهو ناخد ثواب الجماعه.

-فيك الخير يا بني.

قالها «صالح» متفهمًا ما يدور ثم أغلق باب شقته وباب «فريدة» التي دخلت محرجة، قبل أن ينتبه إلى حديث «خالد»، ليردده مبتسمًا:

-تاخد ثواب الجماعه، تاني يا بني! هو لسه مفيش حد بيصلي غيرنا ولّا إيه؟

***

-يعني اتجوزتوا فعلًا؟

كرر المقدم «سيف» سؤاله في إلحاح، لتجيب «فريدة» هروبًا من عين الدكتور «فهد».

-أيوه.

-وهو فين دلوقتي؟

-ما أنا قلت لسيادتك موجود عندنا في المصحه.

-طيب خلاص، أنا هاحتاج أبعت أجيبه بكره.

-لا.

قالها الدكتور «فهد» منفعلًا، ليندهش المقدم «سيف» معلقًا:

-أفندم؟!

-يا فندم مقصدش، بس صدقني يستحسن إحنا اللي نروح، عشان في تطورات جديده لسه مبلغني بيها دلوقتي في المصحه.

أكمل الدكتور «فهد» كلامه، ليوافقه المقدم «سيف» أخيرًا واشترط التحاق «فريدة» لهما في الرحلة لغرض ما في نفسه لم يشاركهما إياه، كما أصر على

بدء الرحلة في التو واللحظة، قبل أن يقنعه الدكتور «فهد» أيضًا بالانتظار بضع ساعات حتى الصباح، ليضع المقدم «سيف» حراسة على منزل «فريدة» التي صعدت مع ابنتها إلى والديها، بينما غادر الدكتور «فهد» مع المقدم «سيف، بعدما جهز الأخير طاقم الطب الشرعي الذي سيتخذ عينات التحاليل المطلوبة من ابنة «طاهر» قبل أن يتوجها في الصباح إلى «دهب».

***

«التاريخ في الوقت الحاضر ١٣ أكتوبر الساعة ٧ صباحًا»

(٣٤)

من داخل غرفته بالمصحة، كان «خالد» يصارع النوم هاربًا من ذكرياته التي كنت أبثها داخل عقله المريض، لأذهب به إلى شقة «حبيب» قبل زفافنا على «فريدة» فقط ببضع ساعات، عندما سمع طرق الباب الغاضب ليفتحه بتوتر قبل أن يجدها أمامه.

-«أشجان»؟!

قالها «خالد» باندهاش، فلقد ارتدت «أشجان» طرحة بغيضة حول شعرها، أزعج نظرنا، وإن اضطر «خالد» أن يبارك لها كاذبًا على حجابها.

-والله معرفتك بالطرحه، مبروك.

لم تجب «أشجان» للحظات ليعلق «خالد»:

-خير يا «أشجان»، «فريدة» كويسه؟

في اندهاش وغيرة واضحة علقت «أشجان»:

-«فريدة»؟!

-في إيه يا «أشجان»؟ قلقتيني.

-طب هاتسيبني كده على الباب؟

-آه معلش، أنا أصلي لوحدي، بس اتفضلي اتفضلي، انتي زي أختي.

-أختك؟!

قالتها «أشجان» وهي تدخل من باب الشقة الذي لم يقفله «خالد» قائلًا:

-آه طبعًا مش هاتبقي أخت مراتي؟

دمعت «أشجان» قائلة:

-أرجوك يا «خالد» كفايه.

-كفايه إيه يا «أشجان»، هو في إيه؟

قالها «خالد» بصدق، فلقد كان جاهلًا ما فعلت أنا مع هذه السيدة المثيرة.

-مفيش حاجه خالص يا «خالد»، أنا بس اللي بقيت حاسه إني رخيصه أوي بسببك، ما بقتش عارفه أرفع وشي قدام ربنا، ولا عارفه أصليله.

كان «خالد» مذهولًا من تعليقاتها وهي تكمل:

-مابقتش عارفه أنام في حضن جوزي، ودلوقتي جاي تتجوز «فريدة» عشان معرفش أخش حتى بيت أهلي، ولا أبص في عين أختي؟ حرام عليك يا أخي، انت إيه؟ انت شيطان؟

-في إيه يا «أشجان»، انتي شاربه حاجه؟!

-يا «خالد» أبوس إيدك بلاش، بلاش تكسرنا أكتر من كده، أبوس رجلك بلاش.

قالتها «أشجان» وهي تركع له دون خالقها، ليقطع فرحتي «حبيب» الذي دخل من الباب بهدوء، لتقف «أشجان» ماسحة دموعها، وسط اندهاشه من الموقف الذي لم يستوعبه، ليعلق «خالد»:

-«حبيب».... قرب، أعرفك مدام «أشجان» أخت «فريدة»، جايه توصيني على أختها.

-هاا، أهلًا أهلًا يا فندم، منوره الدنيا، ألف ألف مبروك.

قالها «حبيب» محييًا «أشجان» قبل أن تظهر من خلفه «كريستين» ليعرفها بها، فتبتسم «أشجان» في ضيق، ثم غادرت في انكسار لم يفهمه الجميع.

-جيبتلك المنديل الأبيض أهو يا عم.

قالتها «كريستين» ليعلق زوجها:

-دوخنا عليه يا «خالد»، لازم دايمًا تفتكر كل حاجه في آخر لحظه؟

-معلش الخضه بقى.

-طيب المهم مابقاش ليك حجه.

علقت «كريستين» ساخرة.

-ربنا يستر، طيب أنا هالبس الكرافت وهاكون جاهز.

-بقولك إيه.. بلاش فضايح هاتها أنا هاربطهالك، انت أكيد خيبه زي صاحبك.

-هو أنا لازم اتهزأ في أي حاجه وخلاص؟ خليها يا عم تربطهالك، عقبال ما أخش أنا جوا البدله.

تابع الجميع اللمسات الأخيرة قبل أن يتوجهوا إلى عقار الجدة، متجهين إلى شقة «صالح» الذي حضر زفافًا متواضعًا فقط لأقرب الأقارب، وقد كان من بينهم «أشجان» الحزينة وزوجها «راغب» الذي لم يستطع زحزحة نظره عن «عشق» التي جاءت تحمل صغيرتها مع زوجها. وكالعادة شهد «راغب» على عقد القران من جهة العروس ليطلب «خالد» شهادة صديقه الوحيد «حبيب» على العقد هو الآخر، ليعطي «حبيب» بطاقته للمأذون في سعادة، ليبدأ الشيخ في عمله قبل أن يتوقف فجأة منفعلًا:

-هذا لا يجوز شرعًا والله.

ابتسمت «أشجان» فرحة قبل أن يكمل المأذون:

-لا يجوز شهادة مسيحي على زواج مسلم من مسلمة.

بانفعال تمسك «خالد» بقراره متذكرًا حضوره تعميد صديقه الوحيد، ليقول:

-ليه يا شيخنا؟ يعني يجوزلنا نتجوز منهم ومايجوزش يشهدوا على جوازنا؟

-يابني دي حاجه ودي حاجه تانيه خالص، يجب أن يكون الشاهدان من الشهود العدول.

-طيب وإيه المشكله؟

-غير المسلم ليس بعدل.

قالها الرجل متزمتًا.

-خلاص يا «خالد» بلاش مشاكل خلي أي حد يشهد.

علق «حبيب» بانكسار وخرج.

-إستنى يا «حبيب».. يا شيخنا فهمني يعني إيه مش عدل؟

-«يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض».

-أنا هاشهد يا شيخنا.

قالها زوج «عشق» حاسمًا الجدل، لينتهي الحوار ويُعقد القران.

***

من داخل غرفة أحد فنادق «دهب» الساحلية التي وصلها «خالد» و«فريدة» أخيرًا بعد رحلة طويلة، لتمضية شهر العسل، كان «خالد» متوترًا عكس «فريدة» فلقد كانت هذه تجربته الأولى، ليظل مرتديًا ملابسه ينظر إلى نجوم السماء من البلكون، بينما كانت «فريدة» تتزين في الحمام ثم خرجت منه وهي في أبهى صورة، متألقة كعادتها، معيدة لي الذكريات، فلقد كنت متشوقًا لهذا الجسد أبيض اللون الذي تشرب بحمرة الدماء الساخنة مكسبة إياه لونًا زهريًا خلابًا، لأغرق أنا في كعوبها الحافية، قبل أن أتوغل خلف الأسوار بحثًا عن نهديها الصغيرين اللذين كنت أهوى قبضهما لأرتضع منهما كلما حلت عليَّ تلك الشهوة الخالصة، لنعاقر خمرة الهوى سويًا، لأتطهر من خطاياي داخل رحمها الطاهر. لحظات كدت فيها أكسر حاجز الصمت قبل أن أناديه لأتباعي، ليأتي (هو) من البلكون كالمسعور يبحث عن ترياق، لأخرج أنا من بين ضلوعه سابحًا في أنوثتها، ليظل (هو) يتبع توجيهاتي في طاعة، لأخترق أنا هذا الرحم الذي حرمت منه لشهور طويلة، مستمتعًا بآهاتها وبصرخاتها المتألمة، التي لم توقفني من همسي، ليتابع (هو) عمله بإتقان وتفانٍ متذوقًا طعم الدنيا وما فيها من سحر يسكر العقل ويذهب الإرادة، ليتساوى أولو الألباب بالأنعام.

ظللت أنا أبث كل هذا المشهد داخل عقل «خالد» المستلقي على سريره في غرفته بالمصحة ليشعر بالمتعة تارة والندم تارة أخرى، حتى فر مني هاربًا إلى نوم عميق، لأعجز أنا عن فرض سيادتي.

***

من سيارة الشرطة المتجهة بسرعة إلى مدينة «دهب»، ملتزمة بخط سيرها الآمن، كانت «فريدة» تجلس تراقب أشعة النور الأولى التي تظهر في السماء جاهلة لما أخذ المقدم «سيف» هذه العيناتِ من ابنتها قبل تحركهم من منزلها في «القاهرة»، لتتذكر شكوكها هي الأخرى التي طالته (هو) عندما قصت حكايتها على أختها، لتشرد «فريدة» في الأيام التي قضتها معي.

-يعني إيه يا «فريدة»؟

قالتها «أشجان» من شقة والدهما.

-زي ما سمعتي، أنا شاكه إنه «طاهر» مش «خالد».

-يا «فريدة» «طاهر» مات.

-مين اللي قال إنه مات؟ مش «خالد».

زادت «فريدة» من شكوك أختها، لتقف في ذهول:

-يعني إيه؟ يعني طلقك واتقمص شخصية أخوه؟ طب ليه؟!

-معرفش يا «أشجان»، ممكن يكون عمل مصيبه وهرب منها في شخصية أخوه.

-نهار أسود! طب لو كده يبقى فين «خالد» نفسه؟ داهيه ليكون مالوش أخوات أصلًا!!

-مش للدرجه دي يا «أشجان» ما أنا متجوزاه ببطاقته.

-آه صحيح، طيب ما يكنش قتله؟

-قتله؟!

-آه قتله، ما هو طلع إرهابي وقتال قتله، مش هايفرق معاه أخوه، بقولك إيه يا «فريدة» الموضوع ده ما يتسكتش عليه.

-أول مره أشوفك متحمسه كده ومش بتتريقي عليا زي عوايدك.

ببراءة قالتها «فريدة» جاهلة سبب إصرار «أشجان» على معرفة الحقيقة.

-مش أختي يا «فريدة»؟ طيب بصي الموضوع ده ملوش غير حل واحد.

-إيه؟

-تحليل «دي إن إيه».

-وبعدين؟

-نطابقه ببنتك.

ابتسمت «فريدة» التي أعجبها هذا الفكر البوليسي، لتشرع في تنفيذ خطتها، فبعد أيام قليلة عاد «خالد» من سفره، ليخرج (هو) بشهوته ليلًا مؤكدًا شكوكها، لتخضع إليه صابرة عما يحل بها من ظلم، منتظرة أن ينهي (هو) طاقتي، لتستسلم بعدها أخيرًا إلى نوم عميق، فتستغل هي نومنا، وتقوم بحيلتها غارزة في ذراعه هذه الإبرة الطبية ساحبة من دمه القليل، ثم قامت بإخفاء الأنبوب الذي أعطته في الصباح لـ«أشجان» مع عينة ابنتها، لتتوجه «أشجان» إلى أحد المعامل الطبية الحديثة لتقوم بهذه المطابقة.

-حضرتك عايزه تتأكدي من إيه بالظبط؟

قالتها ممرضة المعمل، لتجيب «أشجان»:

-والله أنا عايزه أتأكد إن الراجل ده عم البنت دي.

-بس دي نتيجه مش مضمونه حضرتك.

-يعني إيه؟

-يعني أنا مقدرش أكد إنه عمها، أنا أقدر أنفي إنه مش عمها بس، المطابقه دي بتكون في العلاقات الأقرب.

-زي مين؟

-يعني مطابقة أخ أو أب أو أم.

-يعني تقدري تتأكدي إذا كان ده الأب أو لأ؟

اندهشت الممرضة مكررة سؤالها:

-حضرتك عايزه تتأكدي إنه عمها ولا والدها؟

-اللي تشوفيه.

-يا فندم أشوف إيه؟ حضرتك اللي جايه تحللي.

-طيب طلعيلي النتيجه وبعدين نشوف المطابقه.

-اللي تشوفيه يا فندم، أنا كده هاعمل لحضرتك عينات كامله عشان نعرف كل تفاصيل العينه.

-بالظبط كده، إعملي أعلى حاجه عندك.

-حاضر.. أنا عندي فحوصات جديده متطوره شويه بس غاليه، حضرتك محتجاها؟

-آه، إعملي كل حاجه لو سمحتي.

***

من داخل زنزانة مظلمة كئيبة مستترة عن أعين الجميع، تسرب أحد أشعة النهار بأمل إلى قلب «وحيد» المستلقي أرضًا يصارع جراحه، ليحاول الوقوف ناظرًا إلى شباكها العلوي باحثًا عن شمس يوم جديد، قبل أن يفتح الباب ليدفع شرطي «عاصي» بقوة غاشمة، ليسقط أرضًا فور دخوله المكان، ليمد له «وحيد» يد العون رغم آلامه، ليقف «عاصي» بجوار حليفه ناظرًا إلى ضي السماء التي باتت أبعد مما يدركان.

***

وصلت «فريدة» وابنتها مع المقدم «سيف» والدكتور «فهد» إلى المصحة أخيرًا، بعد رحلة طويلة لم تكن الأولى لأي منهم، وإن كانت التعزيزات الأمنية قد وصلت مبكرًا عنهم؛ بناء على تعليمات اللواء «فاروق»، ليشبه المكان ثكنة عسكرية ملغمة عن بكرة أبيها برجال الأمن، لينقبض الدكتور «فهد» الذي شعر بخطر الحدث وأهميته، ليتقدم الجميع مستقبلهم في منطقة الانتظار، باحثًا عن «نبيل» الذي بدا عليه الإرهاق حال الجميع.

-هو في إيه؟

-يا دكتور «فهد» المصحه مقلوبه من الفجر، ومحدش منا روح.

-معلش يا «نبيل»، «نور» فين؟

-في أوضتها.

-و«خالد» و«ملك»؟

-في أوضهم برضه محدش صحي، كلوا كان سهران للفجر.

-وانت كنت بتعمل إيه يا «نبيل»؟ ده أنا سافرت يوم واحد.

-معلش والله يا دكتور «فهد» بس عندي ظرف عائلي.

-خير يا «نبيل»، مراتك تاني؟

-لا والله يا فندم، بس إبني مش بيرد علينا بقاله يومين.

-يا سيدي هايكون بيعط في أي حته ماتخافش.

ابتسم «نبيل» رغمًا عنه قائلًا:

-إن شاء الله يا دكتور، وبعد إذنك لما الحال يهدى هاحتاج أجازه أشوفه واطمن عليه.

-أجازة إيه دلوقتي يا «نبيل»؟

-يا فندم لما الدنيا تهدى.

-نبقى نشوف يا «نبيل».. تعالى بس نطلع الدور التالت وبعدين نتكلم.

قالها الدكتور «فهد» قبل أن يتنبه الجميع إلى صراخ في صالة الاستقبال، فقد كانت صيحات تلك السيدة يفوق الوصف، لتجذب «نهلة» القادمة من «القاهرة» الأنظار وهي تصارع رجال الأمن الذين منعوها من الدخول، ليقترب منها المقدم «سيف» الذي عرفها من فوره، ليأمر رجاله بتركها على الفور، ليتجاذب معها أطراف الحديث، وسط فضول الجميع، قبل أن يتوجه إلى الدكتور «فهد» بالحديث.

-دكتور «فهد» معلش بعد إذنك في زياره للطفله «ملك».

اندهش الدكتور «فهد» مستفهمًا:

-هو مش حضراتكوا مانعين عنها الزياره؟

-معلش ده استثناء.

-هي مين دي؟

-هابقى أشرح لحضرتك بعدين.

أطاع الدكتور «فهد» المقدم «سيف»، آمرًا «نبيل» باصطحاب «نهلة» والدة «مارينا» و«فبرونيا» إلى الطابق الثالث الذي يخفي عنها الكثير.

ليصعد «نبيل» إلى هناك مصطحبًا «نهلة» إلى غرفة «ملك» التي وجدها خاوية، ليترك السيدة ويخرج بحثًا عن «ملك» التي وجدها أخيرًا تلهو في إحدى غرف المصحة - مع صديقتيها «مارينا» و«فبرونيا»- ليعيدها إلى غرفتها التي كان يحيطها الكثير من الورود الموضوعة بالخارج، بعدما عرف العالم بوجودها، فتمتلئ غرفتها بالألعاب والهدايا والأزهار، التي أرسلها المتعاطفون، لتصبح الغرفة قطعة مصغرة من الجنة، ليستمتع كل من سكن المصحة بالمجيء إليها بحجة تعاطفهم لظروفها، حال «نهلة» التي كانت تنتظر بغرفتها بعدما عجزت عن رؤية ابنتيها.

-لقيتها الشقيه أهيه.

قالها «نبيل» عند دخوله مشيرًا إلى «ملك» التي كانت منزعجة.

-انتي بقى «ملك» اللي كله بيتكلم عليكي؟ فاكراني ولا لأ؟

قالتها وهي تنحني إليها مقبلة جبهتها، لتبتعد «ملك» التي خافت من السيدة العجوز وملابسها السوداء التي تشبه ملابس الراهبات، لتنزعج «نهلة» هي الأخرى من رد فعل «ملك» التي جهلتها.

***

«التاريخ في الوقت الحاضر ١٣ أكتوبر الساعة ٢ ظهرًا»

(٣٥)

صعد الدكتور «فهد» مستقلًا السلالم مع المقدم «سيف» وبعض من رجاله الذين كان يجهل هويتهم، بعدما أصر المقدم «سيف» على مقابلة «خالد» مع هؤلاء الرجال، الذين سبقوا الدكتور «فهد» بخطى سريعة إلى الطابق الثالث ليخترقوا حرمة طرقته، ومن بعدهم الدكتور «فهد» يحاول اللحاق بهم، حتى وصلوا إلى غرفة «خالد» ليفتحها المقدم «سيف» بقوة متفقدًا المكان باحتراف قبل أن يتوجه بنظراته إلى «خالد» الذي عاد إلى رسوماته هاربًا من الجميع.

توجه اثنان من رجال المقدم «سيف» بحرفية شديدة ليمسكا بـ«خالد» الذي حاول مصارعتهما دون فائدة، ليقيداه إلى السرير، بينما فتح ثالثهم حقيبة يده ليخرج منها بعض الأدوات الجنائية والطبية، ليبدأ هذا الطبيب الشرعي في أخذ عينة من دم «خالد» غير مكترث لمقاومته، بعدما فشل في أخذ عينة بصماته نظرًا لجروح أنامله المضمدة بالشاش منذ أمس والتي حالت دون ذلك.

***

-معلش يا «نهلة» هانم بس «ملك» لسه مش مستقره، وعندها حالة رفض للناس الغريبه.

اعترضت «ملك» وقالت:

-أنا معنديش حالة رفض، إنتوا اللي مش عاوزين تصدقوني.

-مش وقته يا «ملك».

قالها «نبيل» لينهي الجدال، لتنسحب «نهلة» محرجة تاركة الغرفة بعدما صدتها «ملك» كثيرًا، لتضع «نهلة» الورود التي جلبتها معها، لتنظر إليها «ملك» قائلة:

-ماتخافيش.

التفتت إليها «نهلة» في اندهاش.

-أفندم!

-ماتخافيش، هما بخير.

-هما مين؟!

قالتها «ملك» متذكرة والدة صديقتها.

-«مارينا» و»فبرونيا» هما علطول معايا، بكره هايخفوا وهاتعدي معاهم براحتك.

دمعت عينا «نهلة» لتجثو على ركبتيها فاتحةً لـ«ملك» ذراعيها، لتقترب الأخيرة إليها حبًا، ليتلاحما حبيبتين بعدما كانتا غريبتين.

-وحتى لو ما شوفتهمش، لازم تجيلهم علطول، لازم دايمًا تزوريهم، وأنا هاقولهم.

***

أنهى الطبيب الشرعي عمله وغادر، حال المقدم «سيف» الذي فشل في التواصل مع «خالد» حيث رفض الحديث إلى الجميع، لينتظر المقدم «سيف» مع الدكتور «فهد» في غرفة الطبية التي كانت مخصصة للدكتورة «نور» عندما كانت بكامل قواها العقلية والنفسية، قبل أن تنتقل إلى الغرفة المجاورة كمريضة حال البقية.

-يعني إنتوا كنتوا بتتكلموا معاه إزاي؟

تساءل المقدم «سيف» بفضول شديد، ليجيبه الدكتور «فهد» شاردًا في غرفة «نور» المجاورة:

-هو مكنش بيتكلم غير مع شخص واحد بس.

-مين ده؟

-مريضه هنا.

-طيب هي فين؟

-حصلها مضاعفات امبارح وأخاف أحملها دلوقتي فوق طاقتها.

-لأ يا دكتور تتحمل، الموضوع خطير.

احتد المقدم «سيف» في الحديث قبل أن يلاحظا اقتراب واقتراب «نهلة» التي تقدمت «نبيل» في سعادة غريبة، ليندهش الدكتور «فهد» مستفهمًا:

-معلش يا سيادة المقدم، بس هي مين دي الأول كده؟

تنهد المقدم «سيف» الذي حيا «نهلة» بابتسامة رقيقة قبل أن تنصرف مع «نبيل» مغادرة الطابق الثالث.

-دي والدة «مارينا» و«فبرونيا».

قالها المقدم «سيف» بصوت هادئ لم يمنع الفتاتين من سمع همسه، لتحضرا المكان دون أن يلاحظهما أحد.

-ومين «مارينا» و«فبرونيا» دول؟

-دول اتنين من اللي ماتوا في حادثة الأتوبيس مع «ملك».

نطق المقدم «سيف» بالحقيقة، شاعرًا بنسيمهما الذي سكن المكان في خيال «ملك» هذه الطفلة المريضة الغامضة، التي لا تزال تعيش مع أموات تلك الحافلة، رافضة الواقع الأليم الذي واجهته معه (هو)، ليشرد الدكتور «فهد» في مرضها جاهلًا ما إذا كانت صادقة في وجود والدتها، أم أن حالها حال «مارينا» و«فبرونيا»، ليسأل:

-طيب هو حضراتكو لقيتوا جثة والدة «ملك»؟

-لا يا دكتور «فهد» مكنش ليها أثر نتمنى تكون لسه عايشه، مع إن المؤشرات ماطمنش لغاية دلوقتي.

***

من حديقة المصحة كانت «نور» تتحرك بخطى شاردة تحاول الهروب من واقعها مجددًا، لتسحبها قدماها إلى الجزء الخلفي للحديقة بحثًا عن روحها التائهة، قبل أن تقطع خلوتها «ملك» التي تركت غرفتها في تلك اللحظة لتلهو مع صديقتيها «مارينا» و«فبرونيا».

-إزيك يا دكتوره؟

-«ملك».. وحشتيني جدًا، إيه اللي نزلك هنا؟

-نزلت مع «مارينا» و«فبرونيا» عشان نلعب شويه يمكن ماما كمان تيجي.

ظلت «نور» تنظر يمينها ويسارها، لتتأكد من عدم وجود أي ثالث لهما.

-همم.. «مارينا» و«فبرونيا»! وهما فين دلوقتي؟

-أهم يا دكتوره قدام عينيكي.

ابتسمت «نور» متفهمة حالة «ملك» قبل أن تعلق بعطف ملحوظ:

-طيب يا حبيبتي إلعبوا براحتكم، بس خلي بالك في عساكر كتير عند السور ماتقربيش منه.

استاءت «ملك» من نظرة إشفاق «نور» لتوقفها قائلة:

-هو انتي مش شايفاهم يا دكتوره؟

أحرجت «نور» وهربت من الحديث صمتًا، لتتابع «ملك»:

-هما موجودين حوالينا يا دكتوره، بس المهم إنك تشوفيهم، مش بعينك.... بقلبك....تسمعيهم....برضه بقلبك.

قالتها «ملك» بقوة غريبة، لتشرد «نور» في عمق كلماتها قبل أن تستمع لصوت ابنتها بوضوح قادمًا من الخلف تنادي عليها بإلحاح، لتلتف «نور» وهي تتصبب عرقًا، لتجد من بين الشجيرات الكثير من الحضور الذين يتراقصون، لترى «نور» أخيرًا «مارينا» بابتسامتها الحنونة وهي تحتضن أختها الصغرى «فبرونيا» التي ارتدت هذا الفستان الذي ابتاعته ليوم تخرجها، ومن خلفهم بين البقية كانت ابنتها تقترب منها متراقصة، على أنغام اللحن الذي

لحنه زوجها، ليرن جرس هاتفها الكاذب مرة جديدة، لتجيب «نور» كعادتها إلى السراب:

-أيوه يا «مخلص».

قالتها، متنبهة إلى صوته يغني أغنية ابنتهما التي خلدها بصوته قبل أن يظهر هو أيضًا من العدم، ليملأ الدنيا سلامًا بصوته العذب، فقط في خيال من يحب ويعشق.

***

من غرفة «الشرنوبي» الأب في الطابق الرابع، كانت «فريدة» مستاءة جدًّا بعدما أوجعها رجال المقدم «سيف» ليأخذوا منها عينة دم ولعابًا، حال ابنتها:

-أنا عايزه أرجع «مصر»، أنا مش محبوسه ولا متهمه بحاجه عشان أتعامل كده.

-يا فندم في قانون طوارئ.

قالها المقدم «سيف» بحدة كعادته قبل أن يجيب هاتفه الخلوي:

-تمام.....تمام....الكلام ده أكيد....ماشي خلاص شكرًا يا دكتور.

أغلق المقدم «سيف» الهاتف مرتاحًا قبل أن يجيب فضولهم قائلًا:

-فعلًا المريض اللي هنا يبقى «خالد» عم البنت مش أبوها.

في استياء أجابت «فريدة»:

-يعني كل ده عشان كده؟ طيب ما كنت تسألني، ما أنا اتأكدت من الكلام ده من زمان.

***

من داخل المعمل الذي كان يقوم بفحوصات الـ«دي إن إيه» لـ«أشجان»، وقفت هي و«فريدة» تستمعان لتحليل الطبيب بتركيز.

-ده مستحيل يكون أبو الطفله دي، وإن كان في دلائل على وجود قرابه من ناحية الأب، يعني أغلب الظن ممكن يكون عمها.

-معلش يا دكتور إشرحلي أكتر.

قالتها «فريدة» التي ارتاحت من همها، ليجيب الطبيب موضحًا:

-يعني مع مطابقة العينتين مع العينه اللي أخدتها من حضرتك، نلاقي إن عينة البنت فيها تطابق نسبي مع عينة الطرف التالت وإن كان التطابق ده لا يكفي أنه يكون الأب، عشان كده أغلب الظن إنه عمها أو حد من أقارب والدها.

-لكن مش أبوها يا دكتور؟

-مستحيل يا فندم، عشان في اختلاف في أجزاء كتير بين العينتين، يعني أكيد مليون في المية أنه مش أبوها.

قالها الطبيب صادقًا فلم تكن الطفلة ابنة «خالد» بالفعل، لتتأكد «فريدة» من استقلالية «خالد» عن «طاهر» وإن ظلت تساؤلاتها بلا إجابة، فلم تكن تعرف العامل المشترك بينهما، جاهلة بوجودي داخل كل منهما.

-طيب معلش سؤال أخير، عينة الدم طلع فيها مرض السكر؟

-لأ الحمد لله يا فندم، إنتوا التلاته سكركم سليم تمامًا.

أنهى الطبيب كلامه، وإن لم يستطع منع فضوله من سؤال أخير:

-معلش يا فندم، (هو) مين صاحب العينه دي؟

سكتت «فريدة» حال «أشجان» التي كانت قد أحضرت عينة دم من ابنتها هي الأخرى لتطابقها بعينة «خالد» بعد مغادرة أختها، لتجيب هي الأخرى عن تساؤلاتها، وإن كنت أعرف أنا ما تجهله هي.

***

-والله إنتوا حاسستوني إني كنت خايب في الجامعه.

قالها الدكتور «فهد» من غرفة والده وهو يناقش «فريدة» والمقدم «سيف» الذي علق:

-إشمعنى بس يا دكتور؟

-بصرف النظر إني مقتنع إن اللي هنا في المصحه «خالد» مش «طاهر» ومعنديش شك في ده، وعارف إنه مش مريض سكر، بس أنا اللي أعرفه إن تحليل الـ«دي إن إيه» المفروض مايحسمش ده، عشان التوائم المفروض الـ«دي إن إيه» بتاعهم واحد.

لم يبالِ المقدم «سيف» وقال في ثقة:

-والله إحنا معاملنا دلوقتي اتطورت جدًا، فوق ما تتخيل.

لم يقتنع الدكتور «فهد»، وإن كنت أجهل لِمَ ينكر الجميع الحقيقة؟ فلم يكن «خالد» والد الطفلة بالفعل، لينهي المقدمَ «سيف» الجدال قائلًا:

-وبصرف النظر عن الوسيله، إحنا خلاص اتأكدنا أن اللي في المصحه ده مش «طاهر» وهو ده اللي يهمنا دلوقتي.

-ما هو أنا أكدتلك بدل المره عشره يا فندم.

قالها الدكتور «فهد».

-معلش، أصل اللي إحنا هانعمله مافيهوش مجال للشك.

-اللي هو إيه؟

-هاتعرفوا كل حاجه في وقتها، أنا دلوقتي محتاج أتكلم مع «خالد» بأي وسيله.

-يبقى مفيش غير «نور».

انزعجت «فريدة» من رأي الدكتور «فهد» لتقول بثقة:

-أنا أقدر أخلي «خالد» يتكلم.

***

من داخل محبسهما بدأ «وحيد» أخيرًا في التحدث إلى «عاصي» بعدما كان محطمًا منغلقًا على نفسه.

-أنا اتكسرت.

-ما بدك تخلي حدا يكسرك يا أخي.

-بس أنا اتكلمت....اتكلمت.

-طيب ما أنا اتكلمت، ماتخافش يا أخي لينا عذرنا، غير إن مفيش حاجه مهمه إحنا نعرفها.

-بس أنا كنت أعرف.

-كنت تعرف إيه يا أخي؟

قالها «عاصي» وقد بدأ يتوتر وهو يعتدل في جلسته.

-«طاهر»، أنا عرفتهم بـ«طاهر».

-مين (هو) «طاهر» ده يا أخي؟

ابتلع «وحيد» ريقه وهو يستعيذ بالله مني، لأنصرف من المكان وهو يقول:

-«الكمير».

***

«التاريخ في الوقت الحاضر ١٢ أكتوبر الساعة ٦ مساءً»

(٣٦)

دخلت «فريدة» مع المقدم «سيف» والدكتور «فهد» إلى الغرفة المنشودة التي كنت أبث فيها أنفاسي، حيث كان (هو) يحاول إكمال رسمته الغامضة، لوحة «الكمير» ذي الثلاثة رؤوس، قبل أن يلاحظها «خالد» ليعود إلى رشده، وإن ظهر عليه الخوف والقلق لينطق أخيرًا:

-«فريدة»؟! بسم الله الرحمن الرحيم.

قالها بفطرة أزعجتني لأبتعد قليلًا، لتقترب هي:

-شفت عفريت يا «خالد»؟!

استغل الدكتور «فهد» الحديث ليشارك فيه:

-الحمد لله يا «خالد»، «فريدة» طلعت عايشه أهيه.

أمسك «خالد» رأسه متذكرًا سنين عمره التي ضاعت في خدمتها وابنتها، فقد كان «خالد» عطوفًا حنونًا يحاول التقرب منهما أطراف النهار متناسيًا ماذا أفعل أنا آناء الليل، لتتهم «فريدة» إياه بازدواجية الشخصية، فـ(هو) شخص كريه في الليل وفي بعض الظروف وإن كان طيبًا حنونًا باقي اليوم، كما كان مهتمًا بكل تفاصيل ابنتها التي لم تشعر لحظة باليتم، فقد كان يخدمها بحب وعطف شديد، ويظهر «خالد» رحمة قلبه، فتظنه «فريدة» صاحب شخصية هشة ضعيفة، لا يستطيع قيادة المنزل، عكس «طاهر»، لتمل «فريدة» طيبة قلب «خالد» وتشكوها في ظروف كثيرة، وتتلذذ بمتعة أكبر معي تحت ستار الليل، لتشعر بعدم الاتزان وتبدأ «فريدة» بالتواصل أكثر مع خالقها -مستعينة بأختها التي بدأت في توبة بائسة تحاول الهروب إليها مما فعلت معي- لتبغض «فريدة» أخيرًا فن «خالد» ولوحاته، شاعرة للمرة الأولى باشتياقها لتحفظ «طاهر» وتدينه، ليطيع «خالد» زوجته، مهملًا فنه ورسوماته، بادئًا محاولة بائسة للتغيير، متقمصًا صورة أخيه الجريء الذي كان يمتلك شخصية أقوى بكثير، ليحاول «خالد» حتى التقرب من ربه كاذبًا

في فروض يصليها دون إيمان أو خشوع، متنازلًا عن الكثير والكثير من نفسه وحقوقها، حتى أنه تحمل رفض «فريدة» للحمل منه مكتفية بطفلتها التي أحسن «خالد» في تربيتها.

***

ساعات قضاها «وحيد» يقص فيها حكايته مع «طاهر» قبل أن يُلقب بـ«الكمير»، وحتى ذهب بتوجيه «دياب» ليفجر تلك الكنيسة.

-يعني استشهد؟

قالها «عاصي» في فخر قبل أن يكمل «وحيد»:

-لأ.

-بس الكنيسه اتفجرت فعلًا.

-أيوه، بس (هو) في الآخر خرج منها قبل التفجير.

-سبحان الله! يعني بعد ما قرب للدرجة دي لنيل الشهاده يهرب منها؟ حد يهرب من ربنا؟!

ابتسم «وحيد» وهو يمسك بجروحه.

-ربنا! ما (هو) مابقاش بيخاف ربنا، سبحان مغير الأحوال!

-إشرحلي أكتر.

-من ساعة ما هرب (هو) من تفجير الكنيسه، و(هو) بقى حد تاني، بقى شيطان، بقى «الكمير».

***

لم يكن «طاهر» قاتلًا فقط، كان غاضبًا، ليستطيع (هو) أخذ الزمام، فقد كان (هو) بالفعل يحب نفسه، ولم يكن أبدًا ليقتلها، مفضلًا فقط الاستمتاع بالآلام والدماء، ليهرب (هو) قبل أن ينفجر المكان برائحة الدماء الزكية، ليبدأ رحلته مع «دياب» المليئة بالدم والمتعة، فلقد كان (هو) شهوانيًا يعشق الدنيا،

والدنيا هي النساء، لتتذوق منها طعمًا مختلفًا في كل بلد وطأ فيها «الكمير» قدمه، مستحلين أعراضها، «ليبيا» و«سوريا» وغيرهما من البلدان التي كنت أرسل أتباعي إليها لأتباع شهواتي، جاعلين من حرائر الأرض سبايا لمتعتنا، وإن كان (هو) يعود من وقت لآخر إليها، «نشوى» التي ظنت أنها هالكته، لتكتشف للتو أنها كانت تتلاعب بالنيران التي أحرقتها، فلم يتقبل (هو) رفضها لما يفعل، وإن لم يكن هذا حبًّا، بل مدافعة عن كرامتها، ولحفظ ماء وجهها أمام «وحيد» الذي كان قد التحق بصفوف «دياب» في وقت قريب، ليشاهدها منكسرة بعد أن وضعت طفلها، تُعامل كالأمة، تشاهده و(هو) يهيم بالنساء، لتذهب «نشوى» إلى «وحيد» شاكية، من هذا المكان المخبأ في شمال سيناء، ليكتشف (هو) فعلتها، لتنتهي قصتها أمام أعين الجميع، قاضية ساعتها الأخيرة عبرةً لهم جميعًا، قبل أن يرسلها (هو) لخالقها بطريقة لم تقل بشاعة عن باقي أعمالي الفنية، ليشهد الجميع عن مولد «الكمير» الذي اعتبره «دياب» من أهم مكاسبه على هذه الأرض.

***

-جايه ليه يا «فريدة»؟ انتي موتي على الأقل بالنسبالي.

قالها «خالد» لـ«فريدة» هاربًا من نظراتها، متذكرًا أيامه الأخيرة معها، خاصة هذا اليوم الذي وبخته فيه قائلة:

-ياريتني يا أخي ما شوفتك، ياريت كان «طاهر» عايش، كان رحمني منك ومن هبلك.

قالتها حينها «فريدة» غاضبة، فلقد كانت تقارن بينهما في كل يوم، وفي كل ساعة ولحظة، بحثًا عن عامل مشترك بينهما غيري دون جدوى.

ليقرر «خالد» يومها أخيرًا الهروب من أسره والخروج من بيت الجدة الذي عُلقت على حوائطه صور «فريدة» مع «طاهر» والتي رفضت إزالتها حال استحيائه لهذا الطلب، ليحيا على ظلاله مكسورًا كارهًا صورة «طاهر» التي يراها في وجهه.

خرج «خالد» بالفعل ولم يعد لأيام كثيرة، بينما بدأ «طاهر» يشتاق إلى زوجته الأولى «فريدة» بعدما قتل (هو) «نشوى» التي لم يكن يحبها على أي حالٍ وإن كانت تشغله كثيرًا عن التفكير، ليقرر أخيرًا العودة من حيث جاء، تاركًا هذا المكان الذي وجد نفسه فيه في سيناء، ليفر (هو) الآخر من «دياب»، ليظهر أخيرًا أمام منزل جدته ب»ميدان الإسماعيلية»، وقد أوقفه أذان العصر، ليدخل أولًا إلى المسجد الذي كان يفتقده كثيرًا، ليجد عيون المصلين تستقبله باندهاش، حتى توقف الشيخ «سالم» إمام المسجد فرحًا، مهرولًا إليه قائلًا:

-بسم الله ما شاء الله يا أخ «خالد»! منور المسجد زي أخوك الله يرحمه.

أمسك الشيخ «سالم» يد «طاهر» وأخذ به إلى مقدمة المصلين، الذين اندهشوا من القادم العائد من الظلام، لأنتظر أنا بالخارج حتى أنهى الجميع شعائرهم، ليخرج «طاهر» بجانب «صالح» الذي كان سعيدًا بصلاة «طاهر»، ظنًا منه أنه «خالد» حال الجميع، ليهرب «طاهر» من حديث «صالح» وينتظر رحيله قبل أن يذهب طارقًا باب بيته، فتفتح «فريدة» ببرود شديد قائلة:

-«خالد»! مفتحتش بمفتاحك ليه؟

***

-وطبعًا أول ما «طاهر» رجع فضلتيه عليا، عشان (هو) يبقى أبو بنتك مش أنا، وناسيه إني أنا يا هانم اللي ربيتها مش (هو).

قالها «خالد» بعصبية من غرفته بالمصحة، مهاجمًا «فريدة» التي وقفت مدافعة عن نفسها أمام المقدم «سيف» والدكتور «فهد»:

-أنا ما فضلتش حد على حد.

-بأمارة إنك طلبتي الطلاق.

-أيوه طلبت الطلاق، عشان مكنش ينفع أكمل معاك في وجود «طاهر» اللي انت خدعتني وأكدتلي إنه مات.

-أنا مكدبتش عليكي أنا شفته مات.

-وطلع عايش يا «خالد»، كنت عايزني أقول إيه لبنتي لما تكبر؟ أقولها سيبت أبوكي عشان أخوه؟ انت نفسك كنت هاتعيش معاه إزاي؟ كنت هاترضى تحرمه من بنته؟ انت يا «خالد» اللي حطتنا كلنا في الموقف ده من أول ما سمحت لنفسك إنك ترسمني.

-أنا آسف يا «فريدة» آسف إني رسمتك، آسف إني شوفتك، آسف إني حبيتك، وعشان كدة طلقتك يا «فريدة».

ابتسم الدكتور «فهد» سعيدًا بكلمة طلاق التي نطقها «خالد» دامعًا قبل أن يكمل:

-طلقتك وأنا بموت، ومعرفتش أعيش بعدها، معرفتش أشوف أخويا، معرفتش أشوف بنتنا، آسف بنتكوا، معرفتش أشوفك، عشان كده موتكوا كلكوا في عقلي، ومش بس كده، ده أنا دفنتكم كمان! تصدقي يا «فريدة» أنا دفنتك بأديا دول!!

قالها «خالد» ناظرًا إلى يديه الملفوفتين بالشاش رفعًا إياهما إلى السماء، متذكرًا هذا اليوم الذي ذهب فيه إلى مقابر عائلته بالورود والأزهار طالبًا من حارس مدفنه فتح قبر العائلة ليدفن فيه أحلامه، فاندهش الرجل معلقًا على عقل «خالد» الضائع، وإن استسلم لأوامره في تحفظ، ليقف «خالد» أمام المدفن المفتوح ليقبر فيه ذكرياته ممسكًا بكتاب ربه رغم امتلاكي لقلبه المظلم، فلم يعد يؤمن بالقدير كما كان، فلقد أيقنت له أن خالقه قد ظلمه مرة أخرى، عندما أخذ منه كل ما يمتلك قبل أن يداوي جرحه الأول ويتمه في الصغر، لتظل التساؤلات الوجودية تلاحق عقيدته: هل يظلمه الحق العدل؟! وكيف يستطيع الاستمرار في حياته وحيدًا دون زوجته وابنته الوحيدة التي رباها، بعدما أقنعته بموتهما في عقله، ليشك بوجود خالقه، بعد أن أشهدته أنا على ما حرمه منه العدل كذبًا، ليهمل كتاب ربه، ويغلق القبر المفتوح بهذه الأحجار الثقيلة التي تحبس الأموات في سكنهم الجديد، مانعة إياهم من التواصل مع أحبتهم، إلا البعض؟!

ظل «خالد» يضع التراب فوق الأحجار في غضب وهو ينظر للجدران، إلى آيات ربه الذي يراه ظالمًا، عكسي أنا، مكتشفه الذي عوضه الكثير! أنهى «خالد» الدفن وسط اندهاش قارئ الكتاب الذي منعه من متابعة التلاوة لمغادرة الإيمان قلبه، لأمتلكه أنا!

***

لم ينجح «دياب» في كسر عزيمة الرائد «عادل» وإن استطاع الحصول عما يريد بطريقة أخرى، بعدما بث للعالم مقطعًا مصورًا للرائد «عادل» مكبلا في قيوده في هذا القفص الحديدي المهين، ليعلق أحد أتباع «دياب» الملثمين في الفيديو متشفيًا من الأسير، ليصدر للعالم رسالته، ومن بينها والدا الرائد «عادل» اللذان سقط قلوبهما مع استقبال صورة ابنهما الأسير، لتنهار الأم في البكاء والعويل، بينما يتركها زوجها ويذهب في طريقه بقوة مصطنعة إلى إدارة ابنه بوزارة الداخلية، ليستقبله اللواء «فاروق» مواسيًا إياه، قبل أن يفاجئه والد الرائد «عادل» بطلب وحيد.

- «عادل» مايغلاش على ربنا يا «فاروق» بيه، تقدروا تشوفوا شغلكم من غير ما تعملوا لينا حساب، بس طلبي الوحيد إن «عادل» مايظهرش تاني، أنا أستحمل إن إبني يموت مره، بلاش يموت ألف مره في عيون أمه كل يوم.

تقبل اللواء «فاروق» طلب الرجل الذي غادر تاركًا إياه في همه، ليكمل تواصله مع قيادات الجيش، ليحسم الأمر الذي كانوا يخططون له منذ فترة طويلة، فلقد «جاء وقت الحساب».

***

من «شرم الشيخ» عاد الصحفي الغامض إلى القس «يوحنا» مُصرًا على إكمال الحديث الذي بات على بُعد خطوات قليلة من النشر، فلقد كان الصحفي «سامي» يستمد بعض الأخبار من مختلف المصادر وإن كان أكثرها أهمية هو مصدره بالمصحة الذي ينقل إليه ما يحدث الآن فيها؛ حيث كان «خالد» يتابع قص ما فعل بعدما ترك دفن ذكرياته مع «فريدة» في قبر والديه، قبل أن يتجه إلى ضالته الأخيرة المتبقية، حيث سافر إلى «دهب» ليستقبله

صديقه الوحيد «حبيب» استقبال حافلًا، قبل أن يقص عليه «خالد» كاذبًا خبر وفاة «فريدة»، ليعلن الجميع مواساتهم له، ليسكن «خالد» نفس غرفة الفندق الذي تزوج «فريدة» فيه، فينتشر خبر العاشق الأرمل بين سكان مدينة «دهب» ومن بينهم «إيفا» التي شدتها قصته، فهو رجل وفيٌّ لزوجته وابنة أخيه التي رباها، خلاف زوجها الذي هرب تاركًا إياها وابنته خوفًا من المسؤولية، لتتوقف «إيفا» كثيرًا عند ذلك بعقلها الذي سخر الظروف التي قربتهما بالفعل عندما بدأ «خالد» في البحث عن شقة ليستقر فيها بدلًا من الفندق بعدما أصر «حبيب» أن يشاركه بمرسمه الجديد في «دهب»، لينسى ما آلت إليه ظروفه.

***

-يا أبونا أنا عايز أفهم إيه علاقة «إيفا» بالموضوع؟

قالها الصحفي «سامي» للقس «يوحنا» ليبتسم الأخير قائلًا:

-يابني «حواء» دايمًا هي السر، بلاش الاستعجال بتاعكوا ده وانت هاتفهم كل حاجه.

-طيب كمل يا أبونا، بس باختصار لو سمحت.

تنهد القس «يوحنا» وتذكر اليوم الذي ظهرت فيه «إيفا» في كنيسته، عندما أصبحت تظهر كثيرًا لبحث طلبها الذي تقدمت به منذ بضع سنوات، وإن لم تستطع الحصول على أي إجابة شافية بعد.

-يا أبونا أنا كده السنه السابعه عدت عليا من بعد ما «آدم» هجرني، متبقي إيه؟

-يا «إيفا»، انتي عارفه تصريح الطلاق ده بيبقى صعب على الكنيسه إزاي، بس خلاص كده يا بنتي هانت، السبع سنين طالما عدوا يبقى أظن كده شروط القانون المدني والكنيسه خلصت، سيبيني بقى، أنا أوعدك أشوف الموضوع بنفسي.

خرجت «إيفا» من عند القس «يوحنا» وهي شاعرة بضيق، لتصل إلى مدينة

«دهب» في المساء، لتتجه إلى مكتبها الصغير المفتوح دائمًا في السوق يحرسه جيرانها المخلصون، لتجد هناك «خالد» الذي كان ينتظرها كالطفل التائه، لتبتسم له «إيفا» معلقة:

-هو هايبقى «ملك» وانت ولّا إيه؟ أنا صحتي ماتستحملش.

ضحك «خالد» وقال:

-معلش أصلي عرفت إنك كنتي سايبه «ملك» عند «حبيب» و«كريستو» قلت أطب عليكي قبل ما تروحيلهم.

-يا سيدي أهلًا وسهلًا.

-عايزك بقى توريني شاليهات حلوه مش زي كل مره.

ابتسمت «إيفا» قائلة:

-يا «خالد» أنا مفيش شاليه في «دهب» ماورتهولكش، انت اللي مش عاجبك حاجه.

-انتي اللي مش شايفه شغلك كويس.

-أنا معرفش أنا مستحملاك إزاى صدقني، بقولك إيه، انت شكلك زهقان وعايز تتسلى.

-الصراحه آه.

قالها «خالد» بطفولة.

-طيب بص بقى، أنا هاعمل معاك offer، عرض يعني.

-ههه.. إيه هو ده بقى يا ستي؟

-بص أنا مش هاقول لـ«كريستو» إني رجعت وهاسيبلها «ملك» وهافرجك «دهب» بجد، بس تعمل حسابك إنك مش هاترجع غير بكره الضهر.

-يا سلام هاتأخريني على إيه يعني؟ ما «حبيب» واقف في الدكان بتاعنا.

-طيب إذا كان كده، أنا كمان أقفل الدكان بتاعي، يا حاج إقفلي الدكان معاك، أنا مروحه.

قالتها «إيفا» لجارها ضاحكة، لتغادر هي و«خالد» السوق إلى الشارع الرئيسي متصلة بأحد السائقين الذي يعرف جنونها، فوصل إليها بعد دقائق معدودة بسيارة نصف نقل ركب «خالد» فيها بجانب السائق، بينما رفضت «إيفا» الجلوس على الأريكة الخلفية، وصعدت إلى منطقة تحميل السيارة السماوية بالخلف والتي كانت مجهزة ببعض المخدات القطنية للسياح الذين يهوون مثل هذا الطابع من التخييم، ليظل «خالد» ينظر إلى جنونها عبر المرآة الجانبية وهي تنظر ببراءة إلى السماء، التي كانت السيارة تقترب منها صعودًا إلى تلة الجبال، وسط عتمة الليل، ليندهش «خالد» من حفظ السائق لهذا الطريق الوعر الذي لم يميزه إلا النيران بجانب حافة مطلع الجبل. دقائق من المتعة والسحر عاشها «خالد»، حتى سمع صوت تهليل بدوي، بدأ يتعالى مع اقتراب السيارة إلى القمة، حيث توقفت أخيرًا، لتقفز «إيفا» منها لتفتح باب «خالد» المتردد، ليترجل معها ناظرًا إلى سماء سيناء التي المحتفظة ببريقها منذ تجلي الخالق إليها! لحظات من الصمت والتأمل مرت بهما قبل أن تسبقه «إيفا» إلى جلسة عربية تتوسط المكان، ليلحقها «خالد» منبهرًا من سحر المكان والزمان؛ حيث كان الجميع يحتفلون بعام ميلادي جديد.

اقترب من «إيفا» رجل «بدوي» بـ«شيشة» فاخرة دخنتها «إيفا» متخلية عن نظامها الرياضي، ليجذب الفضول «خالد» ليجرب نكهة دخان التفاح العطرة، ليضحك بهستيريا أضحكتها هي الأخرى، ليبدأ عرض الراقص بالنيران، ليتوقف قلب «خالد» وهو يشاهد هذا الرجل الذي ينفخ في النار وهو يتراقص حولها برشاقة، قبل أن يشير للجمهور بالتطوع معه، ليرفض الجميع إلا «إيفا» التي خرجت بجرأة أدهشت «خالد»، فيبدأ الرجل الرقص حول خصريها دون أن يرمش لها جفن، وسط تهليل الجمهور من السياح الذين فروا من هموم الدنيا إلى مدينة «دهب» وسحرها، ليظل الجميع في رقصه خول النيران حتى بدأت الشمس صعودها إلى السماء.

***

«التاريخ في الوقت الحاضر ١٣ أكتوبر الساعة ٧ مساءً»

(٣٧)

كان السبب الرئيسي الذي دفع «خالد» في الحديث مع المقدم «سيف» والدكتور «فهد» هو استمتاعه بنظرات «فريدة» له وهو يقص حكايته مع «إيفا».

-يعني انت دخلت في علاقه مع والدة «ملك»؟

تساءل الدكتور «فهد»، قبل أن تعلق «فريدة» في كيد نسائي:

-بس دي مسيحيه.

ابتسم «خالد» مستمتعًا وتابع قص يوم جديد في حياته مع «إيفا» التي خطفت قلبه في «البلو هول» الساحرة التي توجها إليها بسيارة أخرى من نفس الطراز، وإن رفض «خالد» في هذا اليوم الجلوس بجوار السائق ليركب بجانبها على ظهر السيارة في الخلف مستمتعًا بمغامرته الجديدة، حتى وصلت السيارة إلى منطقة ساحلية، ليترجلا من المركبة حال الجميع من السياح، الذين جاءوا لحضور نفس التجربة الفريدة، التي تبدأ من «البلوهول» وهي عبارة عن عين من المياه في غاية العمق، وهي ثاني أكبر مكان في العالم للغطس، وأمامها الكثير من الكافيتريات العربية ومحلات أدوات الغطس التي تزود السياح باحتياجاتهم، لتتصل «إيفا» بأحد معارفها الذي رتب لها رحلتها، ليتقدم فضول «خالد» وهو يمشي خلفها في طاعة، ليعبرا ممرًا صخريًا ضيقًا وقف عنده جميع السياح لتبادل الصور الفوتوغرافية أمام تلة صغيرة كتب عليها أهل المنطقة أسماء ضحايا العين من الغطاسين من أنحاء العالم، والذين لفظوا أنفاسهم الأخيرة في هذه البقعة قبل أن يبدأوا رحلة لم تنتهِ بعد داخل عمق مياه الخليج الغامضة.

وصلت «إيفا» أخيرًا إلى غايتها؛ حيث وقفت مجموعة من المراكب القديمة التي تشبه تلك المراكب المستخدمة في الهجرة غير الشرعية. استقلت «إيفا» أحداها ومعها «خالد» ليبدأ قائد المركب في التحرك بسرعة كبيرة مواجهًا أمواج البحر الغاضبة، ليتوتر «خالد» وإن هدأ من روعه اقتراب

المركب من الساحل حيث كان يتجه في طريق موازٍ له، ليستمتع الجميع بمغامرة قصيرة انتهت في نصف ساعة قبل أن يرسو المركب على ساحل جزيرة «البلو لاجون»، ليترجلا مرة أخرى متجهين إلى سيارات رباعية الدفع تنتظر القادمين لتعبر بهم إلى كامبات ساحلية تلتف حول سواحل الجزيرة، التي تخلو من أي شيء عدا الجمال، فهي جنة صنعها الخالق على الأرض لأعمرها أنا صخبًا!

ساعات من الاستجمام والتراخي ساعد على التلاحم النفسي بينهما وهما في هذه الجزيرة، التي تحرمهما بأي اتصال بالعالم الخارجي، فلا كهرباء أو شبكة للاتصال هناك، فقط شمس تشع بدفئها للعراة على الساحل، لم يجد كلاهما استعمال شاشات هواتفهم التي تركاها، ليمر هذا اليوم بينهما كألف سنة، استغلاها في الحديث، ليعرف كل منهما أدق أسرار الآخر في استسلام غريب لتلك الطبيعة التي جردتهما من أي فواصل اجتماعية، فمرت الساعات وغابت الشمس وحل الظلام الدامس، ليتقارب همسهما أكثر وأكثر، فحاولت أنا استغلال ضعفهما بكل ما أوتيت من قوة، لتردعني «إيفا» بشكل غريب، ليفشل (هو) في الوصول إلى غايته، لتقرر الرحيل مع آخر مركب يغادر المكان قبل منتصف الليل، ليعاودا أدراجهما تحت أشعة القمر في رحلة هادئة، جعلت «خالد» ينطق بما حاول أن يخفي.

-أنا بحبك يا «إيفا».

***

-بس ده ما ينفعش يا «خالد».

قالها «حبيب» في استياء وغضب، بعدما قص «خالد» عليه ما شعر.

-هو إيه اللي ماينفعش يا «حبيب»؟

رغم انفتاح «حبيب» شعر فجأة بغيرة تملكت قلبه الطيب.

-«إيفا» مسيحيه وانت مسلم، انت بتتكلم ازاى؟!

-بس ده مكنش كلامك لما حبيت «كريستين» واتجوزتها.

أحرج «خالد» صديقه الذي صرخ قائلًا:

-في فرق كبير أوي يا «خالد»، عمومًا نتكلم لما أرجع من «مصر» وياريت ماتتهورش لغاية لما نرجع.

-نرجع!

-آه، أنا هاخد «كريستين» معايا.

-ليه؟ ما انت دايمًا بتسيبها هنا، ما أنا موجود.

قالها «خالد» شاعرًا بتغير ملحوظ في معاملة صديقه الذي حاول تهدئة الحوار قائلًا:

-معلش يا «خالد» هي عايزه تيجي معايا تزور أهلها.

خرج «حبيب» ليظل «خالد» شاردًا للحظات محاولًا الوصول إلى «إيفا» هاتفيًا وإن لم تجب كعادتها منذ الصباح، ليتحرك ذاهبًا إليها في شقتها، لتفتح «إيفا» الباب مندهشة.

-خالد؟!

-أيوه «خالد».

-انت اتجننت! إيه اللي جابك البيت؟!

-إنتي.

ابتسمت «إيفا» ليتابع «خالد»:

-هاتسيبيني كده على الباب؟ ماتخافيش مش هاتحرش بيكي.

أدخلته «إيفا» التي تخلت عن وجهها الخشبي لتقول ساخرة:

-جرب وشوف هاعمل فيك إيه.

-يا سيتي الطيب أحسن، ممكن بقى تقوليلي مش بتردي عليا ليه؟

أجلست «إيفا» «خالد» في صالة استقبال منزلها الصغير المظلم، والذي كان

بسيط الديكورات هادئ الألوان.

-عشان ماينفعش يا «خالد»..... ماينفعش.

-اللي ماينفعش يا «إيفا» إني بعد ما لاقيتك أسيبك، حتى لو عملت أي حاجه.

-هاتغير ملتك عشاني يعني؟!

-ليه لأ؟

قالها «خالد» صادمًا «إيفا» التي سقطت على أريكة امتصت صدمتها، قبل أن تخرج «ملك» إليها من الداخل والتي كانت تتصنت على الحوار منذ البداية.

***

-هو انتي الداء ده فيكي من زمان يا «ملك»؟

قالتها «نور» ساخرة وهي تجالس «ملك» في غرفتها بالمصحة قبل أن تتابع:

-طيب وهي دي كانت أول مره كنتي تشوفي فيها «خالد» يا «ملوكة»؟

-آه بس مكنتش آخر مره.

قالتها «ملك» بغموض كعادتها وهي تجلس على هذا المقعد الذي يعوق قدميها من الوصول إلى الأرض.

***

-انت غيرت ملتك يا «خالد»؟ مش قولتلك إنك كافر وتافه وملكش شخصيه.

قالتها «فريدة» في عصبية من غرفة «خالد»، ليمسك بها الدكتور «فهد» مستغلًا الموقف، بينما حاول المقدم «سيف» طردهما من الغرفة وإن أوقفته نظرات «خالد» الذي فهم منها أنه لن يتحدث إلا في وجودها، ليقول في هدوء حرفي:

-لو سمحتي يا مدام «فريدة» عشان «خالد» يتكلم لازم نسمعه، وصدقيني في أرواح كتير واقفه على اللي بيحصل هنا.

***

-يعني انت نصَّرته؟!

قالها «سامي» إلى القس «يوحنا» بعصبية، ليقول الأخير بهدوء:

-شوف يا أخ «سامي»، ولا المسيحيه ناقصها مسيحيين ولا الإسلام ناقصه مسلمين، الحاجه الوحيده اللي ناقصة يا «سامي» هي الحب.

لم يهتم «سامي» لكلام القس «يوحنا»، ليكرر سؤاله:

-يعني نصرته؟؟؟

أهمل القس «يوحنا» سؤال «سامي» ليكرر حديثه بثقة، متذكرًا ما حدث في نفس الغرفة منذ زمن طويل عندما جاءه «خالد» ليستقبله «يوحنا» بتحفظ شديد، لتبدأ حوارات وأسئلة كثيرة استهلكت الكثير والكثير من الوقت.

-أولًا يا «خالد» بالنسبه لسؤالك عن جواز جوازك من «إيفا»، فلا يجوز عندنا زواج المسيحيه من مله تانيه.

-بس إحنا عندنا يجوز المسلم يتجوز من مسيحيه.

-بس ماينفعش عندكم المسلمه تتجوز من مسيحي.

سكت «خالد» لحظات ليضيف القس «يوحنا»:

-الست يا «خالد» رحم، وعشان كده كل دين بيغير على أرحامه، وبعدين لو أنا مشيت معاك على كلامك، لما تخلفوا هاتعملوا إيه في ولادكم؟

-أنا مش عايز أخلف، أنا هاربي «ملك» أنا فعلًا بحبها جدًّا وربنا يشهد.

-بس ده ما يبقاش جواز يا «خالد»، وبعدين دي حاجه ماتقدرش تأكدها، ولو حصلت هايبقى حالة الولاد إيه؟ بيشوفوا أبوهم بيصلي وأمهم في الكنيسه! ده شيء مستحيل ينتج عنه جواز سوي.

-يعني لو اتنصرت المشكله تتحل؟

***

من داخل الزنزانة أكمل «وحيد» حكاية «طاهر» إلى زميله في الحبس «عاصي» الليبي.

-الشيخ «دياب» كلفني بمهمه جديده ساعتها.

-إيه؟

-الشيخ «دياب» كان بيخسر كل يوم حد من رجالتنا، وكان محتاج حد يسند عليه.

-«الكمير»؟

-بالظبط كده، لما «طاهر» مشي الجماعه إتأثرت جدًا، وهنا جيه دوري، إني أحاول ألاقي طريقه أرجع بيها «طاهر».

***

بعد حوار مطول بين «خالد» والقس «يوحنا» اقتنع الأخير أن رغبة «خالد» مقتصرة على غرض زواجه من «إيفا» وليس إيمانًا بعقيدة نصرانية، ليقول القس أخيرًا:

-«خالد» أنا مايهمنيش الورق، مايهمنيش البطاقه، أنا يهمني المسيح، وأنا حقيقي مش شايف استعجال في قرارك ده، خليك معانا، خليك قريب مننا، ولو حسيت إن قرارك ده عن إيمان أنا أول واحد هاجري عليك، وعشان أسهل عليك القرار، انت عمرك ما هاينفع تتجوز من «إيفا» حتى لو كنت مسيحي.

***

-لغاية ما لقيت الحاجه اللي ممكن ترجع «طاهر» للجماعه، ومش بس ترجعه، دي كمان تقوي شره أكتر من الأول.

قالها «وحيد» ليجذب فضول «عاصي» الليبي الذي سأله:

-إيه؟

-عيونا في سينا وصلتلي إن «خالد» في «دهب» وبيحب بنت مسيحيه عايزه تنصره.

ابتسم «عاصي» محييًا صديقه الذي اتبع خطاي ونجح.

***

اندهش «خالد» من كلام القس «يوحنا» وأسلوبه، ليتساءل:

-ليه يا أبونا؟ إيه اللي ممكن يمنعنا ساعتها؟

-الكنيسه برضه يا «خالد».

-ليه؟

-عشان «إيفا» لسه متجوزه يا «خالد».

وقف «خالد» شاعرًا بغدر حبيبته، ليهدئ القس «يوحنا» من روعه قائلًا:

-أعد يابني واسمعني كويس، الجواز ده سر من أسرار الكنيسه، وعشان كده الكنيسه مش بتساعد في هده بسهوله، والمفروض إن زوج «إيفا» هجرها من أكتر من سبع سنين، وده بيديها الحق المدني بإنها تطلب الطلاق.

جلس «خالد» بالعًا ريقه بعدما وضح القس «يوحنا»:

-طيب خلاص، إيه المشكله؟

-المشكله إن مش كل القوانين دي بتطبق بسهوله.

-يعني إيه؟

-يعني يا «خالد» يابني أقدر أقولك بخبرتي، إن تصريح الجواز عمره ما هايطلع لـ«إيفا»؛ لأن الطلاق ده مش هايتم أبدًا في الظروف الحاليه.

-يعني إيه؟ يعني «إيفا» هاتعيش لوحدها طول عمرها؟ طيب هي ليه ماقلتليش الكلام ده؟

-عشان ماتعرفوش يا «خالد»، عشان لو الأمل مات ممكن نموت وراه يابني.

-يعني إنتوا حكمتوا عليها تترهبن طول حياتها؟

-يابني محدش بياخد غير نصيبه.

-بس كده إنتوا بتحطوها في خطر، محدش يستحمل يعيش لوحده.

-عشان كده يا «خالد» يابني ممكن ربنا يكون باعتك ليها، عشان يعصمها من أي خطأ.

-مش فاهم!

-انت لو بتحب «إيفا» صحيح، لازم الحب ده يبقى حب عذري خالي من أي شهوه.

حاول القس «يوحنا» تحجيمي، لأشعر بضيق شديد وأنا أفقد الكثير من صلاحياتي، ليخرج «خالد» من المكان شاعرًا بهم ثقيل، فلقد ظل خالقه يبعد عنه كل ما يحب، مقربًا إياه مني في كل خطوة أو هذا ما ظننت!

***

-وقدرت فعلًا توصل لـ«طاهر»؟

تساءل «عاصي» الليبي، ليبتسم «وحيد» مجيبًا:

-قدرت بعد ما راقبت «خالد» واتأكدت من تردده على الكنيسه دايمًا، خصوصًا عشان يقابل أسيس والعياذ بالله إسمه «يوحنا».

***

-وهو بقى بيجيلك ليه لو ماتنصرش؟

سأل «سامي» القس «يوحنا» الذي أجاب:

-«خالد» شخص طيب وجميل، وفعلًا سمع كلامي وفضل من أصدقاء «إيفا» المقربين، وفضل بيجي معاها الكنيسه دايمًا، وعمره ما اتخلى عنها ولا عن «ملك» اللي كانت بتحبه جدًا.

-بس كده؟

-لأ، «خالد» كان بدأ يسأل كتير، كان عايز يفهم، زي الطفل اللي بيستكشف جسمه وكل حاجه حوليه، «خالد» كان بيتعلم وفضل يتعلم.

-طيب واللي بعد كده؟

-الرحله.

-رحلة الأتوبيس؟

-أيوه الرحله دي كانت الكنيسه مرتباها، وكان «خالد» حاضر معايا وأنا بحدد خط سيرها، والطبيعي إني استشعرت الحرج إني موجهش ليه دعوه، خصوصًا إني كنت عارف إن «إيفا» و«ملك» فيها.

***

-أيوه كنت عايزه «خالد» يطلع معانا رحلة الكنيسه.

قالتها «ملك» لـ«نور» بعدما باتت مقربة إليها، لتتساءل الأخيرة:

-يعني «خالد» كان معاكوا في رحلة الأتوبيس؟

-لأ، بس وعد ماما أنه هايجلنا في نص السكه.

-وجيه فعلًا؟

***

-لما وصلت لـ«طاهر» قدر يتأكد من كل كلامي، وعرف كمان إن أخوه طالع رحله تبع الكنيسه.

قالها «وحيد» بفخر، ليسأل «عاصي» الليبي:

-وعمل إيه «طاهر»؟

***

«التاريخ في الوقت الحاضر ١٣ أكتوبر الساعة ٨ مساءً»

(٣٨)

من داخل أحد معسكرات «دياب» في سيناء، وصل (هو) في الميعاد، ليبتسم الجميع مهللين ومكبرين بعودة «الكمير» الذي توجه إلى مخزن السلاح ومن خلفه «دياب» الذي استوقفه.

-حمد لله على السلامه يا «طاهر».

-أنا «الكمير».

-يبقى ألف حمد لله على السلامه.

-ماتتبسطش أوي كده، أنا هاعمل العمليه دي بس.

-يعني هو أخوك أهم عندك من الإسلام؟

-الإسلام؟! انت صدقت نفسك؟

قالها (هو) ساخرًا، فلم أكن أنا ممن أهتم بالأديان، كافر أنا بجميعها، وعلى هذا عاهدت ربي، أن أغويهم أجمعين إلا عباده منهم المخلصين.

***

-غني يا «ملك».

قالتها «إيفا» التي وقفت في بداية الحافلة بجانب السائق معطية الطريق ظهرها، فلم يكن لديها الأمل في المستقبل عدا ابنتها الوحيدة «ملك» التي وقفت متوسطة صديقتيها «مارينا» و«فبرونيا» تاركة لهما دميتها الصغيرة التي أهدتها إليها أمها في بداية اليوم لتبدأ في الغناء، مع تصفيق الجميع، لتمد «ملك» أمها بالطاقة التي تحتاجها لتكمل مسيرتها في الحياة، حتى وقعت عين الأم عليه، ذلك القادم من بعيد، لتعرفه من فورها، مبتسمة له حبًّا، ليبادرها (هو) ابتسامته الخبيثة من سيارته رباعية الدفع التي بدأت تقترب من الحافلة التي هدأت من سرعتها بدورها، ليلاحظ الجميع باقي السيارات التي كانت تسير خلفه، مندهشين من هذا الزحام، قبل أن يتملكهم

الهلع ويعمهم الذعر من رؤية وجوههم الملثمة، لتفزع الأم التي ظلت تنظر إليه في رهبة، قبل أن يضع (هو) الآخر قناعه عندما أوقفت جماعته الحافلة، ليترجل (هو) وتابعوه من سياراتهم متجهين صوب ضحاياهم الجدد. هنا استوعبت الأم الحقيقة، فضمت «ملك» لتحميها من صراخ الجميع، ليقتحم (هو) الحافلة شاهرًا سلاحه حال أتباعه، لتقول «إيفا» وهي تخبئ «ملك» في حضنها:

-في إيه يا «خالد»؟ مين دول، وليه السلاح ده؟

-أنا مش «خالد».

قالها (هو) صافعًا إياها على وجهها بقوة ليقعا أرضًا فاقدين الوعي، ليبدأ رجاله في تعصيب أعين الجميع الذين استسلموا لتلك القوة الغاشمة مصلين لمسيحهم أن ينجيهم مما علموا أنهم ملاقوه، قبل أن ينظر (هو) إلى الجميع باحثًا عمن يخصه، اتجه أحد أتباعه إلى مقعد القيادة مزيحًا السائق بقوة ليجلس مكانه وقبل تحركه، منعه (هو)، فلقد كان لا يزال ينتظر شيئًا ما.

***

-كان مستني مين؟

قالها المقدم «سيف» لـ«خالد» الذي صار ضعيفًا من هول ما تذكر، بينما جلس الدكتور «فهد» بجانب «فريدة» التي آلمها المشهد.

-كان مستنيني أنا.

-وانت كنت فين؟

-أنا كنت في «دهب» وكنت مواعد «إيفا» إني هاحصلهم في وسط الطريق.

-فين؟

-في النقطه اللي (هو) وصلهم قبلي فيها.

-ورحت؟

-أيوه.

-يعني أخدوك معاهم؟

دمعت عين «خالد» مجيبًا:

-أيوه.

***

من أمام عيني «خالد»، أخذ (هو) الجميع بالحافلة واتجه بها إلى الشمال بعدما ألقى جميع هواتفهم الجوالة، لتستقبلهم الصحراء بإهمال وجفاء، ليتوقف (هو) في أحد أوكارهم بعيدًا عن الأعين، ليترجل (هو) آمرًا الجميع بالخروج، ليجر جماعته الضحايا من أجسادهم، فلقد فقد الجميع وعيهم والإرادة.

من الخارج رُص خدامي الضحايا على الأرض جاثين على ركبهم، ليحاول «خالد» تحريرهم وإن كان يعجز عن فك قيوده التي شددها (هو) ليشهده على ما سيفعل، لتدمع عينا «خالد» عاجزًا عن النطق، ليبدأ (هو) في ممارسة عملي من اليسار، فلم نكن أبدًا من أهل اليمين، فيخرج بندقيته التي أعشقها؛ حيث كانت قذائفها تفصل الرؤوس عن الأجساد الضعيفة، ليبدأ (هو) بالضحية الأولى، فيسمع باقي الضحايا صوت الصراخ والألم، ليبول الكثير منهم على نفسه، ليتابع (هو) خطوته إلى ضحيته الثانية مطلقًا قذيفته الثانية، ويتمايل -مترنحًا- جسد جديد بجانب الأول، لتفوح رائحة البارود ممزوجة بالدماء تخالط الآلام، لينتظر الجميع دورهم كالمواشي التي تنتظر التضحية في عيد المسلمين، ليكمل (هو) قتل ضحية تلو الأخرى حتى انتهت ذخيرة سلاحه الأول، فأخرج مسدسًا من جيبه ليكمل ما بدأه مع انهيار «خالد» الذي راقب ارتعاش «ملك» التي كانت الضحية الأخيرة في الصف بجانب أمها «إيفا» الذي وعد «خالد» القس «يوحنا» بحمايتها، جاهلًا أنه قد يكون سبب هلاكهما. كان خدامي يكبرون مع كل ضحية يسقطها (هو) جاهلين من حقًا يخدمون. انتهى (هو) من أغلب الضحايا وصولًا إلى «إيفا» ليغمد سلاحه.

***

من داخل طرقة المصحة، كانت «إيفا» تمشي حافية القدمين متسللة مرة

أخيرة لتكشف نفسها للجميع بعدما تيقنت من حديث «خالد» و«ملك» وعدم كتمانهما للسر، لتقترب من غرفة «خالد» وهي تلتف خلفها مع كل خطوة إلى الحارس النائم، لتصل أخيرًا إلى تلك الغرفة، ممسكةً بمقبض الباب لتفتحه، قبل أن تسمع بكاء ابنتها فتتوقف من فورها، متجهةً إلى تلك الغرفة المليئة بالورود من حولها، لتقترب مع علو صوت نحيب «ملك»، حتى وصلت أخيرًا إلى هذا الباب الذي فصلها عنها لتكسر صمتها ناطقة اسم ابنتها.

-«ملك».

سمعت «ملك» صوت أمها، فمسحت دموعها وتركت «نور» وفتحت الباب بسرعة لتجدها أمامها واقفة في جراحها تطمئنها، لترتمي «ملك» في حضن أمها أمام أنظار الجميع.

***

بعدما أغمد (هو) سلاحه توقف ليبحث عن «خالد» بنظره، ثم أخرج سكينًا حادًّا من حزامه و(هو) يزيل العصابة التي غطت عينيها، لتصرخ قائلة:

-«خاااااالد».

صرخت «إيفا» باسم «خالد» الذي نجح في فك قيوده أخيرًا ليهرع إليها سريعًا بعدما أزاحه (هو) من أمامها، ليمسك «خالد» بها أخيرًا حاضنًا إياها بحنان ودفء، وإن كانت «إيفا» عاجزة عن النطق، فأمسك «خالد» بوجه حبيبته ليجد يديه ملطختين بالدماء، لينتبه إلى رأسها الذي كاد ينفصل عن جسدها بعدما ذبحها (هو) قبل أن يصل «خالد» إليها، ليصرخ الأخير ألمًا، صراخًا سمعه أهل السماء والأرض.

***

ظل «خالد» يصرخ متألمًا من داخل غرفته بالمصحة بعدما تذكر ما كان يتجاهله، بينما كانت «فريدة» تبكي هي الأخرى مما تسمعه، في حين أمسك المقدم «سيف» به مثبتًا إياه في السرير، ليخرج الدكتور «فهد» من الغرفة باحثًا عن حقيبة عقاقيره، ليجد «ملك» واقفة في الطرقة بجانب غرفة

«خالد» تحتضن السراب، ومن خلفها «نور» تدمع هي الأخرى، لتقترب منها ضامة إياها إلى صدرها.

***

بعدما تمكن «خالد» من الموقف تركه (هو) وابتعد، حال بقية تابعيه الذين فروا إلى جحورهم تاركين «خالد» مع جثة حبيبته، وابنتها معصوبة العينين والتي كانت لا تزال ترتجف وهي تنادي أمها باضطراب، ويجد «خالد» نفسه حائرًا، فيدخل «ملك» إلى الحافلة مزيلًا عصابة عينيها، وإن رفضت «ملك» فتحهما على الواقع، ليأمرها «خالد» بعدم ترك الحافلة، قبل أن يخرج منها ممسكًا بجثمان «إيفا» ليسير بها بين دروب الصحراء خطوات عديدة في اتجاه يجهله، ليستقر أخيرًا عند شجرة ميتة، ظل «خالد» يحفر بجانبها مدفنًا حقيقيًّا، عكس القبر الوهمي الذي قبر فيه ذكرياته مع «فريدة».

توقف «خالد» جاهلًا كيف سيصلي عليها! ليرفع يده إلى السماء باحثًا عن ربه، لأعود أنا إليه فأعيد له رشده قبل أن يظهر (هو) مرة أخيرة عائدًا إليه بعدما ترك أتباعه، ليبحث عن «خالد» من جديد، الذي حاول العثور على شيء وسط الصحراء ليقاتله به، ليبتسم (هو) راميًا إليه بسكين، أخذه «خالد» محاولًا قتله، ليبتسم (هو) قائلًا:

-أخيرًا طلعلك صوت؟

-إخرس يا كلب.

-الشتيمه بتلف وبترجع لصاحبها.

قالها (هو) ساخرًا و(هو) يفادي ضربة سكين «خالد»، ليمشيا في حلقة دائرية عكس عقارب الساعة.

- قتلتها ليه؟ حرام عليك.

-عشان تفوء.

-أفوء من إيه؟ أنا مكنتش هاتجوزها ولا حاجه، ده كان حب عذري.

-هههه، عذري! مش بقولك كان لازم تفوء.

ظل (هو) يسخر من براءة «خالد» الذي بدأ الإرهاق يتملكه بينما (هو) يتراقص فوق قبر «إيفا».

-إبعد عنها بنجاستك دي.

-أنا مش نجس، انت اللي ضعيف.

-أنا مش ضعيف.

-الحب ضعف.

-الحب خالد.

-والدم طاهر.

***

-يعني بعد ما دفنت «إيفا» أخوك «طاهر» لقاك وجابك هنا، وعشان كده مارجعتش لـ«ملك».

قالها المقدم «سيف» ليتقبل «خالد» رأيه موافقًا، قبل أن يتابع:

-تقدر توصفلي فين المكان ده؟

اعترض الدكتور «فهد» الذي كان قد أعطى «خالد» مهدئًا منذ قليل.

-يا فندم لو سمحت «خالد» لازم يرتاح بعد الدوا ده شويه.

-مفيش وقت، صدقني مفيش وقت.

-أنا كويس، وعايز أقوله «إيفا» مدفونه فين.

-فين؟

قالها الدكتور «فهد» بفضول، حال «نبيل» الذي كان يقف خارج الغرفة يتصنت على الحديث، ليتنبه المقدم «سيف» قائلًا:

-معلش يا دكتور، أنا هاحتاج آخد المعلومات دي من «خالد» لوحدنا، ممكن بعد إذنكوا تسيبونا شويه؟

-بس يا فندم...

-ماتخافش يا دكتور «فهد» مش هاحمل عليه، وواضح إنه متجاوب. مظبوط يا «خالد»؟

أومأ «خالد» برأسه موافقًا، لينسحب الدكتور «فهد» و«فريدة» فاتحين الباب ليجدا «نبيل» يقف متجهمًا.

-في حاجه يا «نبيل»؟

قالها الدكتور «فهد» وهو يخرج من الغرفة مع «فريدة»، متحركين ناحية غرفة «نور».

-لا يا فندم، حابيت أطمن عليكوا، أصلكوا اتأخرتوا شويتين.

-عادي وإيه المشكله يعني؟

-مفيش مشكله خالص يا فندم، أنا حبيت كمان أطمنك على حالة «نور» و«ملك».

-عال عال، طيب أنا هاخد مدام «فريدة» معايا مكتبي فوق، وانت خليك هنا لو المقدم «سيف» احتاج حاجه.

-حاضر يا فندم.

وصل الدكتور «فهد» مع «فريدة» إلى باب الطابق الثالث ليخرجا محيين الحارس، لتتوقف «فريدة» أمام المصعد ليحرج ويضطر الدخول معها للمرة الأولى منذ ورث المصحة عن والده القتيل، ليقف داخل هذا المكان الضيق شاعرًا بروحه تصعد إلى السماء وإن هدأ من روعه ابتساماتها التي جعلته يتناسى.

هذا بينما ظل «نبيل» في ردهة الطابق الثالث وحيدًا، ينظر حوله مطمئنًا من

خلو المكان، قبل أن يسحبه الفضول إلى باب غرفة «خالد» ويتوقف أمامه، سامعًا الكثير قبل أن يقوم باتصال هام.

***

من غرفة «القس يوحنا» أنهى الرجل حديثه إلى هذا الصحفي الذي استطاع الحصول على فيديو «خالد» من المصحة بطريقة ما، ليستقبل مكالمة هامة.

-آلو.....

ابتسم الصحفي «سامي» وأنهى المكالمة بعدما حصل على معلومات جديدة من داخل المصحة، ليتوجه إلى القس «يوحنا» بجملة أخيرة:

-أنا متشكر جدًا يا أبونا، خلاص اتعشت الحمد لله.

-إتعشت!

***

-وانت قلتلهم كل ده؟

سأل «عاصي» زميل محبسه «وحيد» الذي وضح:

-لأ بس مش هاستحمل العذاب ده تاني.

ابتسم «عاصي» الليبي قائلًا:

-انت عارف إن إحنا كده كده هانموت هنا. صح؟

بكى «وحيد» فلم يكن قويًا حال «عاصي» صديقي القديم.

***

«التاريخ في الوقت الحاضر ١٣ أكتوبر الساعة ٩ مساءً»

(٣٩)

عاد الدكتور «فهد» إلى «فريدة» في غرفة والده حاملًا كوبين من القهوة، ليعطيها أحدهما، لتشكره بابتسامة سحرته.

-أنا بجد سعيد بيكي يا مدام «فريدة».

ضحكت «فريدة» «ساخرة».

-سعيد بإيه، هو أنا ورايا غير النكد؟

-أبدًا يا فندم، قدرة تحملك، أنا لو في حياتي سند زي كده كنت هابقى أكيد أعظم دكتور نفسي في «مصر».

ابتسمت «فريدة» خجلًا قائلة:

-ما هو حضرتك فعلًا أعظم دكتور نفسي في «مصر».

-لأ دي مصحة والدي، أنا لسه وارثها عنه من أقل من سنه.

-البقاء لله يا فندم، كان عيان؟

-لأ، توفى في حادثه هنا في «دهب».

قالها وشرد في موت والده لتدمع عيناه قبل أن يضيف:

-عارفه يا مدام «فريدة»؟ والدي عمره ما اقتنع إني ممكن أكون دكتور نفسي، ورغم كده أصر إني أورث شغفه.

-بس اسمحلي يا دكتور، الشغف مش بيورث.

-حقيقي، عشان كده عمري ما وثقت في نفسي، بس عارفه، معرفش ليه من ساعة دخول «خالد» عندنا وأنا بدأت أحس بحاجه بتحركني عشان أكون دكتور، دكتور بجد.

شعر بتقلب مزاج «فريدة» عند سماعها اسم «خالد»، ليكمل قائلًا:

-ويمكن الحاجه الحلوه اللي عملها «خالد» إنه خلاني أشوفك.

زاد الدكتور «فهد» من إحراج «فريدة» التي ازدادت خدودها حمرة أثارتني كالعادة.

-حقيقي أنا استغربت الصدمة اللي شوفت فيها «خالد» لما اعتقد إنك مابقتيش موجوده، دارت في مخيلتي أسئله كتيره جدًا، إزاي راجل يتعلق بست كده، إزاي ممكن يضيع عمره زعلان عليها، ولما عرفت إنك عايشه وشوفتك ماستغربتش، وماستغربتش برضة ليه هو كان ممكن يتقبل إنك مش موجوده، على إنك تكوني موجوده بس مع حد تاني.

***

تنبه «نبيل» الواقف عند باب غرفة «خالد» إلى صوت خطوات قريبة، وإن خلت الطرقة من أي شخص، فترك موقعه وبدأ في البحث عن مصدر الصوت، ليلفت نظره إضاءة غرفة «حنين» فيهرع إليها، ليجدها تقف عند بابها في شرود كعادتها.

-«حنين»!

نظرت «حنين» إليه قائلة:

-انت مين؟

ضحك «نبيل» قائلًا:

-أنا «نبيل» مدير المصحه.

***

دخل أحد عساكر الداخلية إلى زنزانة «وحيد» و«عاصي» حاملًا الطعام الذي أمر به اللواء «فاروق»، ليجد المكان ساكنًا، فلقد جلس كل منهما بعيدًا عن الآخر، حيث كان «عاصي» ينظر إلى سماء خالقه بحثًا عن إجابات لأسئلته، وبجوار الحائط المقابل له كان جسد «وحيد» مستلقيًا على الأرض، يتلقى الإجابات من السماء التي صعدت روحه إليها لتوها، فيندهش الحارس من

شخوص بصر «وحيد» فيتوجه إليه شاعرًا ببرودة جسده، متحسسًا نبضه المعدوم، ليغلق عينيه وهو يوحد الله بسبابته وسط اندهاش «عاصي» الذي ظل يبحث عن السماء في سواد سقف الغرفة.

خرج الشرطي الذي استلم خدمته منذ فترة قصيرة، مكسور القلب، فلقد كان «وحيد» هو أول حالة وفاة يستقبلها بعقله، ليظل راهبًا المشهد الذي تتسيد فيه الملائكة المكان ويردون للأرض أملاكها معيدين للخالق روح عبده، ليحدد وحده مصيره، فالجنة جنته والجحيم أيضًا، لأشعر لوهلة بهلاكي وإن زادني العذاب إصرارًا أن أجمع حولي ما استطعت من صحبة تؤنس وحدتي وأنيني.

وصل الشرطي إلى اللواء «فاروق» الجالس في غرفة الاجتماعات كعادته يخطط للعملية التي تم تحديد موعدها مع غروبٍ شمس اليوم التالي، ليهمس الشرطي في أذنه بخبر موت «وحيد»، جاهلًا إذا ما كانت ميتته طبيعية أم أنه قتل أو انتحر.

***

من غرفة «حنين» تابع «نبيل» حديثه معها، بعدما عادت هي إلى غرفتها لتستلقي على سريرها، ليجلس هو إلى جوارها، يراقب عينيها، المتناسيتين من حقًا هو.

-أنا كنت راضيه بمصيري وبعدل ربنا، كنت عايشه سعيده مع حب عمري الوحيد.

قالتها بتلقائية أسعدت «نبيل» وتابعت:

-بس أهلي مارضوش بقضاء ربنا، وغلطتي إني سمعت كلامهم، لو ده عقاب ربنا أنا موافقه بس يرضى عني.

-ماتقوليش كده يا «حنين»، ربنا دايمًا ليه حكمه.

-مش هاتقدر تفهم أو تحس عشان مادوقتش اللي أنا دوقته، انت عندك أولاد يا أستاذ «نبيل»؟

-أنا ربنا ما رزقنيش من مراتي الأولانيه وحب عمري.

تنبهت «حنين» إلى حديث «نبيل» الذي تابع:

-بس الحمد لله كرمني من زوجتي التانيه بولد وحيد إسمه «وحيد» يا عالم هو فين دلوقتي!

قالها شاعرًا بانقباض صدره، جاهلًا السبب الذي كنت أعلمه أنا.

-هي مراتك الأولانيه كان إسمها إيه يا أستاذ «نبيل»؟

-«حنين»!

مبتسمًا قالها، لتتلاقى الأنفاس، ويجتمع الشمل الذي فرقته الأقدار منذ عشرات السنين، عندما بحثوا عن كل زائل، متناسين كل خالد، فكلكم زائلون إلا قلوبكم الطاهرة. تذكرت «حنين» أخيرًا حديث زوجها القديم إليها:

«مش قلتلك مش هاتموتي لوحدك أبدًا، أبدًا يا «حنين».

***

من غرفته بالفندق، استقبل «سامي» اتصالًا من رئيس تحرير جريدته الذي بدا عليه الاندهاش.

-يا «سامي» انت متأكد من اللي بتقوله ده؟

-أيوه يا فندم الكلام ده على مسؤوليتي.

-يا «سامي» المواضيع دي مفيهاش مسؤوليه، ده هايحطنا في صدام مباشر مع الداخليه.

قالها الرجل من مكتبه وهو يقرأ عنوان الخبر الذي أرسله «سامي» إليه:

«الطفلة وعم قاتلها في نفس المكان تحت إشراف الداخلية».

أنهى «سامي» المكالمة وخرج من فندقه في اتجاه السوق ليبحث عن مكان لشخص يعرف الحقيقة كاملة، الشخص الذي آثر الابتعاد حاملًا على عاتقه الكثير من الأسرار، ومنهم «سر الثالوث الأوحد»، فلقد كان مسيحيًا طيبًا بحق.

ذهب «سامي» بحثًا عن «حبيب» في تلك المدينة الصغيرة ليكمل الجزء المفقود من الصورة.

***

من غرفة «خالد» استقبل المقدم «سيف» خبر تأكيد العثور على جثة «إيفا» بسعادة بالغة، قبل أن يلقي اللواء «فاروق» على كاهل المقدم «سيف» خبر تدخل قوات الأمن الذي تم تحديده بعد أقل من أربع وعشرين ساعة، ليستاء المقدم «سيف» من انحسار فرصة العثور على زميله الرائد «عادل» في عداد الناجين، فهو يعرف صعوبة ذلك، ليغلق الخط وهو شارد قبل أن يقول «خالد»:

-لاقوها؟

لم يجب المقدم «سيف» وظل شاردًا ليكرر «خالد»:

-لاقوها!!!؟

-ها، آه لاقوها.

-ممكن تدفنوها كويس؟

في دهاء أجاب المقدم «سيف»:

-ممكن تدفنها بنفسك لو تحب.

ضم «خالد» رجليه، متقوقعًا على نفسه قائلًا:

-بس أنا عيان وماينفعش أخرج من هنا.

-انت مش عيان يا «خالد»، انت لازم تواجه أخوك، ده أحسن علاج ليك، انت لازم تخرج من سجنك يا «خالد»، مش عشانك، عشان كل الناس اللي بتحبهم، وعشان «إيفا».

-انت عايز مني إيه بالظبط؟

ابتسم المقدم «سيف» ليسرد خطته، التي كانت تقتضي خروج «خالد» من

محبسه والذهاب إلى «دياب» في الموقع الذي حددته الداخلية، ليتقمص شخصية «طاهر»، محاولاً تحرير الرائد «عادل» قبل توجيه القوات العسكرية ضربتها.

بالطبع لم يوافق «خالد» على هذا الحل الذي كان سيعرض حياته للخطر، فلم يكن يعرف أين «طاهر» الآن، إذ ربما يكون قد وصل قبله إلى الشيخ «دياب».

-وحتى لو حصل كده، أخوك عمره ما هايقتلك، لو كان عايزك تموت كان زمانك ميت أصلاً.

-مش هاعرف أقنعهم أبدًا.

-ليه لأ؟

-ولو عرفت أقنعهم، هاخليهم يسيبوا الرائد «عادل» إزاي؟

-سيبلي أنا دي، أنا هاخطط كل حاجه، وهاكون معاك مش هاسيبك، حاول انت بس من هنا لغاية الصبح، تخش في شخصية «طاهر».

-حقيقي أنا آسف، مش هاعرف أوعدك بحاجه.

-مش مهم توعدني المهم تحاول.

قالها المقدم «سيف» وخرج إلى طرقة الطابق الثالث، ليقوم باتصال برئيسه، محاولاً كسب المزيد من الوقت ليقوم بخطته، إلا أن اللواء «فاروق» شرح له استحالة تأخير العملية؛ نظرًا لخروجها من نطاق صلاحياته، لتواجد أطراف عليا بها، ليغلق المقدم «سيف» الخط ويتابع تقدمه إلى الدكتور «فهد» الذي كان لا يزال يغازل «فريدة» في غرفة «الشرنوبي»، ليغضبني ويقاطعهما بعدما كنت قد أعددت العدة لمعركة جديدة.

-أهلًا يا «سيف» بيه.

قالها الدكتور «فهد» وعاد إلى مكانه هروبًا من نظراته.

-مدام «فريدة» إحنا آسفين جدًا على تعبك معانا، في عربيه هاترجعك

دلوقتي «مصر» عشان بنتك.

-حاضر يافندم.

-بس بعد إذنك يا ريت لو هاتسافري أي حته تبلغينا.

-هو أنا عليا حكم ولاّ إيه يا سيادة المقدم؟

-أبدًا يا مدام «فريدة» بس يجوز نحتاج حضرتك مش أكتر.

سكتت «فريدة» وظلت جالسة، ليعلق المقدم «سيف» بحزم:

-حضرتك هاتسافري دلوقتي يا مدام «فريدة».

أحرجت «فريدة» واحمر وجهها ثم وقفت في تردد قائلة:

-أروح فين يافندم؟

-حضرتك تحت في الاستقبال زمايلي هايكملوا مع حضرتك.

نظرت «فريدة» إلى الدكتور «فهد» مودعة إياه، ليترك الأخير مكتبه قائلًا:

-إتفضلي يا مدام «فريدة» أنا هاوصل حضرتك.

اعترض المقدم «سيف» وأمسك يد الدكتور «فهد» قائلًا:

-معلش يا دكتور، أنا محتاج حضرتك.

توقف الدكتور «فهد» مستسلمًا قبل أن يمد يده مودعًا السيدة التي استطاعت أن تحركني فيه، متقلبًا داخل عقله ودمائه لأبدأ في وضع خطتي للإيقاع بها من خلال هذا الفهد، فلطالما كانت «فريدة» بالنسبة لي الملاك الذي ينتشلني من الهلاك، كانت من نقاط ضعفي على هذه الأرض اللعينة، فلا يمكن أن تكون قد خلقت مثلهم من طين، فهذا الجسد الطاهر المثير لا يمكن أن يخلق إلا من نار، ظللت أنا أنظر إليها من خلال هذا الفهد لدقائق كثيرة قبل أن تغادر معبودتي، ويعود هو إلى مكتبه منصتًا إلى حديث المقدم «سيف».

***

من غرفته بالمصحة، كان «خالد» أمام حامل لوحاته ينهي رسمته الأولى، التي بدأها من يومه الأول في المصحة، رسمة هذا «الكمير» الذي يمثلنا جميعًا، ليضع خطوطي الأخيرة؛ حيث كانت الحية تلتف حول جسد الأسد والماعز بقوة هائلة، لتتلاحم معهما ليتناسوا ثلاثتهم من الجاني ومن الضحية. كانت اللوحة قد ازدادت صخبًا وكرهًا، ليوقعها بإمضائه قبل أن يخرج أخيرًا عن صمته متحدثًا إليه مرة أخرى:

-كفايه بقى.

قالها «خالد» بحزم ليجيب (هو):

-كفايه ليه؟

-أنا تعبت.

-وأنا لسه مابدأتش.

-أنا هاوقفك.

-مش هاتقدر، انت ضعيف.

-أنا مش ضعيف، أنا اللي خلقتك.

-خلقتني عشان ضعيف مش زي أخوك.

-أخويا مش شيطان زيك، أخويا «قديس».

-ههه، مفيش فينا «قديس» ولا شيخ المسجد ولا أسيس الكنيسه.

-ومفيش فينا شياطين زيك.

-إنتوا اللي شايفيني كده، تقدر تنكر إني أنا اللي خليتك تعرف تعيش مع أخوك؟

سكت «خالد» ليكمل (هو):

-عمر «طاهر» ما احترمك أو احترم فنك، كان دايمًا شايفك عاصي وساذج، كل

حاجه حاولت تعملها منعك منها، منعك تدوق الدنيا، منعك تشوف الحياه، منعك تحسها، لو هو «قديس» انت كان حقك تعيش بني آدم، كان لازم مايحرمكش تجرب، ولولايا مكنتش عشت يا «خالد»، لولايا مكنتش صبرت لما خد منك حب عمرك.

-يعني إيه؟

-يعني انت خلقتني جواك عشان أقدر أخرجك من ضعفك ومن تحكم أخوك اللي عمل نفسه كبير عليك، أنا اللي خليتك تعرف تشوه صورته قدام كل الناس، لولايا كان زمانه لسه مع «فريدة»، لولايا كان زمان الناس بتسبح بحمده، لولايا كان زمانك ميت في نظر كل الناس.

-لا لا، انت كذاب انت كذاب، مش أنا اللي عملت كل ده، ده (هو).

-(هو) مين يا «خالد»؟ «طاهر»؟!

سكت «خالد» ليكمل (هو) حديثه:

-«القديس»؟......«القديس اللي انت شوهته.

-مش أنا.

-آسف، «القديس» اللي أنا شوهته، طيب يا أخي لما نكدب كدبه ماينفعش نصدقها.

-أنا مكدبتش.

-بس خطّت، خطتلي كل حاجه وأنا نفذت.

-خطّت إيه؟

-خطه عجبتني، انت حقيقي ذكي، لما لقيت إن «طاهر» «قديس» فعلاً، وعجزت إنك تلوثه، رسمتلي الخطه كامله، انتقام أمتعني وأنا بنفذه.

-إخرس.

-مش هاخرس تاني، كفايه بقى تعلقوا دايمًا فشلكوا وضعفكوا عليا، انت خطت وأنا نفذت، والغريب محدش سأل إزاى الراجل اللي مابيفوتش فرض

ممكن يبقى زيك؟

-ماتقولش زيي.

-آسف، قصدي زيي أنا، إزاي «القديس» ممكن يزني، إزاى «القديس» ممكن يقتل؟

صفق (هو) بكلتا يديه قبل أن يتابع:

-برافو حقيقي (أنا) منبهر، منبهر إزاى أقنعت كل الناس دي إن «طاهر» اللي ورا كل عمايلي دي، حقيقي أنا منبهر.

-يعني إيه؟ يعني مين اللي قتل «إيفا»؟

-أنا اللي قتلتها.

-يعني إيه؟

-بص لنفسك في المرايه وانت تعرف.

-لاااا.....مستحيل أنا أكون قتلت حب عمري مستحيل.

-قلتلك أنا اللي قتلتها.

ضحك (هو) وأكمل:

-بس أنا وانت واحد.

-انت حيوااان.

-مش قلتلك الشتيمه تلف تلف وترجع لصاحبها.

قاله (هو) ساخرًا:

-وليه خليتني أقتلها ليه؟ حرام عليك.

-قلتلك قبل كده عشان تفوء.

-أفوء من إيه؟

-تفوء وتفهم إن ماينفعش أنا وانت نعيش مع بعض، لازم يا تسيبلي المجال يا هامشي وهاسيبك لضعفك.

-يبقى تمشي وتسيبني أعيش في سلام.

-سلام! هههه قلتلك ضعيف ومش هاتقدر، فاكر لما دبحت حبيبتك قدام عينيك، فاكر لما خليتك تدبحها بإيدك؟

-كفاااااايه.

-بذمتك محستش بمتعه، طعم الدم ماحسسكش بقوتك؟

-قوتي؟!

علق «خالد» وقد بدأت عينه اليمنى في الثبات.

-أيوه قوتك، قوتنا وإحنا مع بعض.

-عندك حق، أنا فعلًا بقيت أقوى، وهاتتأكد لما تلاقيني بهد كل اللي انت عملته.

قالها «خالد» بقوة مخيفة.

-مش هاتقدر.

ضحك «خالد» فجأة ضحكة خبيثة وقال:

-مش أنا اللي خلقتك؟ أنا هاموتك.

-مش هاتعرف تعيش من غيري، هاتموت.

-ومين قالك إني عايز أعيش؟

خاف (هو) وتراجع قائلًا:

-لا يا «خالد» إعقل، أنا آسف، أنا بجد آسف.

-هاموتك.

-هاتموت معايا، خليك فاكر إحنا واحد.

-«قُضي الأمر الذي في تستفتيان».

-يا «خالد» لاااااا.

-صدق الله العظيم.

قالها بحزم ليجبرني أنا على المغادرة، أمام عين هذه المتطفلة على الباب، لأبتسم أنا إلى «نور» مودعًا إياها، متلاشيًا لأتركها معه ليهمس إليها، لتبحث عن «سر الثالوث الأوحد» قبل أن يقع مغمى عليه بأزمة من النمط الأول.

***



«التاريخ في الوقت الحاضر ١٣ أكتوبر الساعة ١٠ مساءً»

(٤٠)

في خطوات سريعة اخترق «نبيل» الطابق الرابع وصولًا إلى غرفة «الشرنوبي» الأب، ليقطع حديث المقدم «سيف» مع الدكتور «فهد».

-في إيه يا «نبيل»، مش شايفني مشغول؟

أحرج الدكتور «فهد» مساعد والده كعادته ليجيب «نبيل»:

-معلش بس لازم تتفضلوا معايا.

-في إيه يا «نبيل»؟

-«خالد» يا فندم.

-ماله «خالد»؟!

تساءل المقدم «سيف» في فضول:

-لبس هدومه وعايز يمشي.

-أفندم!

قالها الدكتور «فهد» الذي أسرع مع المقدم «سيف» إلى الطابق الثالث مهرولين على السلالم في لحظات قليلة ليصلا إليه في غرفته، ليجداه واقفًا بثبات يرتدي ملابسه البيضاء التي وصل بها منذ أيام طويلة، بينما وقفت «نور» إلى جواره بجانب اللوحة التي أنهاها لتوه.

-في إيه يا «خالد»؟

قالها الدكتور «فهد»، ليوجه الآخر كلامه في هدوء إلى المقدم «سيف»:

-أنا جاهز يا فندم، وهاتحرك دلوقتي.

-دلوقتي؟!

قالها المقدم «سيف» مندهشًا، ليعلق الدكتور «فهد»:

-لأ يا جماعه إنتوا أكيد بتهرجوا.

-أنا مبهرجش يا «فهد».

بقوة غريبة قالها ليرهب الحضور، ليقول المقدم «سيف»:

-خلاص يا «خالد» ساعه وهانتحرك سوا بس قولي هانحتاج إيه؟

-هاحتاج حاجه واحده.

-إيه؟

-إني أروح لوحدي.

قالها متحديًا ليخضع له المقدم «سيف»، مجهزًا له سيارة مهيأة بجهاز تتبع فيغادر بعد دقائق معدودة تاركًا الجميع لشكوكهم، ومن بينهم رجل المصحة، الذي أخرج هاتفه ليتصل بصديقه القديم منبهًا إياه إلى القادم إليه، ليرد «دياب» بامتنان لخدمات الرجل الذي استطاع أن يرد له الجميل الذي صنعه له منذ فترة، فيغلق «دياب» الهاتف ويذهب إلى الرائد «عادل» في محبسه لينهال عليه ضربًا وتعذيبًا، ثم وجه له رسالته الأخيرة، بموعد نفاذ الحكم في الصباح الباكر، طالبًا من رجاله تزويد الرقابة عليه، ثم أعطى رجاله أوامره باستقبال «خالد» من منتصف الطريق.

***

من أحد شوارع «دهب»، وصل الصحفي «سامي» إلى مرسم «حبيب» الساحلي، طارقًا إياه بقوة استفزت «حبيب».

-في إيه؟!

أخرج «سامي» جهازه اللوحي على فيديو المصور، ليستمتع بنظرة «حبيب» قائلًا:

-ممكن أدخل؟

استسلم «حبيب» وفتح الباب ليدخل هذا القادم من الخارج بثبات مستفز،

بينما ظل الجهاز اللوحي يبث مقطع الفيديو الذي ظهر فيه صديق «حبيب» مقيدًا على كرسي يهذي في جنون كالممسوس و(هو) ينظر يمينه تارة وشماله تارة يتحدث إلى السراب بلغة عربية فصحى قائلا:

أنا الشهيد...

ربي الله الواحد الأحد، وديني الإسلام، ونبيي «محمد»

....

كما تعلمان ولدت ونشأت في القاهرة سنة ١٩٧٩ ميلاديًا، في عائلة فاحشة الثراء، لأعيش بضع سنوات مُغيبًا عن ربي، وسط حياة مليئة بالترف والرفاهية خالية من الألم والطاعة، حتى سبقنا والداي لملاقاة ربهما وأنا في الثامنة، لأصبح شريدًا في تلك الحياة البائسة، حتى طالتني يد السكينة، وهداني الرحمن قبل أن أتم العاشرة، لأسلم له نفسي التائهة، واهبًا له إياها طواعية، لأسلك هذا الطريق كالأسد من حينها، حتى وصلتني الرسالة المبشرة، فلقد تمت بالفعل دعوتي، جاء أجلي وحلت ساعتي، عندما قتلني (هو) ودنس قدسيتي، لأغادر جسدي بحثًا عن حقيقتي، لأدرك من البرزخ نهايتي، مطلعًا على سر كينونتي.

سر الثالوث الأوحد!

....

وعدوني بالجنة، فلمَ أنا في الجحيم؟!

قالها باكيًا الجحيم الذي بات يعيش فيه مقيدًا، منذ قتله (هو) ليستغل جسده في فعل ما يحب، ليظل الرجل عالقًا في برزخ بين الجبهتين لا يعرف أيهما يتبع؟!

***

من غرفة «خالد»، ظلت «نور» تنظر إلى لوحته الأخيرة لحيوان «الكمير»، تحاول حل «سر الثالوث الأوحد»، منتبة أخيرًا إلى شيء غريب في توقيع الرسام زاد من هلعها، لتأخذ «نور» اللوحة وتذهب مسرعة إلى غرفة عملها السابقة وهي تحاول الحفاظ على برودها، لتدخل الغرفة وتجلس على مكتبها القديم، لتفتح جهاز حاسوبها، لتبدأ في بحثها على «الإنترنت» عن «الكمير»، تعرفت على هذا الحيوان الأسطوري الذي اخترعه اليونان رمزًا للشيطان، محددين شكلًا قاسيًا له مكونًا من جسد أسد قوي، زُرع فيه رأس لماعز ضعيف متلاحمين سويًّا بذيل واحد لحية خبيثة، لتلقي «نور» نظرة على رسمته الذي جعل فيها الحية تلتف حول جسد الأسد والماعز سويًّا حتى أنها كادت تقتلهما في شكل درامي لعجز أصحاب الجسد.

تابعت «نور» بحثها بقلق ودقات قلبها تزداد شيئًا فشيئًا، فقد خلُصت إلى بحث علمي فريد؛ حيث استغل العلماء هذا الحيوان الأسطوري لوصف حالة جينية نادرة.

***

-أيوه أنا اللي صورت «خالد» في الفيديو ده.

قالها «حبيب» للصحفي «سامي» بانكسار.

-وانت اللي وصلته للمصحه؟

-أيوه أنا.

-ليه؟

-كنت عايزني أعمل إيه؟ أقتله؟ كان ممكن على فكره، لما يجي وهدومه غرقانه بدم عشرين مسيحي، المفروض كنت أقتله.

-أو تبلغ عنه البوليس!

سكت «حبيب» دامعًا ثم قال:

-فكرت بدل المره ألف، بس ده كان صاحبي، صاحب عمري، الوحيد اللي

استأمنته على سري، مستحيل كنت أصدق إن «خالد» يقتل، ممكن كنت أصدق إن «طاهر» يقتل.

-ليه؟

-عشان...

-عشان ملتزم؟

-يمكن، بس لا، يمكن عشان قوي «طاهر» كان أسد، بس «خالد» كان فنان كان غلبان كان «جدي»، مايقتلش ولا يأذي، عشان كده صدقت إنه عيان، زي ما صدقت إن «فريدة» ماتت، قبل ما اتأكد إنها عايشه.

-تقصد إيه؟

-يعني رجوع «طاهر» أثر على حالة «خالد» وهو اللي خلاه يبقى كده.

-برضه هاتعلق الشماعه على «طاهر»؟ مش ممكن يكون «طاهر» ده أصلًا من خيال «خالد»؟

انزعج «حبيب» رافضًا الفكرة ثم قال:

-وحتى لو كان، ده يأكد إن «خالد» مريض ويستحق العلاج، «خالد» كان باين عليه المرض، لو شوفت الفيديو هاتفهم، ده واحد عيان مش شرير، ده واحد شايف نفسه أتنين أو أكتر، كتير كنت، بشوف الميدالية إللي كان علطول بيشليها بأستغراب، عشان كده بعتها في الشنطة، بعتها مع الفيديو إللي صورته فيه عشان الدكتور يفهم، (هو) نفسه طلب مني أنى أموته، بس أنا مقدرتش، وخليته يكتب شيك لدكتور «فهد» صاحب المصحه اللي في «دهب» عشان يكون جنبي، أنا عارف صاحب المصحه دي، مادي ومايهمهوش غير الفلوس لدرجة إن كل الناس شاكه إنه قتل أبوه عشان يورث المصحه دي.

-والفيديو؟

-زي ما قلتلك صورتهوله وهو بيعترف إن عنده شخصيتين، حاسيت أنه كان

محتاج الناس تسامحه.

-مخفتش المصحه تسلم الفيديو للداخليه؟

-ده مصيره، هما لو شافوه مريض هايحموه، ولو ماكنش يبقى يستاهل الموت.

سكت «حبيب» لحظة ثم سأل «سامي»:

-انت بقى ممكن تقولي جبت الفيديو منين؟

بسخرية قال «سامي» صادقًا:

-من صاحب المصحة.

-أيوه يعني مين اللي سربهولك؟

ابتسم «سامي» وربت على كتف «حبيب» ثم قال:

-انت طيب أوي يا «حبيب» يا ريتني ليا صاحب زيك، ماتخافش أنا غرضي سامي، وإحنا الاتنين عايزين الحقيقه وهانقولها إن شاء الله.

رد «حبيب» هو الآخر بابتسامة بشوشة قائلًا:

-إن شاء الله.

-في حاجه تانيه تعرفها؟

-آه.

-إيه؟

-أعرف إن حب «خالد» لـ«فريدة» زي حبه لـ«إيفا».

-مش فاهم!

-اللي يحب الحب ده مره واحده مايبقاش في قلبه مكان للكره، فما بالك اللي يحبه مرتين!

***

من داخل سيارته المتجه بها إلى جماعة الشيخ «دياب» ظل يتذكر ما جال بخاطره قبل أن يسلك هذا الطريق، عندما ذهب إلى الشيخ «سالم» المسالم الذي كان ينهر «وحيدًا» لاعتناقه أفكارًا مغلوطة بعد سقوط جماعته، ليظل الشيخ «سالم» يعظه كثيرًا حتى نفر منه «وحيد» ويبقيان هما وحيدين:

-يا شيخ «سالم» هو المسيحيين حقيقي كفار؟

-يابني دول أهل كتاب.

-يعني هايروحوا الجنة ولا النار؟

-لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، يابني مفاتيح الجنة والنار مش في إيدينا إحنا.

-مش فاهم؟

-مين اللي بيدي الإذن للناس إنها تخش بيتك؟

-أنا.

-والجنة جنة مين؟

-ربنا.

-والنار كمان.

-يعني إيه؟

-يعني الجنة والنار بتوع ربنا يابني وهو بس اللي يقدر يحدد مين هايخش هنا ومين هايخش هنا، محدش يقدر يطلع أبدًا على علم الغيب يابني يا حبيبي.

قالها الشيخ «سالم» حينها لتظل كلماته عالقة في ذهنه حتى الآن من داخل سيارته التي يقودها مع بزوغ هذا الفجر الجديد بينما كان رجال «دياب» يراقبون طرق «سيناء» السريعة المتوقع ظهوره فيها كما ادعى الرجل الذي اتصل بكبيرهم، ليكمنوا جانبي الطريق أعلى التلال في أماكن خفية تكشف المنطقة بالكامل، حتى وصلت بالفعل السيارة المبلغ عنها والتي كانت مزودة

بأجهزة تعقب، ليبدأ الرجال في عملهم، خارجين من الجانبين بنظام وحرفية محاصرين السيارة من الأمام والخلف شاهرين أسلحتهم، مجبرين السائق على التوقف، ليخرجوا إليه بوجوههم الملثمة، مندهشين من التشابه الرهيب بين ضحيتهم و«الكمير» جاهلين الحقيقة، ليلبسوه قناعًا أسود يحجب رؤيته، ثم تأكدوا من عدم حمله لأي أجهزة تعقب قبل أن يقيدوه ويضعوه بسياراتهم، بعدما دمروا سيارة الداخلية ليكبدوهم المزيد من الخسائر، ليتابعوا طريقهم عبر دروب الصحراء التي يحفظونها عن ظهر قلب.

وصل السرب المدرب إلى كبيرهم جارين ضحيتهم إلى خيمة «دياب» الذي كان ينتظره بفارغ الصبر، ليرشده إلى «الكمير» الذي اختفى بعد حادثة الحافلة. وضع الرجال أسيرهم أرضًا من أمام «دياب» الجالس على عرشه، ليقف ويقترب منه رافعًا اللثام عن الرجل، ليحدق به متشفيًا ليقول:

-أهلًا يا «خالد».

نظر إليه الرجل في تحدٍّ أرهب «دياب» الذي كان يعرف نظرة «الكمير» ويهابها.

-أنا مش «خالد».

***

من مكتبها ظلت «نور» تقرأ الدراسة على حاسوبها بشيء من الذهول، لتفهم هذه الحالة النادرة التي سميت بالـ "Chaimera" والمسماة على اسم حيوان «الكمير» نظرًا لتشابه هذه الحالة مع هذا الحيوان.

تلك الحالات النادرة التي اكتشفها العلم للإخوة التوائم، عندما لا يكتمل نمو أحدهما في رحم الأم، فيستقبل الجنين الآخر جينات أخيه مكملًا بها نموه، ليحمل هذا الجنين جينات الأخوين معًا.

توقفت «نور» عن القراءة وقررت مشاركة معلوماتها مع الدكتور «فهد» لتدهشه باكتشافها العظيم، قبل أن تتوقف لتراجع حساباتها، فهي تعرف غرور الدكتور «فهد» الذي سيجني ثمار هذا الاكتشاف لنفسه، فتوجهت إلى

حارس الطابق الثالث بثقة طالبة منه مقابلة المقدم «سيف»، ليضطر الحارس الاتصال بموظفي الاستقبال ليصلوه بهذا الضابط الذي يهابه الجميع.

***

تأكد «دياب» بما لا يدع مجالًا للشك من صحة القادم، فلقد كان بالفعل «طاهر» الذي ميزه «دياب» بالحروق التي أزال بها «طاهر» الوشوم التي غطت كلتا كتفيه والذي ادعى أنه رسمها قبل أن يهديه الله إلى طريق الجماعة، كما أكد طبيب المجموعة صحة ادعاءات القادم ومطابقته لكل عينات «طاهر»، ليندهش «دياب» الذي تصرف بناء على المعلومات التي وصلت إليه من رجله بالمصحة، عن وصول «خالد» في هذه الساعة، ليكمل «دياب» بشكوكه مستجوبًا الرجل ببعض التفاصيل التي لا يعرفها إلا (هو) ليجيبه «طاهر» بوضوح قبل أن يقاطعه أخيرًا قائلًا:

-كفايه تضييع وقت يا «دياب».

-لو انت حقيقي «الكمير» يبقى لازم تعرف إن ده طبيعي.

-أنا «طاهر» يا «دياب» وممكن أسمعلك تاريخنا الأسود كله، وواضح إن كان ليك حد في المصحه إللي كنت فيها.

اندهش «دياب» معلقًا:

-أنا ليا رجاله في كل حته.

-«نبيل»؟

ضحك «دياب» قائلًا:

-مش موضوعك، انت اللي قوللي، تعرف إيه عن مصحة «خالد»؟

وقف «طاهر» بعدما فك «دياب» قيوده ليجلس مكان الأخير قائلًا:

-عشان اللي كان في المصحه من أول يوم مكنش «خالد» ده كان أنا!

***

ظل المقدم «سيف» في حالة ذهول من كلام «نور» التي ظنها مريضة أو مجنونة، ولكنها أثبتت له كل ادعاءاتها من على «الإنترنت» ليجد في كلامها بعض المنطق وهي تتابع:

-يعني يا سيادة المقدم، في حالات من حمل التوائم اللي مابتبقاش مستقره، ممكن الست فيه تولد طفل واحد بس، الطفل ده بيكون عنده جينات الأخين، يعني عنده إتنين «دي إن إيه»، يعني ممكن الـ«دي إن إيه» بتاع حيواناته المنويه يختلف عن دمه أو لعابه.

-يعني إيه يا سيتي؟ فهميني أكتر.

-يعني ممكن «خالد» و«طاهر» يبقوا شخص واحد.

-بس اللي هنا ده مايبقاش والد بنت «فريدة»، يعني مش «طاهر».

-مش شرط، لو كان من حالات «الكايميرا» ممكن يكون والدها فعلًا بس عينات دمه تثبت إنه عمها.

-يعني إيه؟

-يعني ممكن لو كنا خدنا عينه من لعابه أو حيواناته المنويه كانت ممكن تطابق البنت ويبقى «طاهر».

-يا «نور» انتي تقصدي إن ممكن يكون اللي كان هنا في المصحه «طاهر» مش «خالد»؟

-نظريًا أيوه يا فندم، ممكن الإتنين يكونوا واحد، بس عندهم أكتر من عينة دم واحده، وأكتر من «دي إن إيه» واحد.

-نسبة الحالات دي كام في الميه؟

-تمانيه في الميه يا فندم.

-طيب لو الإتنين واحد، إزاي في بطاقتين؟

-والله يا فندم أنا معرفش، يمكن والدهم كان مجهز شهادتين ميلاد ليهم قبل

ولادتهم على أساس إنهم توأم، وممكن ساعتها يكمل بالشخصيتين، أو ممكن يكون قدر يرسم هويه مزوره، حضرتك عارف إنه رسام شاطر.

-بس «طاهر» كان مريض سكر.

-ممكن يكون «طاهر» خدع مراته، هي أكيد مش هاتحلله يعني، وممكن يكون سكره عالي نسبيًا أو مش مستقر بس مش مريض فعلي يعني.

-لو الكلام اللي بتقوليه ده صح، يعني صاحب الجسم ده بيعيش بشخصيه واحده ولا اتنين؟

-والله يا فندم هو، المفروض إنه روح واحده.

قالتها «نور» متجاهلة إياي كعادتها، قبل أن تضيف:

-بس هو جواه إتنين، ممكن ده يخليه ضحية «فصام» في الشخصيه.

قالتها «نور» متذكرة «الأسد» و«الجدي» متناسية رأس الأفعى متجاهلاني أنا.

-وده ممكن يخلية....

-إية يا «نور»؟

-ممكن تكون حالة الفصام اللي عنده بتفرق معاه جسمانيًا، يعني لما بيبقى «خالد» نسبة سكره بتنزل أو العكس.

-طيب لو الكلام ده حقيقي، مين فيهم الشخصيه الحقيقيه، «خالد»؟

-أو «طاهر».

-يعني أنا ممكن بإديا دول أكون سيبت الإرهابي اللي بدور عليه؟

غاضبًا قالها المقدم «سيف» قبل أن يسألها سؤالًا أخيرًا:

-طيب انتي إيه اللي شككك في الكلام ده؟

أمسكت «نور» بلوحة «الكمير» لتشرح فحواها للمقدم «سيف» قبل أن تشير له للتوقيع الذي لاحظت أنه يشير إلى «طاهر» بوضوح، بعدما ظنت

أنه توقيع «خالد»، لتفهم هي أخيرًا «سر الثالوث الأوحد»، الأسد والجدي والأفعى.

خرج المقدم «سيف» وتركها، شاعرًا بأنفاسه الثقيلة، ليقف في منتصف طرقة الطابق الثالث محاولًا السيطرة على أطرافه، ليجري اتصالًا هاتفيًّا برئيسه ليخبره بمصيبته، ليجيب اللواء «فاروق» من مكتبه مستقبلًا الخبر بعصبية شديدة، لتزداد المحادثة توترًا:

-انت متأكد يا «سيف»؟

-تقريبًا يا فندم.

-الحاجات دي مفيهاش تقريبًا يا بني آدم، دي مصيبه.

-يا فندم لازم حضرتك تسرع العمليه قبل ما الموقع يتغير.

-أسرع إيه يا بني آدم؟ انت مش مدرك انت بتقول إيه؟ عايزني أبلغ الجيش إني سربت المعلومه للإرهابيين قبل الضرب، ولا عايزني أديهم معلومه مش متأكدين من صحتها؟ دي هيبة دوله يا «سيف»، واضح إني غلطت لما اعتمدت عليك واديتك المسؤوليه، إقفل يا «سيف» وسيبني أشوف هاعمل إيه في المصيبه دي.

***

-لما «حبيب» صاحب «خالد» كشفني، كان الحل إني أمثل إني «خالد» للآخر، لغاية ما الدنيا تهدى وأعرف أهرب.

قالها «طاهر» لـ«دياب» الذي لم يستطع كبت إعجابه الشديد بـ«الكمير».

-انت حقيقي شيطان يا «طاهر».

-المهم دلوقتي، مصدرك قالك على هايحصل.

-لا، انت عندك معلومات تانيه؟

-الجيش حدد موقعنا وهايضربنا جوي.

-جوي!

-أيوه ساعات قليله والمكان ده هايبقى تراب.

-انت متأكد من الكلام ده؟

-متأكد، والمفروض هما باعتني عشان أقتلك وأهرب الظابط بتاعهم قبل الضرب.

-يبقى لازم نلحق نلم الرجاله.

-غلط.

-ليه؟

-لازم حد يضحي عشان ناس تعيش، انت فاهم!

-تقصد إيه؟

-لو الجيش ضرب وملقناش هايدور علينا كلنا، لكن لو ضرب وفي اتنين ناقصين، أكيد مش هايدور عليهم.

-بس دول رجالتنا.

ابتسم «طاهر» قائلًا:

-أهم من نفسك؟

سكت «دياب» ضاحكًا بعدما اطمأن تمامًا للرجل ليسأله سؤالًا أخيرًا:

-يبقى نقتل الظابط ونتحرك.

-بس لازم نصوره في النور وإحنا بنصفيه ونذيع الفيديو على الهوا عشان النظام مايتهناش بضربته.

ابتسم «دياب» محييًا الرجل الذي خطط لكل شيء مسبقًا، ثم تركه وخرج ليقوم وسط رمال الصحراء بمكالمة هاتفية هامة.

-آلو..

-أيوه يا «دياب» باشا، أنا كنت لسه هاكلمك.

-من غير الحركات دي، أظن انت عارف كويس أنا ممكن أعمل فيك إيه.

-أيوه عارف.

-وزي ما خلصتلك على أبوك وخليتك تورث المصحه بتاعته، ممكن أقول للناس كلها الحقيقه وألف حبل المشنقه حوالين رقبتك.

سكت الدكتور «فهد» مبتلعًا ريقه وقال:

-ما أنا رديت لك الجميل، وسلمتك الرائد «عادل» تسليم أهالي.

- مش كفاية يا «فهد».

-طب ما أنا قلتلك كل اللي عرفت أوصله من المقدم «سيف».

-بس أنا اللي جالي هنا يبقى «طاهر» مش أخوه زي ما قولتلي.

-أنا والله لسه عارف المعلومه دي من دقايق، من دكتوره هنا في المصحه، الراجل ده شيطان في كل حاجه حتى في جيناته، واضح إن مفيش شخصيه إسمها «خالد» أصلًا، ده كان قناع عشان مايتكشفش.

-هه «الكمير»! وانت مابلغتنيش ليه يا «فهد»؟

-كنت مع المقدم «سيف»، معرفتش أكلمك، بس هو لسه ماشي، واضح إن الداخليه هاتهجم بدري، إلحقوا اهربوا.

- واضح إن كان نفسك الهجوم يحصل قبل ما تبلغني، عمومًا مش وقت كلام دلوقتي.

أغلق «دياب» الخط وعاد إلى «طاهر» قائلًا:

-أنا كلمت مصدري واتأكدت من كلامك، بس لسه في وقت، ماتخافش، أنا هاسبق عشان أحضر خطة لخروجنا لإسرائيل وهناك أنا هاتصرف.

كاذبًا قالها «دياب» الذي لم يرغب في وجود «الكمير»، ليخفي عليه خبر

تقديم الهجوم، تاركًا إياه في عزلته ومصيره مع أتباعه.

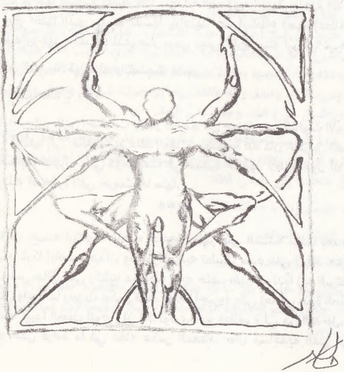
-وأنا؟!

-ماتخافش، خلص على «عادل» وتعالالي في مكانا قبل «العريش» هاكون ظبطت كل حاجه.

سكت «دياب» لحظة، ثم تابع ضامًا «طاهر» في أحضانه:

-«طاهر» أنا حقيقي سعيد برجوعك.

***



-التاريخ في الوقت الحاضر صباح يوم ١٤ أكتوبر-
(سر الثالوث الأوحد)

وصلت «فريدة» أخيرًا إلى منزل والدها بالقاهرة، بعد طريق طويل ويوم مرهق، حيث استيقظ الجميع مستقبلين إياها بحفاوة بعد ساعات عصيبة، لتقص عليهم الكثير والكثير من الأحداث وهي تحتضن ابنتها وتلاعب ابنة أختها «أشجان»؛ التي كانت تجالس الطفلتين في غياب أختها، وقد تأكدت أن طفلتيهما أختان هما الأخريان من نفس الأب- منذ طابقت «أشجان» تحليلات «DNA» الخاصة بابنتها مع ابنة «فريدة» التي كانت تشك في زواجها الثاني، لتتأكد «أشجان» من مطابقة حمض الأب الذي كان عشيقًا لها وضجيع فراشها لأسابيع كثيرة، ظنًا منها أنه أخو زوج أختها، جاهلة أنه (هو) حقًا زوج أختها الذي سلمته نفسها بإرادتها، منذ استطاع (هو) إعطاءها ما قصَّرَ فيه زوجها «راغب» الذي صار يربي ابنتي، تاركًا ابنته ليُربيها غيره.

-سبحان الله! بناتكوا فوله واتقسمت نصين.

-مش بنات خاله يا بابا؟

قالتها «أشجان» التي احتفظت بالسر لنفسها من حينها، «سر الثالوث الأوحد»، ولتبدأ رحلتها إلى خالقها منذ ذلك الوقت، مكتشفة أنه كان الطريق الصحيح منذ البداية، لتتهرب مني دومًا، آملةً في مغفرة خالقها، لأظل أحول أنا بينها وبين تلك المغفرة التي حُرمت أنا منها.

***

من داخل خيمته ارتدى «طاهر» قناعه، ليظهر على الشاشة ملثمًا بعدما فرَّ «دياب» تاركًا إياه ـ وحيدًا ـ وقد أوكل إليه تطبيق حده على الرائد «عادل» الذي جلس جاثيًا على ركبتيه مربوطة يديه خلف ظهره مرتديًا زيه البرتقالي، وإن كان واعيًا لما يحدث عكس ظنه، بعدما أجبروه على تعاطي هذة العقاقير الغامضة، ليبدأ الحفل لتوِّه، وإن زاد توتري منع «طاهر» لي من التدخل، فلم أستطع حتى قراءة ما في عقله عكس المعتاد، حال مساعديه الذي تركهم

بالخارج، لأرهب أنا الغيب حال بني آدم، وإن طمأنني كلام «طاهر» الشافي، من أمام الكاميرا وهو يشير إلى الرائد «عادل» بسيفه:

-اليوم سوف يطبق حد الله على كل خائن قاتل أجير.

قالها «طاهر» وهو يسمع صوت طلقات نارية قريبة من الخارج، حيث تعاملت جماعته مع سيارة للداخلية، اقتربت من حدودهم، وإن لم تمنع تلك الجلبة «طاهر» من إنهاء مهمته.

-والخائن الأجير (هو) أنا.

قالها «طاهر» رافعًا القناع عن رأسه ليكمل:

-حقًا لا أعرف من أنا! لقد كنت قديسًا أبحث عن الطهارة والكمال، لأجد نفسي فنانًا أعشق الفن والجمال، صرت بين هذا وذاك، أصارع نفسي للبقاء، حتى خرج من بين أحشائي هذا «الكمير»، هذا الشيطان الرجيم الذي لا يطبق شرع الله في تعاليمه، أنا «القديس» الذي عبُدت الله خوفا قبل أن أتقرب منه حبًا، لأعصيه بعد ذلك ظلمًا، فلم أعد «القديس» الذي كان، لم أعد «القديس» الذي يحمل راية «القدس»، بل صرت شيطانًا يحمل وزرها، اليوم وجب تطبيق شرع الله، وجب عليَّ الحد.

قالها هذا الخبيث خادعًا إياي، ليضع بين يد ضحيته سلاحًا رافعًا الرائد «عادل» فينهض واقفًا ويجثو «طاهر» ليركعني غصبًا وأنا أحاول منعه لأوقف الزمان متحدثًا إلى نفسي قائلًا:

-انت بتعمل إيه يا «خالد»؟

-مش قلتلك هاموتك.

-بس أنا وانت واحد.

-أنا وانت ولا حاجه، زي ما أنا خلقتك، أخويا «طاهر» خلقني، أنا وانت ولا حاجه «طاهر» هو الحقيقه الوحيده اللي فينا، وزي ما انت شيطان، «طاهر» «قديس».

-لا لا، انت بتضحك عليا، انتوا الاتنين عبيدي، أنا موجود جوا كل واحد فيكوا، ولو انت مت يا «خالد» أنا هاعيش في «طاهر»، وزي ما عملت منك ملحد؛ عملت منه إرهابي.

-أنا مش ملحد ولا «طاهر» إرهابي، انت اللي شيطان، وجيه الوقت عشان تعرف الحقيقة.

-مفيش حقيقة.

-لأ فيه، «طاهر» عاش طول عمره وحيد بعد موت أبوه وأمه، عشان يعيش «قديس» بيخاف من كل حاجه، وعمره ما بيغلط، كان خايف من كل حاجة، خايف ووحيد، مقدرش حتى يجهر بحبه للفن؛ عشان كده خلقني أنا الفنان المتحرر، الناقم الثائر على كل حاجه، «طاهر» سأل بيا عن كل اللي بيخاف يسأل هو عليه، خلاني أسأل عن الحلال والحرام، أسأل عن الجنة والنار، أسأل عن كل الدنيا والدين، أسأل عن ربنا، وأسأل حتى مين اللي خلقه. كان زيه زي أي حد عنده أسئله كتير، بس أنا بضعفي ماجاوبتهاش، وخلقتك انت عشان أجاوبه على كل أسئلته، عشان تيجي انت زي الشيطان، وتهد المعبد، عشان تسمِّمنا بإجابات مغلوطة، حاولت تضيعه وتكفرني، ونسيتني إني مجرد صورة مليش حق أعمل فيه كده، «طاهر» عمره ما قتل ولا أنا عمري كرهت، انت اللي بربنا كفرت، النهاردة أنا و«طاهر» هانحاربك، بس عارفينك جبان وخسيس وهاتهرب وترجع مع أول نقطة ضعف لينا، مبقاش عندنا حل نخلص بيه منك غير موتك، ولو هانموت معاك، عشان نحمي الدنيا من شرك.

-لا لا يا «خالد»، بلاش يا «طاهر»، طيب أكلم مين فيكوا؟ أنا عمري ما شوفتُكوا مع بعض، انتوا عمركم ما كنتوا مع بعض، كل واحد منكوا دايمًا بيكلمني لوحده أرجوكم.

قلتها جاثيًا أرضًا متضائلًا، بينما ظلا هما يتعاظمان سويًا متحدين للمرة الأولى منذ ولادتي؛ فأتقزم أمام عظمتهما، وأتقزم حتى أكاد لا أرى هوانًا وضآلة.

- انتوا بتكبروا كده ليه؟ انتوا هاتعملوا فيا إيه؟ إنتوا مش سامعني ليييييييه؟

قلتها وقد لجم لساني ليكمل «طاهر» الخالد، كلامه إلى الرائد «عادل» الذي تحرَّك بعدما حرَّراه.

-لو سمحت يا فندم نفذ حكمك، وماتخافش رجالتك جايين وهايحموك.

أمسك الرائد «عادل» سلاحه مترددًا أمام الشاشات فلم يكن قاتلاً، ليقف «طاهر» من أمامه ويقول مستفزًا.

-لو مقتلتنيش النهارده بكره هاقتلك أبرياء كتير.

ظل الرائد «عادل» مترددًا، ليستفزه «طاهر» أكثر قائلاً:

-واضح إنك ضعيف زي النقيب «فادي»، مش انت أخوه؟ فاكر صوتي ولا ناسيه؟ مش انت اللي كنت على التليفون وأنا بادبحه زي الخروف؟

قالها «طاهر» لتدوي في رأسه رصاصة ثأر ـ يسمع أصداها في مترددًا في المكان الشاسع ـ رصاصة حررت ثلاثتنا من هذا الجسد الذي كنا نتصارع عليه سنين طويلة، ليتركاني وحيدًا كعادتي، فيستقبلني أولاد عمومتي في النار التي منها خُلقت ولها بعثت، بينما ظلا هما سويًا في انتظار الحساب بهذا البرزخ السرمدي، الذي سُحبت عنه شيئًا فشيئًا، ليتوقف (هو) عن الحديث، عندما نطق «طاهر» الشهادة. ليتبدل الراوي، وأبدأ أنا في سرد ما تبقى من سطور.

اندهش الرائد «عادل» الذي لم يضغط الزناد، قبل أن ينظر خلفه إلى المقدم «سيف» الذي جاء مع رجاله قبل الهجوم لينقذ زميله، ليسقط الثالوث الأوحد قتيلاً بعد صراع مع النفس دام سنوات طويلة منذ وفاة والدتهما، وحتى سقط متلفظًا بوحدانية ربه، قبل أن يهرع إليه الرائد «عادل» المتأثر بالمشهد، ممسكًا إياه في عطف غريب، ليهمس «طاهر» إليه:

-سامحني.

-مش مهم أنا، المهم ربنا يسامحك.

أجاب الرائد «عادل» دامع العين وهو ينظر إلى «طاهر»، قبل أن يتحرر

«خالد» مبتسمًا عائدًا إلى «إيفا» التي جاءت حافية القدمين في ملابسها البيضاء، فيمسك بيديها موجهًا إلى الرائد كلمته الأخيرة:

-خلي بالك من «ملك» وخليها تسامحني.

قالها ليسبل الرائد «عادل» عينيه ويستريح كل من آمن بالثالوث الأوحد، قبل أن يقطع الرائد «عادل» التصوير الذي كان يُبث على الهواء مباشرة، ثم وقف متوجهًا إلى زميله الحازم ليشكره بعدما خاطر بحياته من أجله، قبل أن تستقر رصاصة غدر في رأس المقدم «سيف» الذي تهاوى هو الآخر بين أحضان زميله قتيلًا، ليظل الرائد «عادل» ممسكًا به وهو دامع العين بينما انهمر وابلٌ من الرصاص مخترقًا جسد زميله من الخلف، لتسيل الدماء من فم المقدم «سيف»، ويجلس به الرائد «عادل» منهارًا بجانب «طاهر»، فيتخلى العادل عن صبره الذي فاق رباطة جأشه بعدما سرى الغضب ـ غضب الحليم الذي تحمل الكثير ـ في عروقه، ليمسك الرائد بسلاح منقذه ويبدأ بإطلاق النار بشكل هيستيري فتتساقط الجثث الشيطانية واحدة تلو الأخرى، ثم خرج عن ستر خيمته، ليكمل غضبه وطلقاته الثائرة، مع فرار كل جبان ضعيف سمع صوت طيران الحق، الذي شاركه بضرباته الحاسمة، قبل أن يتنبَّه إلى قوته، طيَّارٌ عسكريٌّ ليقوم بتأمينه، موجهًا ضرباته إلى كل من حوله، لتحرره القوات الأرضية التي سيطرت على المكان لفرض سلطتها على كل معتد أثيم على تلك الأرض الطاهرة التي كلم الله عليها نبيه الكريم «موسى».

***

استيقظت «ملك» من كابوسها وهي تشعر بالخوف الشديد من كم الدماء التي رأتها في هذا الحلم الذي كانت تجهل حقيقته، حال جميع رؤاها في الفترة الأخيرة، ومنذ تيقنت من مقتل والدتها، لتهدئ من روعها هذه الطفلة الجالسة إلى جوارها والتي تشبهها تمامًا، لترتعش «ملك» قائلة:

-انتي مين؟

-ماتخافيش يا «ملك» أنا «خلود».

-«خلود» مين؟

-أختك التوأم يا «ملك».

-بس أنا مليش إخوات، أنا وحيده.

-لأ يا «ملك» ماتقوليش كده انتي مش وحيده، ومن النهارده أنا جنبك ومش هاسيبك لحد آخر يوم في عمرنا، أنا الخلود.

ابتسمت «ملك» حاضنة ظلها قبل أن يدخل الرائد «عادل» إليها في غرفتها بالمصحة مع الدكتورة «نور» التي بدأت تتعافى.

-طنط «نور» تعالي شوفي أختي التوأم «خلود».

نظرت الدكتورة «نور» والرائد «عادل» إلى الغرفة الخاوية إلا من ثلاثتهم، لتدمع عينا «نور» ضامة إياها إلى صدرها، ليحتضنهما سويًا الرائد «عادل» ثم اصطحبهما معه لحضور الجنازة الرسمية لـ«إيفا» والتي حضرتها «كريستين» وزوجها «حبيب» ووليدتهم الجديدة «إيفا»، إلى جانب «نهلة» التي مشيت وحيدة إلى جوار «مارينا» و«فبرونيا» في الخيال، ليسكن كلٌّ في مسكنه، بينما تقدم المراسم القس «يوحنا» الممسك بصليبه إلى جوار الشيخ «سالم» الذي كان يصلي لأهل الثالوث الأوحد.

***

من داخل المصحة دخل «نبيل» بخطى واثقة ومتأملة، رغم فقيده الـ «وحيد»، ليصعد إلى غرفة زوجته الأولى «حنين».

-انت مين؟

ابتسم «نبيل» رغم عدم مضي وقت على موت ابنه «وحيد» سوى أسابيع قليلة، فلقد حدَّ انتقامه الشافي من آلام أحزانه.

-أنا «نبيل» مدير المصحه.

قالها وأخرج جريدة رسمية كان يحملها ليتابع:

-هاقرالك جرايد النهارده زي كل يوم.

-آه افتكرتك، ممكن تقرالي؟

«الطفلة وقاتل والدتها في طابق واحد تحت إشراف صاحب المصحة».

«تحفظت الدولة على أموال صاحبها الدكتور «فهد الشرنوبي» الذي ثبت تورطه مع بعض الجماعات الإرهابية التي ساعدته من قبل في قتل والده، ولقد استطاع كشفه الصحفي «سامي العسيلي» بمساعدة «نبيل الوزير» الذي كان يمده بالمعلومات، ليوكله اللواء «فاروق الجندي» من وزارة الداخلية بإدارة مصحة «الشرنوبي» إلى إشعار آخر.»

***

من داخل زنزانته بوزارة الداخلية، ظل «فهد» ممسكًا بالميدالية التي مكثت في جيبه لأيام طويلة، ليفشل في فكها يومًا تلو الآخر، حتى جاءت أخيرًا تلك اللحظة التي استطاع تحرير القطعة الحبيسة من الأخرى، ليتراقص فرحًا قبل أن يمسك بالقطعة التي تشبه التوأم متأملًا، ثم يتفحص بنظره القطعة الأخرى لهذا الوحش الذي ظل ممسكًا بهذا التوأم ليصل أخيرًا إلى هذا التشخيص الغريب لحالة «خالد» رافضًا كل ما آلت إليه بحوث الدكتورة «نور» التي كان يستحقر علمها، ليظل يكتب تشخيصه على جدران سجنه كالممسوس ليوقفه أخيرًا أحد السجناء متسائلًا عما يفعل، فيقص عليه «فهد» مرارًا وتكرارًا ما ظنه صحيحًا.

-يا بني آدم افهم، ممكن يكون «طاهر» كان ليه أخ بجد اسمه «خالد»، وتكون أمهم كانت حامل في تلاته، اتنين في بويضة، والتالت لوحده في بويضة تانية، وبعدين التالت ده مات وساب جيناته جوا البويضة الأولى جوا «طاهر» و»خالد»، وعشان كده الإتنين متخيلين إنهم واحد، بس هما حقيقي اتنين، وكل واحد فيهم هايبقى عنده اتنين «DNA».

- لا حول ولا قوة إلا بالله، الرجل اتجنن.

- يا جماعة افهمني ممكن يبقى فيه اتنين «طاهر» واتنين «خالد، لا ده مش ممكن، ده أكيد.

ظل «فهد» يتكلم والسجناء يضحكون ساخرين منه، ليصبح بطل المسرحية اليومية لسجّانيه.

***

خرج (هو) ظهيرة يوم جمعة مبارك لينشر ظلمه وشره على العباد، الذين خرجوا من بيوتهم ليلبوا صلاة المودع، حبًا في خالقهم الذي كان ينتظر استقبالهم شهداء، ليصيروا زينة أهل الجنة، حيث امتلأت سماء العريش بالملائكة، ليشهدهم ربهم على المصليين الذين خرجوا إلى صلاتهم في سلام الإسلام، لينظر ذاك الملاك إلى ذاك الطفل الذي تعلق بوالده ليذهب معه إلى الصلاة، ليقلد وضوء أبيه قبل أن يذهب ليعانق والدته التي كانت السعادة تغمرها لنمو ابنها، غير مدركة أنه العناق الأخير، ليخرج الرجال والأطفال مغتسلين مهندمين حال أهلً السماء، داخلين جميعًا بيت الله الذي يرفع فيه اسمه، ويخرج إليهم الخطيب، الذي ظل يبث فيهم سماحة دين الإسلام، بينما كان (هو) لا يزال يقترب داخل مركبته ينظر إلى صورته في المرآة باندهاش، شاعرًا أن هناك من يراقبه من جوف عينيه الواسعتين سوداوي اللون كسواد قلبه، وكأن عينيه هما لشخص آخر يرمقه ويراقبه في غضب، فلم يستطع أن يطيل النظر إلى تلك الصورة بالمرآة التي كان (هو) يجهل صاحبها الأصلي، ليفتح مسند اليد الذي عن يمينه، ويخرج قناعًا أسود، غطى به كل ملامح وجهه إلا شفتيه وعينيه اللتين لا تزالان تراقبانه، خاصة تلك العين اليمنى التي ظلتٍ ترتعش في ريبة، لينفعل منتزعًا بعنف مرآة السيارة، فلقد كان (هو) غليظا، قوي البنية، كرياضيي المصارعة.

دقائق ووصل (هو) إلى هذا المسجد ليقاطع الخطيب، بصوت طلقاته النارية التي أفزعت المصلين، حيث خرج (هو) ومن خلفه أتباعه معلنين عن وجوههم الحقيقية فلم يكن (هو) أبدًا باحثًا عن الثالوث بل كان يبحث فقط عن الوحدة وفصلها، ليدخل (هو) بحذائه ـ ملوثًا ـ هذا المكان الطاهر الذي خلد فيه اسم الله، فيتابع ومن معه إطلاق النيران على كل المصلين، الذين كانت تنتظرهم ملائكة السماء في كل صوب، ليفرح القديسين والشهداء بما آتاهم ربهم، متفهمين: لِمَ تركهم ربهم لهذا المصير، فلم تكن الدنيا إلا لحظة

واحدة أمام طهارة جنة الخلد.

لتُسطر الملاك الـ«فريدة» بقلمها عبارتها الختامية.

ظل «القديس» يدمع على قُدسه التي أعلنها الشيطان لتوِّه عاصمةً لبني إسرائيل.

تمت بحمد الله الواحد الأحد.



شكر وتقدير

إلى كل طاهر وخالد، إلى كل من ساند هذا العمل إيمانًا منه بقوة تلك الوحدة التي يحاول تفريقها ذاك الشيطان.

أمي **وأبي**

خالد حلمي	خالد النبوي	خالد الشيمي
هالة فاروق	محمد الشقنقيري	شادي هشام
محمد كرم	نور محمود	سامح الديب
محمد جاد الله	علاء عبد الناصر	هيثم عبد المجيد
هاني الجيزاوي	دارين أحمد	محمد مجدي
يحيى حمزة	إيمان الإمام.	عماد الدين
سوزان جلال	علياء شومان.	سيلفيا جورج.
سالي مجدي	سارة عمر	خلود الفقي.
نهلة	مارينا	فبرونيا

وإلى كل «قديسٍ» كانت «القدس» منتهاه

Ibdaa
للنشر والتوزيع والترجمة

للترجمة والتدريب والنشر والتوزيع

info@ibda3-tp.com

dreidibrahim@gmail.com

ibda3bookstore@gmail.com

القديس

أنا الشهيد...

ربي الله الواحد الأحد، ونبيي "محمد"، ودِيني الإسلام...

كما تعلمان عشت حياة مليئة بالترف والرفاهية، خالية من الألم والطاعة، حتى سبقنا والداي لملاقاة ربهما وأنا في الثامنة، لأصبح شريدًا في تلك الحياة البائسة، حتى هداني الرحمن قبل أن أتم العاشرة، لأسلم له نفسي التائهة، واهبًا له إياها طواعية، حتى وصلتني الرسالة المبشرة، فلقد تمت بالفعل دعوتي، جاء أجلي وحلت ساعتي، عندما قتلني (هو) ودنس قدسيتي، لأغادر جسدي بحثًا عن حقيقتي، لأدرك من البرزخ نهايتي، مطلعًا على سر كينونتي.

سر الثالوث الأوحد!

وعدوني بالجنة، فلمَ أنا في الجحيم؟!



مهندس معماري وديكور، مواليد القاهرة ١٩٨٢. المدير العام لشركة "ريني" للهندسة المعمارية والديكور بباريس والقاهرة. تعتبر رواية "القديس" رابع أعماله الأدبية بعد "لمسة مليكا"، "الوحي" و "لَ نوفيلا".

9 789777 791793

إبداع
Ebdaa